الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة باتنة –1–

كلية اللغة والأدب العربي والفنون

قسم اللغة العربية وآدابها

الانسجام في النص القرآني

– دراسة في الأدوات والمستويات –

أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في اللغة والأدب العربي

إعداد الطالب:

عزوز ختيم

إشراف الأستاذ الدكتور:

السعيد هادف

لجنة المناقشة

الاسم واللقب	الرتبة العلمية	الجامعة الأصلية	الصفة
ا.د/ لبوخ بوجملين	أستاذ التعليم العالي	جامعة باتنة 1	رئيسا
أ.د/ السعيد هادف	أستاذ التعليم العالي	جامعة باتنة 1	مشرفا ومقرّرا
أ.د/ دليلة مزوز	أستاذ التعليم العالي	جامعة باتنة 1	عضوا
أ.د/محمد زهار	أستاذ التعليم العالي	جامعة المسيلة	عضوا
د/ ليلى كادة	أستاذ محاضر(أ)	جامعة بسكرة	عضوا
د/عبد الكريم خليل	أستاذ محاضر (أ)	المركز الجامعي ميلة	عضوا

السنة الجامعية : 1438هـ – 1439 هـ / 2017–2018

قال تعـــــــالى :

﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ

غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾

سور النساء الآية 82

شكـــر وعـــرفان

{من لم يشكر الناس لم يشكر الله}

أتقدم بالشكر الجزيل إلى سيدي المشرف

الأستاذ الدكتور "السعيد هادف"

جزيل ما قدمه لي طيلة هذه المدة من علم ونصح وتقدير

ثم إلى كل من مد لي يد العون حتى يرى هذا البحث النور

إهـــــــداء

إلـــــــى من وددتُ لو أنهما الآن معي . . .

يشهدان قطافَ غرسهما . . .

لكن الله قدّرَ . . . واستأثر بهما

فإلى روحيهما الطاهرتين . . . أُهدي هذا العمل

بِراً وعرفانا

إلى رفيقة دربي . . . حبا و وجدانا

إلى صديق عمري . . . وفاءا وإخلاصا

مقدمة:

إذا كان مفهوم النص يمثل مفهوما محوريا في علوم القرآن والتفسير والفقه والأصول والحديث، وغيرها من فضاءات تراثنا العربي والإسلامي الضخم، والمرتبط أصلا بالممارسة النصية، فهو بالمثل مفهوم محوري في الدراسات اللسانية والنقدية الحديثة، وإنّ تغاير المناهج واختلاف التوجهات النقدية في تحليل النصوص ليس في جوهره إلا اختلافا في تحديد ماهية النص وخصائصه ووظائفه، لذلك فإنّ محاولة الخوض في دراسة النص القرآني مغامرة تكتنفها المزالق من كل صوب، لأن إشكالية النص القرآني تقوم على مفارقة مرتبطة بهوية القرآن ذاته، فهو من جهة نص ناطق بلغة بشرية وجار في أساليبه على السنن العربي في أجلى تمظهراته البيانية، وهو من جهة ثانية نصّ لا يمكن أن يتماهى في مرجعية ذهنية وإبداعية محددة.

فالنص القرآني كيان متفرّد ووحي سماوي خارج عن التميز الذاتي أو النفسي البشري ومن ثمة فإنه لا مجال لسبر أغواره من حيث هو أدبية، بمسبر الإبداعية الإنسانية، أو الخلفية المعرفية المنتجة له.

إلا أنه لابد لنا من الاعتراف بأن أسلوب النص القرآني لا يمتنع من مجانسة أساليب العرب في البيان وإن امتاز عنها فنيا، فآلية التعبير ومكونات النص وهندسته وأعرافه البلاغية هي جميعا عوامل تأصيل متقن للنصية القرآنية التي تتقاطع من حيث مظاهر التشكّل والتمظهر مع تلك الآلية التعبيرية التي صدرت عنها أدبيات العرب قبل الإسلام.

غير أن النص القرآني امتاز عن أدبيات العرب بخفة نقلاته عبر فضاء موضوعي متنوع مع تحقيق فريد ومدهش لانسجام نصي ودلالي استحالت فيه جميع أركان نصه من جماد وحيوان وإنسان وأفكار إلى كائنات ناطقة شاعرة بالوجود تربطها بالخالق علاقة الخضوع والإذعان، يجلي حركتها في انسجام تام ويبني عوالمه من تفاعلها المتوازن، وفق منطق نصي مطرد لا عوج فيه.

فالبناء النصي في القرآن الكريم مصكوك بمقومات خطابية تواصلية تسرد وتحاور وتستفهم وتعارض، وتدقق وتصغي وتعقب، وبذلك امتلك النص القرآني مواصفات فريدة ونادرة تجعل منه مرجعية حدية تتفاعل معها العقول والعواطف مفاعلة تضل تتجدد بتجدد أسباب الاستيعاب.

1 ــ أهمية الموضوع:

يحتل انسجام النص واتساقه موقعا مركزيا في الأبحاث والدراسات التي تندرج في مجالات تحليل الخطاب ولسانيات النص، ونحو النص، وعلم النص، حتى أننا لا نكاد نجد مؤلفا ينتمي إلى هذه المجالات، خاليا من هذين المفهومين أو أحدهما، أومن المفاهيم المرتبطة بهما كالتعالق والترابط والتشاكل.

ويقصد عادة بالاتساق ذلك التماسك الشديد بين الأجزاء المشكلة لنص ما ويهتم فيه بالوسائل اللغوية (الشكلية) التي تصل بين العناصر المشكّلة لجزء من النص أو للنص كله، أما الانسجام فهو تلك العلاقات الخفية التي تنظُم كامل النص وتولده، متجاوزة رصد المحقق فعلا (أي الاتساق)إلى الكامن وراءه من دلالات وحبكة، لتجلي ذلك الخيط الرفيع الذي يمتد من أول النص إلى آخره، ويحدد العلاقات والمعاني المضمرة والكامنة وراء الأشكال اللغوية والتعبيرية التي يحملها النص، وبذلك يكون الانسجام أعمق من الاتساق وأشمل وما الأخير إلا أداة لتحقيق الأول.

وإن القراءة العلمية الرصينة للنص القرآني المبنية على مناهج تحليل النص والقائمة على احترام خصوصية القرآن الكريم من شأنها أن تبرز تميز هذا النص وفرادته في اتساقه وانسجامه، فالخاصية التعبيرية والتواصلية والجمالية هي التي تميزه عن باقي النصوص. وهذا التميز هو ما نروم الكشف عنه في محاولة للبرهنة على التوازن بين مكونات النص القرآني وأسباب تماسكه وذلك من خلال البحث في أدواته المستعملة في اتساق بناه اللغوية وانسجام مستوياته الدلالية فيكون موضوع بحثنا هو:

الانسجام في النص القرآني- دراسة في الأدوات والمستويات -

2- إشكالية الموضوع:

لقد تجذَّر الأثر الفني للنص القرآني على صعيد التراث بفرادة نموذجه البياني واستقطب الأنظمة الخطابية بنفاد جماليته فأثّل لها قيمَها البلاغية فغدا بذلك هوية جمالية وخطابية فاق تأثيرها الروحي والخيالي عند العرب والمسلمين - في أزمنة الاستواء اللغوي - تلك الآثار الحسية التي تتميز بها رمزية البلاغة الشعرية، فللنص القرآني حضور جمالي ومرجعية روحية تنفَّذت في الوجدان الإسلامي واكتسبت كينونة تجاوزت إطار الأثرية لتشكل أساسا متينا في تنشئة الوجدان الجمعي الإسلامي لأنها معطى لا يفتأ يُعمِّد الأجيال بخواصه الإحالية والإحائية، الأمر الذي عمل على خلق مدار ذهني وثقافي بلور المخيال الجمعي الإسلامي ونمَّط إلى حد كبير رؤاه واستجاباتهِ.

فالنص القرآني تصاحبه بلا انفكاك جبلّة تقنية غاية في الاكتناز والاتزان، وهي ليست ذاتية حتى في مواقف الحكاية، ومن هنا فتأثيرها يختلف عن التأثير الانفعالي المعهود في الأدبيات الإنسانية، لقد ارتكز النص القرآني في انسجامه واتساقه على منطق ذاتي داخلي وعلى إسناد معنوي لا يمارى في تفوقه، وعلى خصوبة حركية تتصرف في المعاني وتستعرضها في دقة عالية وعلى منظومة صورية منسجمة مهما تنوعت الخطابات وتلونت، وسواء أكان الموقف جداليا أم مشهدا قصصيا اعتباريا أم تشريعيا تعبديا، فإنّ النص القرآني يصوغ معطياته بنسيج نظمي لا مجال لمضاهاته بنمط أدبي آخر.

فالجمالية الأدبية راجحة في النص القرآني، والانسجام واضح للمتدبر بصورة ثابتة ومستمرة وأساسية في كل تمظهرات الخطاب، النفسيةِ والاجتماعية والغيبية وفي تنويعاته السردية والحجاجية والوصفية، دون أن تطغى المقصدية النثرية الخطابية، أو المضمونية على هذا الخطاب، حتى في المجالات ذات الطابع الموقفي المباشر، والتنويع الأدائي القرآني رغم كل هذه الغايات يتشكل ضمن بنية منسجمة ومتسقة تصون للنص القرآني بأصالة جليَّة مستواه

الفني الفريد، لتذكرنا بقوله تعالى : ﴿ **و لو كان من عند الله غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا**﴾.

ومن هذا المنطلق تأتي قضية الانسجام في النص القرآني لتستدعي مجموعة من الأسئلة الضرورية والدقيقة والمحددة، وهي ما سيحاول هذا البحث الإجابة عنها، ومن بين هذه الأسئلة:

1- هل هناك علاقة قائمة بين المضامين الدلالية والأشكال اللغوية التعبيرية في النص القرآني ؟

2- هل إذا تغير الخطاب في النص القرآني تغيرت معه الأداة؟

3- هي يمثل القرآن **نصا واحدا** متسقا ومنسجما في بنيته ودلالته؟

وإذا كان كذلك، فما هي الأدوات التي استخدمها النص القرآني في تحقيق هذا الانسجام؟ وما هي مستوياته؟

3-أسباب اختيار الموضوع:

للتورط في دراسة النص القرآني تفاصيله الممتنعة عن الاستقصاء، وما يقتضي التأمل ليس هذا التورط فحسب، وإنما موجهاته ومواقعه، والتي تتكشف بها الرهانات المتحكمة في اختيار موضوع هذا البحث، وفيها يتبدى أن تجديد رؤية الموضوع لا ينفصل عن إبدال مكان الرؤية، إبدال لا يستقيم إلا بالمصاحبة الطويلة للموضوع والدّربة القاسية على استساغة ألم هذه المصاحبة وتحويله إلى لذة خاصة.

لقد سمحت لي دراسات سابقة بالاقتراب من النص القرآني، وملامسة الأهوال التي يفتحها أمام القراءة والتأويل، وأنا الناشئ في الكتاتيب، المدمن على تلاوة القرآن الكريم، المأخوذ حد الافتتان بنسيجه المبهر والفريد، حتى ترسخ في اعتقادي أن ما ينطوي عليه هذا النص من أسئلة تجعل منه تحديا يكرّس الإحساس بحدود الباحث وهشاشته كلما أزمع على ارتياد مغامرة البحث فيه، ومع ذلك توطّد العزم على المغامرة انطلاقا من اجتذاب خفي

التبس فيه ألم القراءة بلذاتها، وحفَّزت عليه ملامسة مبتهجة لما تسمح به المناهج الحديثة من اقتراب، وما تعطيه من أدوات إجرائية، و هو ما جعل التورط في دراسة النص القرآني استحقاقا لانتساب معرفي، لا يقتصر على الآني وإنما يعول على الولوج إلى مشروع جدي، يتجاوز إمكان الفرد وحدوده، لما يتطلب من جهد جماعي وطويل، غير أن هذه الأسباب النفسية والذاتية ليست الوحيدة، فلموضوع البحث أسباب خارجية كثيرة منها:

1- قلّة الدراسات العلمية التي تناولت موضوع الانسجام في النص القرآني بمقاربة منهجية جديدة، والتي نتجت عن إحجام الباحثين عن إخضاع هذا النص لمناهج و إجراءات حداثية لما ينطوي عليه هذا العمل من مزالق.

2- جمع شتات وجزئيات موضوع الانسجام في النص القرآني-والمنثورة في علوم عدة-في دراسة واحدة تحاول الإحاطة به-ما استطاعت-، والكشف عن أدواته ومستوياته.

3- مكانة النص القرآني ككتاب مكنون، حاضر في ثقافتنا ووعينا ورؤانا.

4- توجيه الأستاذ المشرف الدكتور السعيد هادف لنا (كطلبة) إلى ولوج المدونة القرآنية ومحاولة مقاربتها بالمناهج العلمية الحديثة لما تمتلكه هذه المدونة من إمكانيات انفتاحها على قراءات جديدة.

4-**الجهود السابقة:**

إن فكرة الاتساق والانسجام في النص القرآني ليست جديدة، فقد عرف تراثنا مصطلح المناسبة إشارة إلى ترابط السور والآيات القرآنية، ولا سيما العلوم التي مثّل النص القرآني مدونة لها، ككتب الإعجاز والتفسير وعلوم القرآن، وقد أفرده السيوطي بكتاب سماه " تناسق الدرر في تناسب السور".

غير أن هذه الإشارة ظلت بحكم مناهج البحث والنظر آنذاك، محصورة في جوانب مخصوصة من النص، ومتفرقة في ثنايا لطائف القرآن وعجائبه، فكانت أقل من أن تُمثّل اتجاها واضحا ومطلبا تفسيريا لذاته، وشاء القدر ألا يكتب لهذه اللّفتة المبدعة في رؤية

النص أن تتطور وتنمو لترسي بذلك دعائم متينة لمنهج كامل في علم النص وهذا في ذاته ليس عيبا، لأن الإبداع هو دوما رهينة بلحظته الثقافية والتاريخية.

وبتقدم مناهج البحث وتطورها في العقود الأخيرة وظهور ما يعرف بعلم النص وانسجام الخطاب، ظهرت للوجود دراسات تنظيرية وتطبيقية وهي على قلتها لم تتناول النص القرآني بالتحليل لكننا نستثني من ذلك بعض الأقلام مثل محمد خطابي بكتابه" لسانيات النص–مدخل إلى انسجام الخطاب–" حيث أفرد جانبا منه للحديث عن فكرة الانسجام في تراثنا، أو نصر حامد أبو زيد بكتابه "مفهوم النص–دراسة في علوم القرآن–، أو بعض الكتابات التي اتجهت إلى تحليل النص الديني بمناهج علم النص الجديد من أمثال محمد أركون وحسن حنفي وطه عبد الرحمان وغيرهم.

إلا أنّ الحديث عن دراسات عربية للسانيات النص/ الخطاب، تطبيقا على النص القرآني لا يزال مبكرا أولا لحداثة هذا الاتجاه وعدم اكتماله بعد، وثانيا لقداسة النص القرآني وخوف الزلل في حقه.

5–أهداف الموضــوع:

يستقي هذا البحث أهدافه من خلال طموحه إلى:

1–البرهنة على أن النص القرآني ظاهرة مركبة تنتظمها وحدة من نوع خاص لا تجد تأويلها في التحليلات الأحادية الجانب.

2–استخراج العوامل الفاعلة في اتساق النص وانسجامه للوصول إلى نظرة شمولية تفسر المنظومة المتكاملة لتماسك الآيات والسور واستكشاف الروابط اللغوية والموضوعية والدلالية.

3–جمع –بقدر المستطاع–أشتات هذا الموضوع من كتب البلاغة والتفسير والإعجاز وعلوم القرآن، في بحث واحد مدونته هي النص القرآني كاملا.

4–استخراج البنى الكبرى للنص القرآني ومحاولة كشف الخيط الناظم الذي نسج منه هذا الانسجام الفريد.

5-المساهمة في تعويض النقص الموجود في تطبيق نظريات علم النص على النصوص العربية، ولاسيما النص القرآني، والقيام بخطوة أولى في مشروع مستقبلي هو" **لسانيات الخطاب القرآنـــي**".

6-منهج البحث:

قبل تحديد الخطوط العامة لمنهج البحث الذي اتبعته في دراستي، لا بد لي أن أبين أن هذا البحث يتبنى نظرية نحو النص أو ما يصطلح عليه بـــ: أنحاء النص التي جاءت بديلا عن النحو الجملي، الذي يعتبر الجملة أكبر وحدة لسانية يمكن دراستها، ومعنى هذا أن البحث ينظر إلى النص القرآني كنص وخطاب متكامل لا يمكن استيعاب جزئية منه وإدراك قضية من قضاياه اللغوية أو الصوتية أو الصرفية أو التركيبية أو الدلالية أو حتى التداولية إلا في إطاره الشمولي الكلي، ذلك أنني أعتقد أن القرآن الكريم يشكل وحدة نسقية وهذا ما يحاول البحث البرهنة عليه.

ولذلك فإن تطبيق نظرية نحو النص اقتضت مني التزود بمجموعة من الأدوات المعرفية حتى أتمكن من مقاربة النص أو الخطاب من جهة الاتساق والانسجام، ومعنى ذلك أن البحث استفاد ضرورة من تراثنا المرتبط أصلا بالقرآن، كعلوم القرآن والتفاسير والدراسات الإعجازية وعلوم البلاغة ومن نظرية النظم، وعلم المناسبة بصفة خاصة، مع الاستفادة من الدراسات الحديثة التي أنجزت بشقيها النظري والتطبيقي في إطار ما يعرف بالنحو النسقي الذي يحاول تمثل النص في مستوياته التركيبية والدلالية والتداولية ولتحقيق هذا العمل بهذه الطريقة الشمولية اتّبع البحث ثلاث خطوات منهجية:

1-تبني المنهج الوصفي: وقد عملت من خلال ذلك على تحديد مكونات النص القرآني الصوتية الصرفية التركيبية الدلالية.

2-تبني المنهج التحليلي: حيث عملت على دراسة كل مكونات النص/الخطاب السالفة الذكر دراسة تحليلية بهدف الكشف عن آليات الترابط النصي ووظائفه مع تحديد أدوات الاتساق وكيفية اشتغالها.

3-الدراسة المقارنة: وأثناء هذه الخطوة المنهجية الثالثة حاولت دراسة المكونات السابقة دراسة مقارنة مع نظريات علم النص كلما سمحت لي الفرصة وذلك لتحديد القيم الخلافية إن وجدت.

7- خطة البحث :

وقد قمت بتقسيم بحثي إلى خمسة فصول مع مقدمة وخاتمة أوجزت فيها ما توصل إليه البحث من نتائج وكانت على النحو الآتي:

مقدمة

الفصل الأول: اللسانيات النصية و النص القرآني

- أولا- النص واللسانيات
- ثانيا- الانسجام و بنية النص
- ثالثا- النص القرآني

الفصل الثاني: الانسجام الصوتي الصرفي في النص القرآني

- أولا- المناسبة الصوتية
- ثانيا- الحكاية الصوتية
- ثالثا- الفاصلة القرآنية
- رابعا- الإيقاع

الفصل الثالث: الانسجام التركيبي في النص القرآني

- أولا- الإحالة
- ثانيا- الحذف
- ثالثا- التعريف (المحدد)
- رابعا- الموصول

خامسا- التكرار

الفصل الرابع: الانسجام الدلالي في النص القرآني

- أولا- الدلالة و البناء الدلالي في النص القرآني
- ثانيا-أدوات الانسجام الدلالي في النص القرآني

1. العموم و الخصوص
2. الإجمال و التفصيل
3. السياق و المناسبة

الفصل الخامس: البنى الكبرى و الصغرى في النص القرآني

مدخل

- أولا– البنية الكبرى في النص القرآني
- ثانيا– البنية الكبرى و توحيد الألوهية
- ثالثا– البنى الصغرى في النص القرآني

الخاتمة

فهرس المصادر والمراجع

فهرس الموضوعات

وفي الأخير لا يفوتني أن أتوجه إلى أستاذي الفاضل الأستاذ الدكتور **السعيد هادف** الذي أكّد بوافر علمه وواسع حلمه، على روح الأستاذية المتميزة والنادرة، التي أظلنا بها طوال مسيرة البحث إشرافا ومتابعة وتوجيها ودعما، فله مني خالص الشكر والعرفان، والله أسأل أن يجزل له العطاء نظير ما قدمه ويقدمه في سبيل العلم والوطن، ويمتِّعه بتمام الصحة والعافية، والشكر موصول إلى **أعضاء لجنة المناقشة** الموقَّرين الذين اقتطعوا لنا من أوقاتهم الثمينة وقتا خصصوه لقراءة هذا البحث وتوجيهه، والذين أطمع أن يمنحوني كثيرا من النصح والتصويب، كما أتوجه بالشكر الجزيل إلى **كلية اللغة الأدب العربي والفنون** بجامعة باتنة إدارة وأساتذة، وإلى كل من كان له فضل في انجاز هذا البحث.

الفصل الأول

اللسانيات النصية والنص القرآني

أولا–النص واللسانيات

ثانيا–الانسجام وبنية النص

ثالثا–النص القرآني

أولا- النص واللسانيات:

اهتم العلماء منذ القدم باللغة لأنها الوسيلة الأساسية للتواصل، وكشفوا عن قواعدها التي تفضي إلى التواصل وأبانوا الكثير من الأسرار المحيطة بأصواتها وصرفها وجملها ودلالاتها في دراسات لا تعد ولا تحصى في حضارات مختلفة، لكنها دراسات ظلت زمنا طويلا متوقفة عند التركيب الجملي بوصفه البنية الحاملة للدلالة، وأنتجت حول هذا التركيب كما لا بأس به من التعريفات التي عجزت عن أن تكون جامعة مانعة في هذا الموضوع الذي رأت فيه منتهى التقسيم البشري للاستعمال اللغوي، واستمر هذا الأمر قرونا عديدة شاملا نصف القرن الماضي بتياراته الحديثة المختلفة التي شكل فيها البحث عن البنية والنظام في اللغة الموضوع الأساس والأهم.

لكن الباحثين في اللغة انتبهوا في النصف الثاني من القرن الماضي إلى فكرة أن المعنى لا يؤدى على وجه فعلي في إطار النموذج الجملي، بل يؤديه في متوالية من الجمل في غالب الأحيان، أما الجملة الواحدة ففي النادر ما يحصل وفاؤها بالمعنى التداولي؛ وقد فسح هذا التصور المجال لمصطلح جديد أكثر وفاء وكفاية للتعبير عن الأداء البشري للغة ؛ هذا المصطلح هو النص، و هو بلا شك متعلق بالبناء الدلالي للغة البشر، ومرتبط بالنموذج الكلي لأداء الدلالات والأغراض المراد تحقيقها من التواصل من هذا الأساس أصبح الأداء البشري للغة متشكلا من النصوص لا الجمل .

ولاشك أن النصوص كانت تعمل منذ نشأ الاجتماع البشري وليست وليدة القرن الماضي، إذ لا يوجد كلامٌ ملفوظ منجز منذ استعمل الإنسان اللغة؛ أي لغة، خارج إطار النص، كما أن النص بوصفه البنية اللغوية التي تتجلى بها اللغة في النشاط اللغوي اليومي كما في لغة التخصصات العلمية، فقد تعددت العلوم التي درسته في العصر الحديث كالنقد، والبلاغة، والتفسير، وعلم النفس والاجتماع... الخ، فكان متشابكا معها في موضوعاتها، ثم استقل كل واحد منها بنفسه فاقتصر على موضوعه الدقيق، ثم

استقل،والتحق جزءٌ ممَّا كان يجب أن يكون موضوع علم يدرس النصَّ من حيث هو نصٌّ، باللسانيات. [1]

ولما كانت النصوص المُنجزة أبنية نسقية ذات طبيعة معقدة تشبه في تعقيدها بيت العنكبوت الذي تتعالق خيوطه الرفيعة، وتتكامل مُشَكِلَة بناء هندسياً محكماً، وكان أهم وصف يصدق على هذا البناء كونه منسجماً متعاضداً [2] كانت مرافقة اللسانيات لمباحث النص نابعة من الطابع اللساني الذي يتجلى فيه، بل كان لهذا الطابع الدور الأساس في وسم اللسانيات بطابع النصية في مقابل الجملية، التي كانت سمة للسانيات التقليدية، فما هو النص في منظور لسانيات النص؟ وما المعايير التي تضمن له نصيته أي اكتماله الدلالي؟ وما هي مناهج الوصف اللسانية التي تناولت هذه النصية؟

1 –مفاهيم النص في لسانيات النص:

بداية يجب التأكيد على أن الدراسات اللسانية النصية قد ظهرت في الغرب في الستينيات والسبعينيات من القرن العشرين، وهذه الدراسات تسعى إلى إبراز الطبيعة الكلية للنصوص، والنسيج الذي يربط بين أجزاء النص[3]، وقد ظهرت بتسميات متعددة مثل علم النص ونظرية النص ولسانيات النص وعلم لغة النص، ونحو النص وتحليل الخطاب[4]، وترجع تسمية اللسانيات النصية الألماني هارالد فاينريش H. Weinrich سنة 1967 في مقال له في مجلة الشعرية Poetica[5].

---

[1] – ينظر، نسيج النص: 18

[2] –ينظر، نحو النص مبادئه واتجاهاته الأساسية، نعمان بوقرة، ص: 22

[3] – تحليل النص، محمود عكاشة، دراسة الروابط النصية في ضوء علم اللغة النصي، مكتبة الرشد ناشرون، القاهرة ط1، 2014، ص: 6

[4] – الترابط النصي في الخطاب السياسي دراسة في المعاهدات النبوية، سالم بن محمد المنظري، بيت الغشام للنشر والتوزيع، مسقط، ط1،2015 ، ص: 26

[5] – مدخل إلى علم النص مشكلات بناء النص، زتسيسلاف واورزنياك ، تر سعيد حسن بحيري، مؤسسة المختار ، القاهرة ، ط1، 2003، ص: 36

ثمة اختلاف شديد بين الاتجاهات اللسانية الحديثة في تعريف النصِّ يصل أحياناً حدَّ التناقض والإبهام أحياناً أخرى ؛ فلا تعريفَ متفق عليه من الباحثين النصيين ؛ بل صار وجود تعريفٍ جامعٍ مانعٍ للنصِّ مسألة غير منطقية من جهة التصور، ومع هذا ظلت محاولة الوصول إلى تعريف يضم أكبر عدد من الملامح المائزة للنص طموح الباحثين في هذا المجال ؛ رغم أن الوصف اللغوي للنص وصف معقدٌ يتجاوز حدودَ ما هو قائم في اللغة والواقعِ اللغوي، إلى ما هو غير قائم في اللغة بل في الواقع الخارجي، لأن المادة الفعلية التي تقدمها تراكيب اللغة ليست كافية لتقديم تفسيرات دقيقة للنص [1].

يذهب منذر عيّاشي في هذا الإطار إلى أن صعوبة تحديد النص راجعة إلى ذاتية النص؛ فالنص «دائمُ الإنتاج؛ لأنه مستحدثٌ، ودائم التخلف؛ لأنه دائما في شأن ظهورا وبيانا ويستمر في الصَّيرورة؛ لأنه متحرك وقابل لكل زمان ومكان؛ لأن فاعليته؛ متولّدة من ذاتيته النصية، وهو إذا كان كذلك فإنَّ وضعَ تعريفٍ له يعتبر تحديداً يلقي الصيرورة فيه، ويعطل في النهاية فاعليته النصية» [2].

ومن هذا المنطلق أفرزت الاتجاهات اللسانية المتباينة كماً هائلاً من التعريفات لهذا المصطلح، جعلت الباحثين يصنفونها في تيارات مختلفة وفق معايير متعددة؛ فمنهم من صنفها بحسب الاتجاهات النقدية التي أفرزتها [3]، ومنهم مَنْ صنفها بحسب صلتها بالبنى

[1]– ينظر، علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات، ص: 101، 107

[2] – النص ممارساته وتجلياته، منذر عياشي، مجلة الفكر العربي المعاصر،ع 96،97 ، 1992، ص : 55

[3]– ينظر، النص الغائب تجليات التناص في الشعر العربي، محمد عزام، منشورات اتحاد الكتَّاب العرب، دمشق، 2001، ص: 11، 25.

النصية والسياقات النصية[1] ومنهم مَنْ صنفها بحسب صلتها بالجملة [2]، ومنهم مَنْ صنفها بحسب اتجاهات أصحابها و منطلقاتهم الفكرية. [3]

وأفضل تصنيفات تعريفات النص هو تصنيفها على وفق التركيب والدلالة؛ لأنَّ هذا التصنيف يمنع إغفال أيّ اتجاه تناول النصَّ في دراسته سواءً البنيويّ أم التوليديّ التحويليّ، أم النصيّ، أم السيميائيّ؛ كما أنهُ سيكشف رؤية مُعرفِ النصِّ.

1-1-التعريفات التي اعتنت بتركيب النصِّ:

ففي الدراسات الغربية يشير **رولان بارت R. Barthes** إلى أنَّ النصَّ هو جسم مُدرك بالحاسة البصريَّة، وهو يرتبط بالكتابة، أي برسم الحروف. ولو أنه يبقى تخطيطاً فهو إيحاء بالكلام وتشابك النسيج [4]، والكتابة هي السمة الأساسيَّة للنصِّ عنده؛ فالكتابة ضمانة للشيء المكتوب، وصيانة له؛ وذلك باكتسابه صفة الاستمرارية؛ فالنصُّ بهذا يقف بوجه الزمن والنسيان [5].

يرى **فاينريش** أن النص تكوينا حتميا يحدد بعضه بعضا «وحدة كلية مترابطة الأجزاء يتبع بعضها بعضا وفقا لنظام سديد، بحيث تسهم كل جملة في فهم الجملة التي تليها فهما معقولا، كما تسهم الجملة التالية من ناحية أخرى في فهم الحمل السابقة عليها فهما أفضل».[6]

---

[1]- ينظر، نحو النص إطار نظري ودراسات تطبيقية، عثمان أبو زنيد، عالم الكتب الجديد الأردن ، ط 1 ،2010 ، ص: 12 .

[2]- ينظر، أصول تحليل الخطاب، ص: 82، 93.

[3] - ينظر، التحليل اللغوي للنص مدخل إلى المفاهيم الأساسية والمناهج ، كلاوس برينكر، ترجمة : سعيد حسن بحيري ، مؤسسة المختار القاهرة ، ط 1، 2005 م ، ص: 22،24 .

[4]- ينظر، لذة النص، رولان بارت، ترجمة منذر العياشي، ص : 10،11.

[5]- ينظر، النصُّ والأسلوبية بين النظرية والتطبيق، عدنان بن ذريل، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق 2000 ، ص: 60.

[6] - اللغة والإبداع الأدبي، محمد العبد ، دار الفكر للدراسات للنشر والتوزيع، القاهرة ، 1989، ص، 36.

ويرى **ايزنبرج** أنه متوالية متماسكة من الجمل، ويؤكد أن مصطلح متوالية ينبغي أن يفهم على أساس رياضي[1]، كما يعرفه **برينكر** على أنه تتابع مترابط من الجمل[2]

أما في الدراسات العربية فيبدو أن هناك تقليدا في التعريفات **فالأزهر الزناد** لم يعتنِ في تعريفه للنصِّ بربطه بالشفاهية والكتابية بل اعتمد مصطلح الكلمة في توصيفه؛ فهو عنده «نسيجٌ من الكلمات يترابط بعضها ببعض وهذه الخيوط تجمع عناصره المختلفة والمتباعدة في كُلٍّ واحد هوما نطلق عليه مصطلح النصّ». ([3])

أما **سعد مصلوح** فيعرف النص انطلاقا مفهوم الجملة في التراث العربي، بل ويراه مجرد حاصل الجمل المشكلة له بقوله: «أمَّا النصُّ فليس إلا سلسلة من الجمل كُلٌّ منها يفيد السامع فائدة يحسن السكوت عليها، وهو مجرد حاصل جمع للجمل أو لنماذج الجمل، الداخلة في تشكيلته» [(4)].

جملة التعريفات هذه التي تنظر إلى النصِّ على أنه متوالية من الجمل، هي تعريفات دائرية أي إنها توضح النصَّ بالجملة، والجملة بالنصِّ ومن ثَمَّ لا يمكن تطبيقها أو اعتمادها[(5)]؛ وذلك يعود إلى إمكانية وصف الجملة بأنها وحدات مستقلة، بمعنى أنَّ ما يكون يكون جملة ضمن نصٍّ ما، يكون في غير موضع نصا ومن هذا قول القائل إذا انتهى من طعامه: (الحمد لله رب العالمين)، فهذه الجملة إذا قيلت مستقلة فهي نصٌّ، لكنها إنْ قيلت ضمن (سورة الفاتحة) فإنها جملة، وإلى هذا أشار **دي بوجراند** بقوله : « إننا لا نستطيع أن نتناول النصوصَّ من خلال وصفها بأنها وحدات أكبر من الجمل، أبأنها جُملٌ متوالية في

---

[1] – مدخل إلى علم لغة النص، فولفجانج هاينهمان وديترفي هفجر، ترجمة سعيد حسن بحيرى، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة،ط1 ،2009 ، ص:45.

[2] – علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات، ص: 107.

[3]– نسيج النص بحث في ما يكون به الملفوظ نصاً، الأزهر الزناد، المركز الثقافي العربي، ط1 ، 1993، ص: 12.

[4] – العربيَّة من نحو الجملة إلى نحو النص، سعد مصلوح، ضمن الكتاب التذكاري لجامعة الكويت (دراسات مُهداة إلى ذكرى عبد السلام هارون) ، إعداد وديعة طه النجم وعبده بدوي، 1990 م، ص: 407.

[5] – ينظر، نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي ، ص: 22.

سياق ؛ ذلك بأنَّ الخاصية الأولى للنصوصِّ من باب أولى هي كونها ترد في الاتصال، و لربما يأتي أحد النصوص على صورة كلمة واحدة، أو جملة واحدة، أو مجموعة من الأجزاء، أو خليط من البنيات السَّطحية، ويترتب على ذلك أنَّ توسيع نطاق دراسات الجملة إذ تشمل النصوصَّ لا بدَّ أن يفقد النصوصَّ عدداً من الأمور الحيوية، وأن يسبب مشكلات عملية خطيرة»[1].

1-2-التعريفات التي اعتنت بدلالة النص:

هذا التيار يعرف النص انطلاقا من وظيفته التواصلية، ومنه يركز على الدلالة الكلية التي يؤديها في إطار التواصل، ولا يولي اهتماما كبيرا بالرصيد التركيبي الجملي الذي توصلت إليه اللسانيات في تعريفها ببنية للغة.

هذا ما جعل **شميت** S. Schmidt الاتصال أساساً في تعريفه للنصِّ فهو عنده «كُلٌّ تكوين لغوي منطوق من حدث اتصالي – في إطار عملية اتصالية – محدد من جملة المضمون ويؤدي وظيفة اتصالية يمكن إيضاحها، أيّ يحقق إمكانية قدرة إنجازيه جلية» [2].

ويلاحظ أن هذا التعريف لا يتطرق إلى المحددات التركيبية للغة سواء منها المتعلق بالكلمة أو الجملة، بل كان الهم الأساسي تحقيق قدرة إنجازية بهذا التكوين اللغوي المنطوق.

ويضع **يانوس بتوفي** S. j. petofi المقبولية بين المتحاورين شرطاً في تحديد النصِّ، فالنص عنده يستعمل «للإشارة إلى موضوع سيميوطيقي، يحفَظ كتابة على شريط مسجل أو شريط فيديو، ويوافق اثنان من أبناء اللغة المقدَّمة على الأقل على أنَّ الموضوع المقدَّم هو نص» [3].

---

[1]- النص والخطاب والإجراء ، ص: 64.

[2] – علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات، ص: 81.

[3] – كريستآ دميستك ، لسانيات النص عرض تأسيسي ، ترجمة سعيد حسن بحيري ، مكتبة زهراء ، الشرق القاهرة ، ط1 ، 2009 م ، ص: 90.

أما ديتر فيهفجرD.Viehweger فقد ركز على جوهر النصِّ وحقيقته الإدراكية ولم يعر أدنى اهتمام بالجانب التركيبي؛ إذ رأى أن النص: «إلحاق كائن وفق خطة فعل محددة؛ أي نظام دينامي للأفعـــال والعمليات –قواعد إنشاء النص – ومتحقق من خلال قواعد النظام اللغوي لمضامين الوعي بوصفها ناقلات لظواهر وأحوال الواقع و التتابعات الصوتية» (1)

والملاحظ في هذه التعريفات اليسيرة لهذا التيار ربط الباحثين النص بالوظيفة الاتصالية، حتى صار بعضهم يميز النص من اللانص انطلاقا من هذه الوظيفة.

1-3-تعريفات جمعت بين التركيب والدلالة:

لعل بناء التعريفات الواصفة لفكرة النص على الجانب التركيبي لاسيما ما تعلق منها بلسانيات الجملة أو ما عرف بتوسيع النموذج الجملي وربط الدلالة بالجانب الشكلي الصرف أثبتت الدراسات التطبيقية عدم كفايتها التفسيرية لأن دلالة النص أكبر من أجزاءه المكونة له، كما أن تعريف النص تعريفا سليما دون الاتكاء على مكوناته الشكلية سيؤدي إلى تمييع مفهومه من هذا المنطلق كان الحل الأمثل هو الجمع بين التركيب والدلالة في التعريف بظاهرة النص.

من هذه الزاوية ينظر **هاليداي** إلى أن النصَّ «وحدةٌ معنوية أساسية في اللغة؛ علاقته بالبنية الدلالية كعلاقة الجملة بالبنية المعجمية النحوية، وكعلاقة المقطع الهجائي بالبنية الفونولوجية. النصُّ هو وحدة من تنظيم مقاميّ دلاليّ: تواصل المعنى في السياق؛ حيث يبنى بفعل العلاقة الدلالية للاتساق» [2].

والنصُّ عند فان دايك هو نتاجٌ لفعل ولعملية إنتاج من جهة، وأساسٌ لأفعال، وعمليات تلقٍ واستعمال داخل نظام التواصل والتفاعل من جهة أخرى، وهذه العمليات التواصلية

[1] – إسهامات أساسية في العلاقة بين النصِّ والنحو والدَّلالة، سعيد حسن بحيري، نقله إلى العربية وعلَّق عليه، مؤسسة المختار، القاهرة، ط1 ، 2007، ص: 266.

[2] -Halliday ,M.A.K. and Ruqaya Hassan,Cohesion in English, Longman, 1st pub, New York, 1976 P:4.

الأدبية تقع في عدة سياقات تداولية ومعرفيَّة وتاريخيَّة تُحدِدُ الممارسات النصية، وتُحَددُ بوساطتها، وهي تُعرض بحسب جماعات المشاركين، وأدوارهم وقواعد الاستراتيجيات التي تنظم ممارساتهم النصية [1].

لعل الجمع بين التركيب والدلالة أو البنية والوظيفة التواصلية أمرا ضروريا لتعريف النص تعريفا أكثر مقبولية لجمعه بين العناصر اللغوية والدلالة التي يحسن السكوت عليها بناء على انجازيها التداولية، وقد تكون المعايير النصية التي اقترحها روبرت دي بوحراند[2] والتي لاقت استحسانا ورواجا لا نظير لهما في أوساط اللسانيين النصيين المثال السليم لهذا الجمع بين التركيب والدلالة.

2-معايير النصية:

يعد كتاب "النص والخطاب والإجراء" لروبرت دي بوغراند مرحلة متقدمة من النضج في البحث اللساني النصي لاسيما في معالجة معايير التنصيص، وأصبح النص نصا بتوفر سبعة معايير محددة لا يمكن الاستغناء عن أي منها، وكلما تخلف عنصر منها لم يتمكن النتاج اللغوي من الدخول في مرتبة النص النموذج الإنساني للتواصل، ونظرا لأهميتها نوردها موجزة فيما يلي مع تفصيل في معيار الانسجام في الفصول اللاحقة لأنه المحور الذي تدور حوله الدراسة برمتها.

2-1-التماسك الشكلي أو الاتساق Cohesion:

ويترجمه بعض الباحثين التضام، وهو يترتب على إجراءات يبدو بها الشكل الخارجي للنص مترابطا كبناء العبارات والجمل، واستعمال الضمائر، والإحالة، وغير ذلك مما يجعل

[1]- ينظر، النص والسياق استقصاء البحث في الخطاب الدّلالي والتداولي، فان دايك، ترجمة عبد القادر قنيني، أفريقيا الشرق، بيروت لبنان، 2000م، ص: 21.

[2]- ينظر، النص والخطاب والإجراء، ص: 103-105.

النص متماسكا من الوجهة العامة اللفظية أو الشكلية [1]، يدخل في دراسة السبك إذن عملية السبك اللفظي المتصلة بالترادف والتقابل والأشكال البديلة، والضمائر، والإحالة، وأدوات الربط، والحذف.

2-2-الانسجام: Coherence

وهو يشتمل على الإجراءات المستعملة في إثارة عناصر المعرفة من مفاهيم وعلاقات، منها علاقات منطقية كالسببية [2]، ومنها معرفة كيفية تنظيم الحوادث، ومنها أيضا محاولة توفير الاستمرارية في الخبرة البشرية، وتقديم معلومات عن الأحداث والأعمال والموضوعات والمواقف [3] وبذلك يعني الحبك الربط المعنوي، وتنظيم العلاقات بين المعاني التي يريد المبدع التعبير عنها، وإثارة المعرفة والخبرة الإنسانية لدى المتلقي.

هناك شبكة من المفاهيم والعلاقات اللغوية تشكل عالم النص، تتمثل العلاقات اللغوية في التفسير، والتعليل، والتوكيد، والتعليق الشرطي، والتعاقب، والمعية، والتتابع الزمني، والجمع بين الأشياء والاستدراك والإضراب والعموم والخصوص والمناسبة والتخطيط على مستوى البنى الصغرى والبنية الكبرى. هذه العلاقات يكون لها وجود في نفس المبدع، ويحاول نقل هذا الوجود إلى المتلقي، والمتلقي يشارك المبدع في تكوين شبكة العلاقات هذه بصورة أخرى تنطبق مع خبراته المرتبطة بموضوع النص.

فما يقدمه الناص المبدع نص لغوي، يثير قضايا ومفاهيم في ضوء علاقات معينة هذه العلاقات لا وجود لها على مستوى الألفاظ، بل يتحدد وجودها على أساس من إدراك عوالم

---

[1] – ينظر، النص والخطاب والإجراء، ص: 103، ص: 11، و حسام أحمد فرج، مكتبة الآداب ، نظرية علم النص رؤية منهجية في بناء النص النثري، ط1، 2007، ص: 78.

[2] – علم لغة النص النظرية والتطبيق ، ص: 120، 121.

[3] – مدخل إلى علم لغة النص تطبيقات لنظرية روبرت دي بوجراند و ولفجانجدرسلر، إلهام أبوغزالة وعلي خليل حمد ، ، إعداد مركز نابلس للكومبيوتر، مطبعة دار الكتاب، ط1، 1992، ص: 11، 12، والنص والخطاب والإجراء، ص: 103.

النص، ولذا المتلقي النموذجي إذا كان تفكيره، وكانت ثقافته مغايرة للمبدع المنتج؛ فإن فهمه وتقبله للنص سوف يختلف عما يقصد إليه المنتج.

2-3-القصديةIntentionality 2-4-المقبولية Acceptability:

وقد جمعت المعيارين معا؛ لأن كلا منهما مرتبط بالآخر، فكلاهما يتحدث عن الهدف الذي من أجله تم إنشاء الرسالة (النص) ومدى احتوائها على التماسك والترابط، أو التماسك والحبك، فالقصدية **Intentionality** في أقرب تعريفاتها تعني قصدية المنتج توفير التضام والتقارن في النص، وأن يكون أداة لخطة موجهة إلى هدف. والتقبليةAcceptability تعني تقبلية المستقبل للنص باعتباره متضاما ذا نفع للمستقبل، أو ذا صلة ما به[1].

القصدية إذن تتناول ثلاثة أمور، هي الهدف من إنشاء الرسالة، وتوفير السبك والحبك، توجيه النص بما يحويه من السبك والحبك لتحقيق الهدف من إنشاء الرسالة.

والتقبلية أو المقبولية أيضا تتناول ثلاثة أمور، هي ارتباط الهدف بالمستقبل، كون الرسالة مسبوكة محبوكة، تفسير الرسالة بما تتضمنه من السبك والحبك بأنها تتضمن شيئا ذا صلة بالمستقبل.

ومن ثم فهناك عنصران مشتركان بين القصدية والتقبلية، هما كون الرسالة مسبوكة محبوكة، وكون الرسالة ذات هدف، وبقي أن تنفرد القصدية برغبة المبدع في تحقيق الهدف لدى المتلقي، وتفسير المتلقي لهذا الهدف بما يرتبط به.

2-5-التناص: Intertextualite

عُرّف التناص اصطلاحا بأنه: «الوقوف على حقيقة التفاعل الواقع في النص في استعادتها أو محاكاتها لنصوص –أو الأجزاء–من نصوص سابقة عليها» [2].

---

[1]– ينظر، مدخل إلى علم لغة النص، ص: 12، والنص والخطاب والإجراء، ص 103، 104.

[2] – التناص سبيلا إلى دراسة النص الشعر بمجلة فصول، شربل داغر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، المجلد 16، العدد 01، القاهرة، 1997، ص: 127.

وعُرّف هذا المفهوم أيضا بأنه: «تفاعل النص في نص بعينه» [1].

التناص بهذين التعريفين يتضمن العلاقة بين نص ما ونصوص أخرى ذات صلة، تم التعرف إليها في خبرة سابقة، وهذا ما يطلق عليه في النقد العربي التأثر، أو التضمين، أو الاقتباس، كما يقترب منه مفهوم المعارضات الشعرية، والهدف منه السيطرة الحجاجية على ذهن المتلقي بما سبق من نصوص وبناء النص الجديد الذي يخرق أفق توقع ذلك المتلقي.

2-6-الإعلامية Informativity:

تعني الإعلامية الجدة في الخبر المطروح، وعدم توقع المتلقي استقبال هذا الخبر بهذا الشكل، أو بتلك النسبة [2]، ومن ثم تتشكل درجة الإعلامية وتختلف باختلاف ثقافة المتلقي ومدى استعداده لتوقع الخبر، كما تعتمد على مستوى الغموض التوقعي في تفسير النص.

وانطلاقا من إستراتيجية بناء الخطط المعلومية بالنظر إلى المتلقي المستهدف من العملية النصية رصدت اللسانيات النصية ثلاثة أنواع على الأقل من الإعلامية [3] هي العليا والدنيا والخارجية، فالعليا يكون توقع الخبر فيها ضئيلا، والدنيا يكون توقع الخبر فيها كبيرا، أما الخارجية فتكون نسبة توقع الخبر المطروح معدومة، ويمثل هذا الخبر صدمة للمتلقي، ويحاول تفسير هذا الخبر بالرجوع إلى الخلف أو بما يتلوه من بقية النص.

2-7- الموقفية Situationality :

تشتمل الموقفية "السياق" على العوامل التي تجعل النص ذا صلة بموقف حالي، أو بموقف قابل للاسترجاع[4]، وهي في مفهومها العام تعني الظروف المحيطة بعملية الإبداع وعملية التلقي، فإذا كان الخطاب مباشرا في مواجهة المتلقي، فهناك كثير من التوافق في

---

[1] – التناص سبيلا إلى دراسة النص الشعر بمجلة فصول، شربل داغر، ص: 128.

[2] – ينظر ، مدخل إلى علم لغة النص، ص: 12، 184.

[3] – نفسه، ص: 187.

[4] – نفسه، ص: 11، و ينظر، النص والخطاب والإجراء، ص: 104.

الموقفية، إما إذا كان الخطاب غير مباشر؛ كأن يكون رسالة مكتوبة مثلا كما في حال قصيدتنا، فإن الظروف المحيطة بعملية الإبداع قد تختلف كثيرا أو قليلا عن الظروف المحيطة بعملية التلقي، وهنا قد يتحول المتلقي إلى مبدع من نوع خاص، فتقع عليه مسئولية إعادة قراءة النص في ضوء تخيله للظروف المحيطة بالإبداع، كما أن عليه أيضا أن يقوم بتخيل ملامح الوجه، والمصاحبات اللغوية الأخرى، كما أن عليه أن يحاول معرفة طرق تنغيم هذه الرسالة، ومواطن الوقف أو السكت، وعليه أن يتخيل بعض الأسئلة التي تجيب عنها الرسالة في بعض فقراتها، وعليه أيضا ملاحظة درجة انفعال المبدع في بعض المواقف، وخفوت هذا الانفعال في مواضع أخرى؛ ليتمكن من معرفة استراتيجيات الخطاب المستعملة في إنشاء النص.

إن العوامل النفسية والاجتماعية لها دور كبير في إبداع النص والتأثير فيه، ولا يمكن بحال إغفالها في تحليل النص، يقول دي بوجراند: «ينبغي للنص أن يتصل بموقف يكون فيه Situation of Occurrenceتتفاعل فيه مجموعة من المرتكزات Strategies والتوقعات Expectationsوالمعارف Knowledgeوهذه البيئة الشائعة تسمى سياق الموقف Context»[1].

3-نماذج وصف النص:

في خضم التطور الهائل الذي عرفته اللسانيات في العصر الحديث، سجلت اللسانيات تغيرا نوعيا من حيث الكم والمنهج والغاية، وذلك بتمردها على حدودها الضيقة بل والخاطئة،فقد انتقل الدرس اللساني -كما سبقت الإشارة فيه من مجال الجملة إلى مجال النص، لكن الجملة لا تزال تمثل الركيزة الأساس في بناء النص لأنه من غير الصائب الاستغناء عن المجهود الكبير الذي بذل في إطارها، وما عاد من الممكن الادعاء بأن هناك قطيعة تامة ما بين نحو الجملة ونحو النص، لكن تجاوز هذا الأخير لحدود الجملة قد فتح

[1]- النص والخطاب والإجراء، ص: 91.

آفاقا لفهم وتفسير النصوص ولقد تم التغلب على الوصف النحوي الذي اقتصر على الجملة المفردة في ضوء ما عرف بـ " فرضية التوسيع "،التي تعد نقطة انطلاقها اعتبار النصوص وحدات متجاوزة للجملة. لكن كيف بدأ التفكير نحويا في تجاوز الجملة؟ ثم ما هي مسوغات ذلك؟

عرفت عملية التحول في بدايتها توسيعا مبدئيا لقواعد الجملة، انطلاقا من فكرة أن النصوص والجمل تشترك في نفس الصفات، وعليه فالمنهج الخاص بنحو الجملة تمكن توظيفه في تحليل النص، « ومن ثم كان "نحو النص "يفهم على أنه نوع القواعد لعدة جمل، ولما كان تجاوز حدّ الجملة أمرا أساسيا لإدراك النصيّة فقد وصفت النصوص بأنها كليّات متجاوزة للجمل»[1] ،وتبلور هذا التصور في ظل أوجه التشابه القائمة بين الجملة والنص، والمتمثلة في أنهلا يمكن تحديد عدد نهائي من جهة الكم للجمل أو النصوص في كل لغة.كما تعد كل من الجمل والنصوص ناقلات للموضوعات ومصوغة صياغة زمنية.ولهما في حد ذاتهما طابع بنيوي ويتكونان من عناصر لكل منهما علاقة بالآخر ويمكن أن تأتلف الجمل والنصوص على أساس نماذج معينة في أقسام، وتقوم هذه الأقسام بوظيفة نماذج لإنتاج الوحدات المذكورة وتلقيها»[2].

لقد كانت بداية الانتقال من نحو الجملة إلى نحو النص، بطيئة ومحتشمة، تركز الاهتمام فيها على وصف وحدات خلف حد الجملة"العبارة" أي أنها لم تبلغ درجة وصف النص كمتوالية من الجمل، «ويعد ممهد الطريق لهذا التصور في علم اللغة الروسي بشكوفسكي، وفي الدراسات اللغوية الجرمانية ك. بوست وذلك منذ سنة 1949 م» [3].

---

[1] – مدخل إلى علم لغة النص،فولفجانج هاينهمان وديتر فيهقجر، ، ترجمة سعيد حسن بحيرى، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة،ط1 ،2009 ، ص: 10.

[2] – نفسه، ص: 20.

[3] – مدخل إلى علم لغة النص، ص:19 .

وانطلاقا من هذه الخلفية ظهرت عدة نماذج لوصف النص نذكر أهمها على الإطلاق فيما يلي:

3-1-النص في المنظور النحوي:

سبق وأن أشرنا إلى أنّ ايزنبرج يذهب إلى"أن النص تتابع متماسك من الجمل، كما نجدها في الاستعمال الاتصالي اللغوي، إلا أنه يركز اهتمامه على مصطلح" تتابع" ويضفي عليه بعدا رياضيا.

ويشير بكلمة «"نص" إلى متوالية منسجمة من الملفوظات التي تستعمل في التواصل اللغوي» [1] ولمّا كان التأكيد على تتابع الجمل، وجب اقتراح خصائص للنصوص، تكفل للجمل جودة سبك داخل النص، ومن أهمها، التتابع الأفقي للجمل وتحديد الجهة اليسرى والجهة اليمنى والاستقلال النسبي والتماسك داخل تتابع الجمل ووجود علاقات دلالية بين مكوناتها السطحية [2].

وفي سبيل التقنين لأشكال الترابط والتماسك بين الجمل، يستثمر" إيزنبرج" ما سماه " وسائل التنصيص "ومنها الأشكال المتنوعة للربط، الضمائر، أشباه الظروف وعلامات التقسيم مورفيمات الزمن، ظروف الجملة، أدوات السؤال والإجابة عناصر منفردة، والتنغيم، ونبر الجملة والتوكيد، وبناء الحذف، والتقسيم إلى موضوع ومحمول كوسائل كلية.

ومن أنماط التنصيص عند إيزنبرج «الإسناد إلى متقدم، الارتباط السببي، الارتباط لوجود دافع أو علة، التفسير التشخيصي، التخصيص، ونظام ما وراء اللغة، الارتباط الزمني،

[1] – فنون النص وعلومه، فرانسوا راستيي، ترجمة ، إدريس الخطاب، دار توبقال ، الدار البيضاء ، المغرب ، ط1، 2010، ص:49 .

[2] – مدخل إلى علم لغة النص، ص:21.

الارتباط الافتراضي، التقابل العكسي، التطابق بين الإجابة والسؤال، والمقارنة، والإضراب عن قول سابق» [1].

والنص في نظر روجر فاولر عبارة عن «البنية السطحية الخطية الأكثر إدراكا ومعاينة» [2]، وهو يقصد بالبنية للسطحية في هذا التعريف، تلك «المتوالية من الجمل المترابطة فيما بينها على نحو يشكل استمـــرارا وانسجـــاما على صعيد تلك المتوالية» [3].

أما عند "هارفج" فـــ «النص هو ترابط مستمر للاستبدالات السنتجميمية التي تظهر الترابط النحوي في النص» [4]. وينطوي هذا التحديد على معطى أساس، وهو أن الامتداد الأفقي للنص يتم من خلال الجسور الترابطية التي تهندسها وسائل لغوية معينة، ولعل أهمها التسلسلات الضمائرية، فالنص تتابع مشكل من خلال "تسلسل ضميري متصل" لوحدات لغوية، وهكذا يؤسس هارفج مفهومه للنص على مبدأ الإحالة فنجده يتحدث عن « استبدال نحوي (سينتجماتي)، ويضع تصنيفا معقدا من أنماط الاستبدال، ومن الأنماط الأساسّية للاستبدال النحوي لدى "هارفج" استبدال المطابقة مثل تكرير الوحدة المعجمية واستبدال المشابهة مثل الإعادة من خلال المترادفات واستبدال التلاصق تحقيقات مختلفة للإعادة الضمنية» [5].

والنص في رأي فاينرش «تكوين حتمي يحدّد بعضه بعضا، إذ تستلزم عناصره بعضها بعضا لفهم النص» [6]، وجوهر نموذج وصف النص لدى فاينرش يتلخّص في أنّ النص يسخّر

---

[1] – انظر، اللغة والإبداع الأدبي، محمد العبد، ، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، القاهرة، ط2، 2007 ص: 41-43.

[2] – تحليل الخطاب الروائي، سعيد يقطين، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 1989، ص: 43.

[3] – انفتاح النص الروائي: (النص –السياق)، سعيد يقطين، المركز الثقافي العربي، بيروت، الدار البيضاء، ط1989،1 ، ص: 12.

[4] – علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات، ص: 99.

[5] – مدخل إلى علم النص مشكلات بناء النص، زتسيسلافواورزنياك، ترجمة سعيد حسن بحيري، مؤسسة المختار، القاهرة، ط2، 2010م، ص: 55.

[6] – ينظر، علم لغة النص الاتجاهات والمفاهيم، ص: 99.

أدوات نحوية التعريف، التنكير، مورفيمات الزمن لتوجيه عملية التجاوب والاتصال، وتوجه أداة التعريف المتلقي إلى معلومات سابقة، في حين يوجهه التنكير نحو معلومات لاحقة، «وبهده الطريقة يثار لدى المتلقي من خلال الاستخدام المقصود لصيغ الأدوات، عمليات ترتيب معينة، ضرورية لعملية فهم النص» [1].

من هذا الاساس كانت وسائل النموذج النحوي لوصف النص وسائل نحوية جملية بحتة موسعة في إطار أكبر من الجملة أو بعبارة أدق في الإطار الكلي للنص.

3-2-النص **من المنظور الوظيفي:**

في مقابل التوصيف النصي على أساس نحوي صرف ارتكزت الأبحاث في مدرسة براغ على مفهوم جوهري **للجملة الوظيفية**، والذي يقتضي وجوب التمييز بين وظيفتين إخباريتين وهما: الموضوع والمحمول، على اعتبار أن «المتقدم(الموضوع) هو الشيء المتحدث عنه، الذي يفترض المتكلم معرفة المخاطب له، والمتأخر (= المحمول) هو الجزء المتمم للجملة، الذي يضيف إلى معلومات المخاطب السابقة معلومات جديدة تتصل بالمتقدم »[2].فالجملة الوظيفية تخضع لبناء أو ترتيب نحوي(الموضوع / المحمول)، وانطلاقا من هذا الترتيب تتحدد وظيفتها الإبلاغية، فكل ترتيب يحمل وظيفة خاصة به، لذلك يهتم الوظيفيون بالإجابة عن السؤال: لماذا وردت الجملة على هيئة معينة؟

لقد استثمر "دانش" هذه المعطيات على صعيد النص والذي اعتبره تتابعا للموضوعات، وبإمكاننا فهم دلالة النص، بتتبع تضاريسه واقتفاء ما سماه التدرج الموضوعاتي في النص إذ تكمن البنية الحقيقية لموضوعات النص – في نظر دانش– في تسلسل الموضوعات وترابطها، في تدرجها وعلاقاتها فيما بينها، وبين فقرات النص وبين النص ككل علاقته

[1] – ينظر، مدخل إلى علم لغة النص، ص: 24.

[2] – مدخل إلى اللسانيات، محمد يونس علي، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان،ط1، 2004، ص: 71.

بالمقام أو الموقف التواصلي، ويتخذ توالي الموضوعات عند دانش ثلاثة أنماط أساسية، هي : التوالي الأفقي للموضوعات. وتوالي ذو موضوع مستمر. وتوالي ذو موضوع متفرع.

وحسب فولفجانجايزر يمكن أن يفسر تعاقب الموضوعات **توالي النص**، بأنه ربط موضوعات مختلفة بوحدات جملية متجددة دائما في شكل توال أفقي، وفي هذه الحال يعاد تلقي موضوع الجملة الأولى باستمرار من خلال أشكال تكرار متباينة، ويربط بأبنية المحمول الجديدة، وهو بذلك يشكل نوعا من ثبات موضوع النص«فيهذه الحالة تلحق أبنية (الموضوع – المحمول) المفردة، بموضوع علوي / موضوع شامل...غير أن نموذج المنظور الوظيفي للجملـــة القائم على أساس نحوي صارم قد ارتكز في أنمـــاط التوالي على أســـاس دلالي –اتصالي»[1].

3-3-النص من المنظور الدلالي:

ظهر نموذج وصف النص القائم على أبنية الأساس الدلالية، كرد فعل اتجاه الرؤية النحوية المحضـة للنص، والتي لا يمكن الاكتفاء بها في معرفة حقيقة النص، فأدوات الربط التركيبية أو مفاهيم الاتساق لا تمثل إلا وجها ثانويا، لتعقيدات النص؛ إنما المعول عليه في الوصف العلمي البناء هو دلالة النص الكلية، ومن ثم « لا يمكن أن يوصف اتساق نص ما، وصفا كافيا إلا باشتماله على بنية الأساس الدلالية، أما وسائل الربط التركيبية فلا تقوم على العكس من ذلك إلا بوظيفة إشارات إضافية، أي اختيارية دائما، تسهل على السامع معرفة بنية الأساس الدلالية في النصوص وفهمها»[2]وخير من تمثل هذا الاتجاه في الوصف النصي"كلاوس برينكر"و"فان ديك" و"بتوفي"، فقد قدم برينكر تعريفا للنص، مركزا على الجانب الدلالي المحوري حيث يقول:«إن مجموعة منظمة من القضايا أو المركبات القضوية تترابط بعضها مع بعض على أساس محوري – موضوعي – أو جملة أساس، من

[1] – مدخل إلى علم لغة النص، ص: 27-28.

[2]– نفسه، ص :31

خلال علاقات منطقية دلالية»[1]، ويؤكد" فان ديك" على المستوى الدلالي للنص، ويتكفل ببناء صرح نموذج بمفاهيم دلالية مثل:البنية العميقة، والبنية السطحية والبنية الكبرى والبنية العليا وقواعد التحويل (الحذف والتعميم والبناء) « إن تصور "فان ديك" للنص خلافا لتصور "ايزنبرغ" و" هارفج" اللذين يؤكدان على التماسك النحوي للنص، قائم على أساس دلالي للنص.»[2] مفاهيمه قضوية، لكنه لا يركز على المفاهيم المنطقية المتعلقة بالصدق والكذب ،بل يهتم بكيفيات ترابط هذه القضايا داخل النص ربطا قضويا، فهو يحدد أشكالا من العلاقات التي تنظم قضايا النص، داخل القضية الواحدة، وما بين القضايا أيضا.ومن العلاقات القضوية الداخلية في النص الوصل والعطف وقد اعتمد "**فان ديك** " في نموذجه أساسا على مفهوم" القضية"، لأنه يرى بأن النصوص ما هي إلا مركبات تحكمها السببية والشرطية والتعاقبية والاعتراضية والختامية والمقارنة والاستدراكية والإضرابية ،وهناك علاقات قضوية متداخلة كالتعليل والتوضيح والتخصيص والتأكيد والتصويب وعلاقات السؤال والجواب.

فالمتكلم حسب فان ديك يبسط تيمة النص أو بنيته الكبرى عن طريق التوسيع الدلالي تدعيم القضية النواة بقضايا أخرى وينتج عن ذلك النص"، في حين نجد السامع يستقبل النص، محاولا استنتاج بنيته الكبرى انطلاقا من اكتشاف بناه الدلالية الصغرى ثم دمجها.

أماعن يانوس بتوفي فقد حاول نقل مفهوم البنية العميقة للجملة في النحو التوليدي التحويلي إلى مستوى النص ممهدا لعلم دلالة توليدي نصي، ويؤكد تصوره على أنه» يمكن أن يطور من الأساس الدلالي الكم من أبنية المحمول – الحجة الموصوف بوسائل المنطق الشكلي قياسا على الجمل– نموذجا للنصوص أيضا، وأن يشق قواعد لبنائها بشكل منظم» [3]

[1] – علم لغة النص النظرية والتطبيق، ص : 101 .

[2] – مدخل إلى علم لغة النص، ص :57.

[3] – مدخل إلى علم لغة النص، ص:36.

والجدير بالذكر أن التناظر أو التشاكل ما يعني السمات المعجمية بوصفها مؤشرات لأوجه ترابط النص يشكل نموذجا دلاليا أيضا في وصف النص، وتعود فكرته الأساسية إلى السيميائي الفرنسي " جريماس"، وقوام هذا النموذج «أن دلالة النصوص تنشأ من اتفاق ملامح/سمات/ دلالية محددة للوحدات المعجمية الواردة في نص ما.»[1]،يوظف "جريماس" مصطلح "تناظر" أو"تشاكل " للتعبير عن هذه العلاقة المعجمية الدلالية التي تحدد التقارب أو التكافؤ الدلالي بين الوحدات المعجمية المكونة للنص، « وبذلك لا يكون للملامح السطحية إلا أهمية ثانوية لتماسك النص، غير أن الأساس الحاسم هو الظاهرة الدلالية الناشئة عن تكرير السمة الدلالية »[2] فالوحدات المعجمية التي تدخل في عملية التناظر تشكل سلاسل وشبكات تناظر، تسهم بشكل فعال في كشف الدلالات النواة في النص، كما أن العلاقات التناظرية تتعدد ما بين الوحدات المعجمية من خلال التكرار الكلي والاستئناف المتعدد الاشكال كالترادف واللفظ الشامل والتضاد والجملة المفسرة والاستبدال النحوي وتتضافر أوجه مع أشكال التكافؤ التركيبي المعجمي، في سبيل كشف القناع عن مظاهر الترابط الدلالي للنص.

3-4-النص من المنظور الاتصالي:

لقد قامت معظم نماذج وصف النص منذ السبعينيات على أساس تحديد الطريقة التي تعمل بها النصوص في كنف الحياة العملية، مشيرة إلى عناصر غير لغوية، إلا أن ما هو تداولي حقيقة لم يحظ بمساحة مناسبة وظل هامشيا، لكن مع ظهور نماذج النص الاتصالية، أصبح البعد البراجماتي هو المركز والمنطلق في الوصف النصي؛ فما «يمكن وصفه لغويا

[1] – نفسه، ص:33.

[2]– نفسه، ص:33.

ما يزال وسيلة (مثل صور النشاط العملية، والحركات وتعبيرات الوجه أيضا) لتحقيق أهداف معينة لشركاء الاتصال» [1].

يعد هارتمان**p. Hartmann** من اللسانيين الأوائل الذين وضعوا فرضيات تمهيدا لقيام ما يعرف بعلم النص ويحد النص بأنه «علامة لغوية أصلية، تبرز الجانب الاتصالي و السيميائي» [2]، ويعلق سعيد حسن بحيرى على هذا التعريف بقوله: «على الرغم مما يتسم به من عمومية، إلا أنه يقدم خاصية له وهي ارتباط النص بموقف اتصال من جهة وإمكان تعدد تفسير العلامة النصية من جهة أخرى.» [3]

كما ألح "شميت"على البعد الاتصالي في تعريفه للنص، حيث يقول: «إنه جزء حُدّد موضوعيا (محوريا) من خلال حدث اتصالي ذي وظيفة اتصالية (إنجازية)» [4]، ويتضمن هذا التعريف معطيات أساسية، تتمثل في أن النص يتميز بوحدة الموضوع ووحدة المقصد، لأنه قد تشكّل في سبيل تحقيق هدف محدّد في عملية الاتصال.

أما "**برينكر**"فيرى بأن النص ربط أفقي أو متدرج لأفعال كلامية، وهو فعل كلامي معقد أيضا. [5]

ونجد أيضا " **جلنتس**" معتمدا على المنظور التداولي في وصف النص، فقد ربط مفهوم النص بالأداء اللغوي في لغة ما أي بتحقيقه، ويلاحظ سعيد حسن بحيري بأن "جلنتس" يحاول «أن يتناول مفهوم النص من خلال توظيف جديد لمصطلحات النحو التوليدي وربطها بمفاهيم تداولية ... ويهمنا هنا ملاحظة التشابك بين عناصر تحويلية وعناصر تداولية داخل عملية انتاج النص وتلقيه» [6].

---

[1]– مدخل إلى علم لغة النص، ص:48.

[2] – علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات، ص :99.

[3] – نفسه، ص :99.

[4] – نفسه، ص :99.

[5] – نفسه، ص:101.

[6] – علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات، ص: 104.

ويتوجب علينا – في اعتقاد "**سوينسكيSowinski** «أن ننظر إلى إنتاج النص مكتوبا أو منطوقا وإلى التبليغ النصي، وإلى الاستقبال النصي باعتبارها جميعا أحداثا أو عمليات اتصالية» [1].

ولا شك بأن تزامن التطورات اللسانية النصية وعلم الاتصال، هي التي دفعت إلى بروز نماذج الوصف الاتصالية للنصوص، حيث أصبحت هذه الأخيرة وحدات اتصالية، فمنتج النص يسعى لقول شيء للقارئ أو السامع، و لا يمكن أن يعيش النص في فراغ، وفي مقدمة ترجمة كتاب "النص والخطاب والإجراء" يشرح " حسان تمام " الفرق بين نحو الجملة ونحو النص/لسانيات النص في نسق "دي **بوجراند**" و"**دريسلر** " وتخلص إلى أنهما يختلفان في موضوع الجملة / النص والمنهج التحليلي / التركيبي وغاية الوصف / الاتصال، فالغاية من نحو النص هي تحقيق الاتصال وليس مجرد الوصف البنيوي لوحدات الجملة.

ويقدم" فان ديك " مبادئ أساسية للتحليل النصي، تعمل وفق هندسة تكاملية حيث تتآلف فيها مكونات العملية التواصلية؛ المنتج والمتلقي – لغة النص وسياقاته المختلفة، ومن بين هذه المبادئ:

1- تستعمل النصوص على الدوام، في سياق خاص وهذا يقتضي عند تحليل النص وفهمه تحليلا وفهما للسياق أيضا.

2- أن التحليل سواء كان نصيا / أو سياقيا هو نتاج لذات محللة، أي أنه يمثل في حد ذاته نصا.

3-وفي إطار وصف نصي أكثر اندماجا ستوضع المستويات المختلفة من التحليل في علاقة بعضها ببعض.[2]

[1] – العبارة والإشارة دراسة في نظرية الاتصال، محمد العبد، مكتبة الآداب، القاهرة، ط1، 2007، ص:89.

[2]– في نظرية الأدب مقالات ودراسات، فان ديك وآخرون، ترجمة محمد العمري، كتاب الرياض، رقم38، المملكة العربية السعودية، ص:58-59.

يتخذ الوصف اللساني النصي الفونولوجيا والمورفولوجيا، التركيب بين الجمل والدلالة، البنيات الكبرى، البنيات العليا مع الوصف السياقي التداولي، المعرفي فهم النصوص، الاجتماعي النفسي تأثير النصوص، الاجتماعي النص كظاهرة ثقافية في سبيل الإحاطة بفهم النص.

وفي الأخير، يمكن أن نخلص إلى أن حقيقة النص، تبدو غامضة، إذا ما اقتصرنا في وصفها على زاوية أحادية. لا يسعنا إلا أن نسلم بضرورة تضافر زوايا النظر كلها، في سبيل مقاربة ناجعة لمستويات النص المختلفة. ولعل خير ما يعزز هذا الطرح، ذلك التعريف الذي اقترحه كل من **دي بوجراند و درسلر** والذي يمتاز بالدقة والشمول التأكيد على الزوايا المتنوعة، وتتجلى مظاهر قوته، في الأثر العميق الذي حظي به لدى الكثير من الباحثين.

ثانيا–الانسجام وبنية النص:

سبقت الاشارة إلى أن سبب تغير المنحى البحثي في اللسانيات من الجملة إلى النص هو عدم كفاية الجملة في الأداء البشري للغة من ناحية المعنى، أي أن المعنى التواصلي التداولي يحدث –وفقط–من خلال بنية النصوص، وهذا ما يجعل القضية اللسانية قضية دلالية بالأساس، حيث لا يحدث التواصل إلا إذا حدث الانسجام بين الشكل والدلالة.

يرى فان دايك أن انسجام النص لا يمكن حسابه بالوسائل اللغوية وحدها، بل هو «خاصّية (سيمانطيقية) للخطاب، قائمــة على تأويل كل جملة مفردة متعلقــة بتأويل جملة أخرى» [1] ومن رأيه أن العلاقات بين الجمل والقضايا يمكن أن توجد من دون أن يُعبر عنها، وهو السبب الذي من أجله كان كل تركيب نظري للنص ضروريا لبيان كيف يمكن أن تؤوَّل أنواع النصوص على وجه الانسجام، حتى ولو ظلت معظم القضايا التي بها في حاجة إلى إثبات انسجامها[2] .

ويرى براون ويول أَن وحدة النص لا تتحقق فقط بوجود الأدوات النحوية الرابطة للنص، بل تتحقق بوجود الرابط المعنوي الضمني، إذ من السهل أن نجد نصوصا نفهمها بكل تلقائية على أنها متماسكة، لا يظهر فيها إلا القليل من الأدوات الظاهرة المعبرة عن علاقات التماسك. فإن القارئ لهذه النصوص يفترض بكل تلقائية أَن توالي الجمل هنا يؤلف نصا، وإن القارئ سيفهم الجملة الثانية في ضوء الجملة الأولى. فهو سيتلمس وجود علاقات معنوية قائمة بين الجمل [3] .

ونلاحظ مثل هذا الفهم أيضا عند هاينه من وفهيفجر؛ إذ يريان أَن وحدة النص «لم تعد تقاس فقط من خلال الظواهر السطحية، بل يبحث عنها في أبنية القاعدة الدلالية، ممّا يتم

---

[1]– النصّ والسياق، ص: 137.

[2] –نفسه ، ص: 139.

[3]– ينظر، تحليل الخطاب، ص: 234 –236.

شرحه بناء على النماذج الأساسية الدلالية؛ مسائل المركبات المعقدة، تناسق النصّ، وأيضا –مع استثناءات–استقلالية النصوص» .

ومن بين التعريفات التي وضعت لهذا المفهوم، تعريف سوفنسكي الذي يصف الانسجام بالقول: «يقضى للجمل بأنّها منسجمة إذا اتصلت بعض المعلومات فيها ببعض، في إطار نصّي أو موقف اتصالي، اتصالا لا يشعر معه المستمعون أو القراء بثغرات أو انقطاعات في المعلومات» [1] وبحسب هذا التعريف لا يمكن للجمل أن تكون منسجمة، ومن ثم يمكن لنا أن نسميها نصا، حتى يتصل ما فيها من معلومات بعضها ببعض، ليتسّنى للمتلقي بعد ذلك فهم فحوى النص، لكي يتحقق الغرض التواصلي من النص. وهذ اما أكده (ليفاندوفسكي) بقوله: «ليس الانسجام محض خاصّية من خواص النص ولكنه أيضا حصيلة اعتبارات معرفية (بنائية عند المستمعين أو القراء، الانسجام حصيلة تفعيل دلالي ... ينهض على ترابط معنوي بين التصورات والمعارف، من حيث هي مركب من المفاهيم وما بينها من علاقات، على معنى أَنها شبكة دلالية مختزنة، لا يتناولها النص غالبا على مستوى الشكل، فالمستمع أو القارئ هو الذي يصمم (الانسجام) الضروري أو ينشئه»[2] .

ينشأ عن التدرج نحو الانسجام في النص، فيما ما تعبر عنه الجمل ومتواليات الجمل من قضايا، ما يسمى ببنى النص الصغرى. أما البنى الدلالية الأشمل، التي لا تشخص مباشرة من طريق العلاقات بين قضايا مفردة، بل تشخص في حدود ما نجريه على تلك المجموعات والمتواليات من إجراءات، فهي البنى التي تنتج هذا النوع من القضايا والمتواليات الكلية، التي تؤلف ما يسمى ببنى النصّ الكبرى.

ويرى فان دايك أَن القضايا التي نسلم بها على أنها تنشئ الانسجام النظري للنص، والتي لا يعبر عنها في النص تعد حلقات مفقودة في سلسلة المعنى، ويمكن أَن يعاد تركيب

[1] – حبك النص، محمد العبد، منظورات من التراث العربي، مجلة فصول العدد/59، ربيع 2002، ص: 55.

[2] – نفسه، ص: 56.

هذه الحلقات المفقودة بوساطة ما يسمى بقوانين الاستدلال، أو القوانين والإجراءات التداولية، والنظرية المعرفية[1]كما يتدعم الترابط المفهومي للنص، بوسائل الانسجام كالعناصر المنطقية كالسببية والعموم والخصوص، والمناسبة والتخطيط ومعلومات عن تنظيم الأحداث والأعمال والموضوعات والمؤلف، و يتدعم كذلك بتفاعل المعلومات التي يعرضها النص مع المعرفة السابقة بالعالم [2].

وإذا كانت علاقات التماسك اختصت بتفكيك النص، والبحث عن العناصر اللفظية التي تمنحه صفة التماسك، فإنه في هذا المستوى سيختص بإعادة بناء النص، وبالربط العلائقي بين جميع وحداته وعناصره. فالمستوى الدلالي لبنية النص، لا يتحدد إلا من طريق الربط والتحول؛ ربط الوحدات المفصلية مع بعضها، ومع بقية العناصر في بنية النص، والتحول من قضية إلى أخرى، وكذلك من التفكيك إلى الفهم والتأويل، «فالبنية –إذن–نسيج متماسك لوحدات متعالقة، والوحدات تشع دلالاتها من خلال تعالق السطح والعمق والدلالات تشي برؤية العالم » [3].

ويفيد الانسجام في توضيح طبيعة النص بصفته نشاطا بشريا، أن النص لا يفيد معنى بذاته، بل يتم ذلك بالتفاعل بين المعرفة التي يقدمها النص وما لدى المتلقي من معرفة مختزنة عن العالم، وينتج عن هذا قيام تعاون بين اللسانيين النصيين والباحثين في علم النفس المعرفي، من أجل استكشاف بعض الأمور الأساسية التي تفيد في تفسير النص. كما أنه بوسع المستعملين المختلفين للنص، تأليف معان مختلفة بعض الشيء عن معنى النص؛

[1] – ينظر، حبك النص، ص: 56.

[2] . ينظر، النص والخطاب والإجراء، ص: 103.

[3] – بنية النص الكبرى، صبحي الطعان، عالم الفكر، الكويت، 1992 ص: 451.

إلا أن لأغلبهم، على الرغم من ذلك، نواة مشتركة متسعة للمحتوى والعمليات المحتملة، تحد من تصبح فكرة معنى النص، فكرة مفرطة في عدم الاستقرار [1] .

إذن نفيد مما تقدّم أن مفهوم الانسجام Coherence قدّم ليس ليكون مفهوما موازيا ومكمّلا لمفهوم التماسك، إذ لا تقتصر وحدة النص، والخاصية النصية فيه على العلاقات التركيبية، بل يشمل العلاقات المعنوية التي لا تظهر في البنية السطحية للنص، والتي يستدل عليها من خلال الموقف والاتصال، ومن خلال ما يتصل بالتجربة الإنسانية، وتفاعل المعلومات النصية مع المعرفة السابقة بالعالم للمتلقي، بل ليجعل النص أكثر احكاما وتنظيما وتداولية.

إذا كان هذا التوصيف متعلقا بدراسة لغة البشر، على ما يعتورها من نقص وتنظيم، وقصور في الاستراتيجيات والأهداف لدى المرسل والمرسل إليه، فإن الأمر سيكون محاطا بالحيطة والحذر في دراسة النص القرآني لما له من خصوصية اللغة، وخصوصية الدلالة والبناء.

[1] – ينظر، أساسيات علم لغة النص مدخل إلى فروضه ونماذجه وعلاقاته وطرائقه ومباحثه، كالماير وآخرين، ترجمة سعيد حسن بحيري، زهراء الشرق، القاهرة ط1، 2009، ص: 147.

ثالثا-النص القرآني:

«لقد شاء الله أن يكون القرآن الكريم هو آيته الكبرى، الباقية أبد الدهر، بما جمع من كمال بيانه، وحجة الله به، وحكمة الشرع فيه، وما اشتمل عليه من أخبار الغيب، ونظم الحياة، وقصص الرسل، وبقائه على الزمن محفوظا بلسان عربي مبين، هداية لكل عصر، وذكرى للمتقين، ورحمة للعالمين»[1].

«والمهم أن تدرك أن الله سبحانه لم يرد أن يكون لنبيه الخاتم آية حسية مؤقتة، بل أرادها آية عقلية دائمة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، آية تملك أن توقظ غفلات البشر على اختلاف أوطانهم ولغاتهم، ومستوياتهم، فكان القرآن معجزة اللغة والفكر معا لكل اللغات، وكل البشر».[2]

«وإني لأحب أن أوكد هنا أن القرآن هو الآية الكبرى والوحدة التي آتاها الله نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم وكل ما عداها معجزات مؤقتة هو تكريم الله لرسوله، ولسوف يظل القرآن هو الآية البيانية الصوتية، والكونية والعقلية التي جعلها الله دستور هذه الأمة منذ كانت، إلى أن ينتهي هذا الخلق الأرضي».[3]

نزل القرآن الكريم بلغة الانسان العربي عندما «كانت لغته هي شغله الشاغل فهو يعكف عليها في مواسم الحج متفننا في تصريف القول بها، وانتقاء ألفاظها، وصقل أشعارها وحفظ نصوصها، فلقد كان يدرك أن عبقريته وتفوقه ومستقبله ونقاءه في لغته العربية التي انتسب إليها فصار بها عربيا، أي: مبينا».[4]

هكذا نزل القرآن الكريم واللغة العربية هي شغل العربي الشاغل في صحوه، وحلمه في منامه، وقد بلغ افتتانه بها، وافتتانه في بيانها مستوى النضج والاكتمال، في سياق هذا

[1] – عربية القرآن، عبد الصبور شاهين، مكتبة الشباب، مصر، 1997، ص: 67.

[2] – نفسه، ص: 67.

[3] – عربية القرآن، ص: 67-68.

[4] – نفسه، ص: 75.

النضج والاكتمال والنقاء اللغوي، جاءت المعجزة الخالدة في ثوب لغة العربي «هذه اللغة التي عكف عليها العرب، لتجويده، وامتلاك ناصية المعاني الانسانية والواقعية بها، قد تنزلت من عند الله لتعبر عن أقصى وأحب ما يبلغه ادراكهم، وما تتدبره عقولهم، في مستوى لا تبلغه عقولهم على المحاكاة، ومع ذلك فإن الالفاظ واحدة، والادوات واحدة، واشكال التصريف واحدة، أي إن المادة اللغوية هي، ومعاني الالفاظ هي هي تقريبا، ولكن تشكيل الالفاظ والمعاني والتراكيب والايقاع، في الوحي الالهي – هو الآية العظمى، فوق كل منال »[1].

انصبت عناية القرآن العظيم بالاهتمام في إذكاء حرارة الكلمة عند العرب، وتوهج العبارة في منظار حياتهم، وعمل البيان القرآني على تحقيق موسيقى اللفظ في جمله، وتناغم الحروف في تركيبه، وتعادل الوحدات الصوتية في مقاطعه، فكانت مخارج الكلمات متوازنة، وتراكيب البيان فيه متلائمة، فاختار لكل حالة ألفاظها الخاصة التي لا يمكن أن تستبدل بغيرها، فجاء كل لفظ متناسباً مع صورته الذهنية، ومع دلالته السمعية، فالذي يستلذه السمع، وتسيغه النفس، وتقبل عليه العاطفة هو المتحقّق في العذوبة والرقة، والذي يشرئب له العنق، وتتوجس منه النفس هو المتحقق في الزجر والشدة، وهنا ينبه القرآن المشاعر الداخلية عند الإنسان في إثارة الانفعال المترتب على مناخ الألفاظ المختارة في مواقعها فيما تشيعه من تأثير نفسي معين سلباً وإيجاباً[2].

لهذا تلمح الفروق بين مجموعة الأصوات في إيقاعها، ويتلمس فيه ما يوحيه كل لفظ من صورة سمعية صارخة تختلف عن سواها قوة أو ضعفاً، رقةً أو خشونة، حتى تدرك بين هذا وذاك المعنى المحدد المراد به إثارة الفطرة، أو إذكاء الحفيظة، أو مواكبة الطبيعة بدقة متناهية، ويستعان على هذا الفهم لا بموسيقى اللفظ منفرداً، أو بتناغم الكلمة وحدها، بل

[1] – عربية القرآن، ص: 76.

[2] – ينظر، تاريخ آداب العرب، مصطفى صادق الرافعي، مكتبة الإيمان للنشر والتوزيع، القاهرة، 1997، ج1، ص: 162.

بدلالة الجملة أو العبارة منضمّة إليه، إن إيقاع اللفظ المفرد، وتناغم الكلمة الواحدة، عبارة عن شحنة يفعلها القرآن لإذكاء المعاني[1].

يتوجه الخطاب القرآني بشكل مباشر وهادف إلى الإنسان في كينونته الكاملة عقلا ونفسا ووجدانا وعاطفة. ففي «النفس الإنسانية قوتان: قوة تفكير، وقوة وجدان. وحاجة كل واحدة منهما غير حاجة أختها. فأما إحداهما فتنقب عن الحق لمعرفته وعن الخير للعمل به، أما الأخرى فتسجل إحساسها بما في الأشياء من لذة وألم. والبيان التام هو الذي يوفي لك هاتين الحاجتين ويطير إلى نفسك بهاذين الجناحين، فيؤتيها حظها من الفائدة العقلية والمتعة الوجدانية معا»[2].

إن الخطاب القرآني لا كأي خطاب، هو خطاب واحد للإنسان في جميع مستوياته: عالم وجاهل، ذكي وغبي... «فلو أنك خاطبت الأذكياء بالواضح المكشوف الذي تخاطب به الأغبياء لنزلت بهم إلى مستوى لا يرضونه لأنفسهم في الخطاب. ولو أنك خاطبت العامة باللمحة والإشارة التي تخاطب بها الأذكياء لجئتهم من ذلك بما لا تطيقه عقولهم. فلا غنى لك –إن أردت أن تعطي كلتا الطائفتين حظهما كاملا من بيانك–أن تخاطب كل واحدة منهما بغير ما تخاطب به الأخرى؛ كما تخاطب الأطفال بغير ما تخاطب الرجال. فأما أن جملة واحدة تلقى إلى العلماء والجهلاء والأذكياء والأغبياء، وإلى السوقة والملوك فيراها كل منهم مقدرة على مقياس عقله وعلى وفق حاجته فذلك ما لا تجده على أتمه إلا في القرءان الكريم. فهو قرآن واحد يراه البلغاء أوفى كلام بلطائف التعبير، ويراه العامة أحسن كلام وأقربه إلى عقولهم لا يلتوي على أفهامهم، ولا يحتاجون فيه إلى ترجمان وراء وضع اللغة، فهو متعة العامة والخاصة على السواء، ميسر لكل من أراد﴿ **ولقد يسرنا القرءان للذكر فهل من مدكر** ﴾[القمر 17]. »[3]

---

[1]– ينظر، تاريخ آداب العرب، ص: 163

[2]– النبأ العظيم، عبد الله دراز، دار القلم–الكويت، الطبعة السادسة 1405هـ/1984م. ص ص113 –114.

[3]– نفسه، ص 113.

هذا النص الفائق الدقة عبر العصور «آيات التحمت عبر لحظات متدافعة في مواقع متجددة وبأغراض توجيهية معلومة سواء كان هذا التوجيه بالإعمال أو الإبطال، بالدعم والتثبيت أو بالتقويم والتصويب. وإذا ما انقضت المناسبات والملابسات بقيت هذه الآيات لا بمثابة الذكرى التي تسجل واقعة انقضت، وليست كمحفظة تاريخية أو بيان توثيقي، وإنما بقيت هذه الآيات تحتفظ بكامل فعاليتها التوجيهية النافذة عبر الزمان والمكان بالنسبة لكل موقف إنساني اجتماعيا أو تاريخيا، يحتوي على عناصر الموقف الأساسي الذي كان سببا في النزول. ولأن المواقف التي تتخلل حياة الأفراد والجماعات والأمم لا تخلو من عناصر تلازمها ملازمة الفطرة للإنسان، فلا عجب أن ظل البيان القرآني ينبض حيوية وتفعيلا بوصفه تنزيلا من لدن عليم خبير، خالق الإنسان معلمه البيان، مدبر ومهيئ الأسباب»[1].

فالنص القرآني ليس محدودا ومتناهيا على مستوى المعاني وتفرعاتها، وإن كان محدودا ومتناهيا على مستوى اللفظ. فهو نص يتميز بالإطلاقية التي تجعل الإحاطة به مطلقا أمرا مستحيلا في أي زمان أو مكان بل هو يعطي لكل زمان ومكان ما لم يعطه لما قبله. بخلاف النص البشري فهو محدود المعنى محدود اللفظ.

«ولما كان الأصل في نظم القرءان أن تعتبر الحروف بأصواتها وحركاتها ومواقعها من الدلالة المعنوية، استحال أن يقع في تركيبه ما يسوغ الحكم في كلمة زائدة أو حرف مضطرب أو ما يجري مجرى الحشو والاعتراض، أو ما يقال فيه إنه تغوث واستراحة كما تجد من كل ذلك في أساليب البلغاء، بل نزلت كلماته منازلها على ما استقرت عليه طبيعة البلاغة، وما قد يشبه أن يكون من هذا النحو الذي تمكنت به مفردات النظام الشمسي وارتبطت به سائر أجزاء المخلوقات صفة متقابلة بحيث لو نزعت كلمة منه أو أزيلت عن

[1]– نحو منهاجية للتعامل مع مصادر التنظير الإسلامي بين المقدمات والمقومات، منى عبد المنعم أبو الفضل، مطبوعات المعهد العالمي للفكر الإسلامي، القاهرة، ط1، 1417هـ/1996م، ص21–22.

وجهها، ثم أدير لسان العرب كله على أحسن منها في تأليفها وموقعها وسدادها، لم يتهيأ ذلك ولا اتسعت له اللغة بكلمة واحدة»[1].

أما من ناحية جمال النظم فقد فإن له نسقا لم تعهده لغة العرب، في شعرها وفي نثرها من بناء محكم منسجم على مستوى الصوت والصرف والتركيب والدلالة، وهذا ما يؤكده الرافعي في هذا الإطار« ولو تدبرت ألفاظ القرآن فينظمها، لرأيت حركتها الصرفية واللغوية تجري في الوضع والتركيب مجرَى الحروف أنفسها فيما هي له من أمر الفصاحة، فيهيئُ بعضها لبعضٍ، ويساند بعضُها بعضا، ولن تجدها إلا مؤتلفة مع أصوات الحروف، متساوقة معها في النظم الموسيقي، حتى إن الحركة ربما كانت ثقيلة في نفسها لسبب من أسباب الثقل أيًّا كان؛ فلا تعذب ولا تُساغ، ربما كانت أوْكس النصيبين فيحظ الكلام من الحرف و الحركة، فإذا هي استعْمِلتْ في القرآن رأيت لها شأنًا عجيبًا، ورأيت أصواتا للأحرف والحركات التي قبلها قد امتهدت لها طريقا في اللسان واكتنفتها بضروب من النغم الموسيقي، حتى إذا خرجت فيه كانت أعذب شيء وأرقه»[2].

ويشير صبحي الصالح إلى الإعجاز فيه قائلا: «إن هذا القرآن –في كل سورة منه وفي كل مقطع منه وفقرة، وف يكل مشهد منه وقصة، وفي كل مطلع منه وختام–يمتاز بأسلوب إيقاعي غني بالموسيقى، مملوءٍ نغمًا، حتى ليكون من الخطأ الشديد في هذا الباب أن نُفاضِل بين سورة وأخرى، أو نُوازِن بين مقطع ومقطع، لكننا حين نومئ إلى تفرد سورة منه بنسق خاص، إنما نقرر ظاهرة أسلوبية بارزة نؤكِّدها بالدليل، وندعمها بالشاهد، مؤكِّدين أن القرآن نسيج واحد في بلاغته وسحر بيانه، إلا أنه متنوعٍ تنوعَ موسيقى الوجود في أنغامه وألحانه»[3].

---

[1]– إعجاز القرءان والبلاغة النبوية، مصطفى صادق الرافعي، دار الكتاب العربي بيروت–لبنان. 1410هـ/1990م. ص: 224–225.

[2] – ينظر، تاريخ آداب العرب، ص: 165.

[3] – مباحث في علوم القرآن، صبحي الصالح، دار العلم للملايين، بيروت، ط4، 2000، ص: 50.

يقول مصطفى الرافعي: «ولقد صارت ألفاظ القرآن بطريقة استعمالها ووجه تركيبها كأنها فوق اللغة، فإن أحدا من البلغاء لا تمتنع عليه فصح هذه العربية متى أرادها، وهي بعد في الدواوين والكتب، ولكن لا تقع له مثل ألفاظ القرءان في كلامه، وإن اتفقت له نفس هذه الألفاظ بحروفها ومعانيها، لأنها في القرءان تظهر في تركيب ممتنع فترف به، ولهذا ترتفع إلى أنواع أسمى من الدلالة اللغوية أو البيانية التي هي طبيعية فيها، فتخرج من لغة الاستعمال إلى لغة الفهم وتكون بتركيبها المعجز طبقة عقلية في اللغة»[1].

لقد نزل القرءان الكريم بهذه اللغة على نمط يعجز قليله وكثيره معا، فكان «أشبه شيء بالنور في جملة نسقه، إذ النور جملة واحدة وإنما يتجزأ باعتبار لا يخرجه من طبيعته، وهو في كل جزء من أجزائه وفي أجزائه جملة لا يعارض بشيء إلا إذا خلقت سماء غير السماء، وبدلت الأرض غير الأرض، وإنما كان ذلك لأنه صفى اللغة من أكدارها، وأجراها على بواطن أسرارها، فجاء بها في ماء الجمال أملأ من السحاب، وفي طراءة الخلق أجمل من الشباب، ثم هو بما تناول من المعاني الدقيقة التي أبرزها في جلال الإعجاز، وصورها بالحقيقة وأنطقها بالمجاز، وما ركبها به من المطاوعة في تقلب الأساليب، وتحول التراكيب إلى التراكيب، قد أظهرها مظهرا لا يقضي العجب منه، لأنه جلاها على التاريخ كله لا على جيل العرب بخاصته، ولهذا بهتوا لها حتى لم يتبينوا أكانوا يسمعون بها صوت الحاضر أم صوت المستقبل أو صوت الخلود، لأنها هي لغتهم التي يعرفونها»[2].

فكان «الاستخدام الإلهي للمفردة اللغوية يرتقي بدلالاتها إلى مستوى المصطلح المحكم الدقيق، خلافا للكسب البلاغي البشري عامة. إن الفرق بين كلام الله وكلام البشر أكبر من الفرق بين الإنسان والتماثيل الطينية. فكما أن إرادة الله ومشيئته حين توجهتا إلى

[1]– إعجاز القرءان والبلاغة النبوية، ص: 226.

[2]– نفسه، ص: 74.

الطين صيرتاه إنسانا ناطقا مريدا فاعلا، فكذلك حين توجهتا إلى الطين صيرتاه قرآنا مرتلا منيرا هاديا.

إن استخدام القرءان للمفردة اللغوية يعطيها الطابع المرجعي الذي يحكم دلالاتها حيثما وجدت في القرءان، فإذا تم التعرف على دلالة مفردة لغوية قرآنية بالآليات المنهجية المناسبة... فإنه يتم الانفصال بالدلالة الحاكمة التي تفهم اللفظة بحسبها في القرءان كله»[1].

«إن القرءان يتعالى عن تقنين المعرفة به، ووضع قوالب وقواعد لفهمه من خارجه، وإن بدا أن هدا الخارج هو المحيط اللغوي " المشترك "، إذ لغة القرءان أسمى وأكبر من قواعد اللغة، ناهيك عن ضوابط المناهج المعرفية البشرية، فاللغة العربية وقواعدها بإزاء القرءان المجيد ولغته، لا تعدو كونها تحديدات نسبية إيجابية لا غرو تقرب من القرآن، ولكن لا تقننه، لأن القرءان العظيم مطلق، والمطلق لا يقنن من خارجه. فلا يصح أن يقال عن القرءان (نيابة عنه)، فالقرآن يقول عن كل شيء بما في ذلك اللغة. وعلى اللغة التفهم بالرد إليه وليس إلى ذاتها، على ما يسوء وينوء. إذ تحديد معاني ألفاظ القرءان من خارجه دون الرد إليه عن طريق الترتيل، ثم فرض تلك التحديات عليه حجب للقرآن وليس بيان له.

وذلك أن الألفاظ في القرءان مترابطة ترابطا عضويا بعلم الله وإحاطته، ترابطا يجعلها تند عن الزمان والمكان فتصبح غير نهائية المعاني التي يمكن أن تندهق منها. فألفاظ القرءان رغم عربيتها﴿ **قرءانا عربيا غير ذي عوج** ﴾ورغم كون اللغة العربية درجا أساسيا لفهمها، لا تكفي العربية وحدها لتحديد معانيها. فاللغة القرآنية مندمجة اندماجا كليا بالرؤية الشمولية للحياة والأحياء، وللمصدر والمآل، التي يستدرجها بين آياته.

إن القرءان المجيد، بما أنه وحي أوحي به من عند الله، أكبر من الواقع العيني المشخص الذي يتنزل عليه، فلا يكون–بالتبع–فهمه إلا في ضوء ما تكرم الموحي به سبحانه بإيداعه

[1]– أحمد عبادي، مرجع سابق، ص 82.

فيه من ضوابط فهمه، ومداخل المعرفة به. ومن هنا، ضرورة الترتيل على المستوى اللفظي لتحقيق الألفاظ، في ضوء الاستبعاد الكلي لاحتمال وجود ترادف بالمعنى الشائع للترادف»[1].

ويرى بض الباحثين أن «الحكمة الخفية، التي جعلت النص القرآني نصا منفتحا على البنى الاجتماعية والثقافية المختلفة، هي التي جعلته يحقق إعجازه البياني في إحداث التوازي الدقيق بين بين نسقه اللغوي المنتظم ونسق الوجود المتغير»[2]

تلك بعض الخصائص التي يتميز بها هذا النص العظيم، والذي لا تنتهي عجائبه، في البلاغة والفصاحة في أداء المعنى.

- البناء النصي للقرآن:

نزل القرآن منجما في ثلاثة وعشرين عاما تقريبا، وكان نزوله حسب الظروف التي مرت فيها الدعوة الإسلامية، لهذا لا يتطابق ترتيب القرآن الكريم في النزول، مع ترتيبه في المصحف، بل يختلف عنه اختلافا كليا، ومنشأ هذا الاختلاف هو اختلاف الهدف المقصود من كلا الترتيبين « فهو في ترتيبه النزولي منهج لتأسيس دعوة، وأسلوب إقناع بعقيدة، وطريقة تبشير وإنذار، ودحض كامل لمنطق الإلحاد المريض، وهو في ترتيبه المصحفي أسلوب حياة، وبناء حضارة، ودستور للعالم كله، محيط بكل صغيرة وكبيرة من حاجاته ومطالبه، أحكم ترتيبه من هذه الوجهة، ليكون هداية للمؤمنين »[3].

وقد تصور كفار قريش أن القرآن لابد ان يجيء مرة واحدة، مادام منزلا من عند الله ولكن الله بين ذلك اسباب تنجيمه يقول تعالى:﴿ وقرآنا **فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلا** ﴾ بل إن الكفار اشتد اعتراضهم على هذا المنهج في تفريق القرآن لكن القرآن رد

[1] – الترتيل في القرآن المجيد: دراسة في المفهوم والمستويات، أحمد عبادي، مجلة رسالة القرآن، العدد الثاني، السنة الأولى: ذو القعدة – ذو الحجة – محرم. 1425 / 1426هـ. يناير – فبراير – مارس. 2005م. ص: 67.

[2] – الخطاب والدلالة قراءة في تأويل النص القرآني، منقور عبد الجليل، ، مجلة التراث العربي، اتحاد الكتاب العرب بدمشق، ع105، 2007، ص: 203.

[3]– تناسق الدرر في تناسب السور، جلال الدين عبد الرحمن السيوطي ، دراسة وتحقيق : عبد القادر أحمد عطا (مقدمة التحقيق) ،دار الكتب العلمية ، بيروت ، ص : 13-14.

عليهم ابلغ رد يقول تعالى:﴿ **وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلا 22 ولا يأتونك بمثل إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيرا 33**﴾[1] ولحكمة ربانية لم يجمع ولم يرتب على حسب ترتيب نزوله، حتى لا تنصرف الافهام والتصورات إلى أن آياته الكريمة خاصة بوقائعها تنتهي بانتهاء سياقات نزولها، فتتعالى على أن تتضمن حلولا مؤقتة لمشكلات مؤقتة كانت على عهد الرسول – صلى الله عليه وسلم –، وقد اقتضت الحكمة الالهية أن يرتب القرآن الكريم ترتيبا آخر مختلفا عن الترتيب النزولي في نسق يتسم بالانسجام والشمول، مخالفا الترتيب الزمني الذي نزل به، مجموعة ومرتبة ترتيبا توقيفيا من الله تعالى، لتكون الدستور الخالد الذي ينظم حياة الانسان وعلاقته بخالقه

وما نزلت آيات القرآن منجمة حسب المواقف والسياقات، إلا لأنه كان معنيا بإقامة دين جديد، ولا تستطيع العقول البشرية مهما أوتيت من النقاء والصفاء وقوة الحفظ، أن تتذكر موضع مقطعا أو جزءا أو فقرة أو جملة من كلام مضت عليه السنوات، فيضعها في موضعها الصحيح، بحيث تلتحم و تتواءم مع سابقاتها، و لاحقاتها في اللفظ، والمعنى، والسياق الذي ورد فيها، ولا يتأتى ذلك لولم يكن ترتيب الآيات القرآنية توقيفيا[2].

وفقا للغاية الخالدة التي جاء القرآن من أجلها، كان ترتيبه في المصحف مخالفا لترتيبه النزولي كل ذلك رعاية من الله العزيز الحكيم فاجتمعت الآيات المتفرقات عبر سنين الدعوة في سور قرآنية تختلف طولا وقصرا تحت مراقبة النبي صلى الله عليه وسلم.

والمهم في هذا كله مفهوم التقسيم الذي جمعت عليه والذي هو تقسيم توقيفي وترتيب توقيفي كذلك، في بناء محكم؛ هذا التقسيم الذي ينطلق من الوحدة الدلالية الصغرى التي هي

[1]– الفرقان: 32–33.

[2] – ينظر، ترتيب سور القرآن الكريم دراسة تحليلية لأقوال العلماء، طه عابدين طه، مجلة البحوث والدراسات الاسلامية، ع 9، ص:77–78.

الآية ثم ينتقل إلى السورة الواحدة لتجتمع السور متوليات في انتظام لتشكل النص القرآني، الذي هو نظام حياة الانسان المؤمن في جميع نواحيها.

ونظرا لخلود التقسيم اللغوي الذي جاء به القرآن الكريم للمقاطع الحاملة للدلالة وبنائية هذا التقسيم المجزأ إلى آية ثم سورة ثم البنية الكلية التي هي القرآن نعرض فيما يلي لهذه البنائية لا سيما للآية والسورة مع التعرض الموجز لإشكالات آثارها المستشرقون في دراساتهم المغرضة للقرآن الكريم، وما كانت اثارة هذه الاشكالات إلا لتعلقها اساسا بانسجام النص القرآني.

1-مصطلح **الآية:**

1-1-تعريف الآية لغة واصطلاحا: تطلق الآية في اللغة على معان متعددة منها: «المعجزة، والعلامة، والعبرة، والأمر العجيب، والجماعة، والدليل»[1].

وأما الآية القرآنية في الاصطلاح أوفي عرف علماء القرآن: «فهو قرآن مركب من جمل ولو تقديرا، ذو مبدأ ومقطع مندرج في سورة »[2].

الملاحظ أن المعنى اللغوي للآية القرآنية يدور حول الدليل والاعجاز، أما في الاصطلاح فيعتمد على اللغة، من حيث سمو أسلوبها ومعناها، فهي معجزة لغوية في الأساس.

---

[1]- ينظر، الأشباه والنظائر في القرآن الكريم، مقاتل بن سليمان البلخي، تحقيق ، عبد الله محمود شحاتة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ص : 300 ، وينظر، الراغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن ،تحقيق : صفوان عدنان داوودي ، دار القلم ، دمشق ، ص : 102، و ينظر كذلك ابن منظور، لسان العرب، دار إحياء التراث العربي ، ط2 ، بيروت. مادة (آية) ج1، ص: 282.

[2]-البيان في مباحث من علوم القرآن، عبد الوهاب غزلان، المكتبة الأزهرية، القاهرة، 1958 ص :219- 220 . وينظر كذلك الزرقاني، مناهل العرفان، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، 1957، ج1، ص: 339، كما ينظر أحمد السيد الكومي وزميله، فصل الخطاب في سلامة القرآن الكريم ، ط2، دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة ، ص: 11-12.

1-2-ترتيب آيات القرآن:

ترتيب الآيات في سورها توقيفي ثابت بالوحي، وبأمر رسول الله – صلى الله عليه وسلم –، وكانت الآيات تتنزل عليه، ويأمر كتاب الوحي بوضعها في مكانها من السور بتبليغ من جبريل – عليه السلام – وقد ترادفت النصوص على كون ترتيب الآيات توقيفيا[1]، ونقل الإجماع على ذلك أكثر العلماء منهم الزركشي، حيث قال : « فأما الآيات في كل سورة، ووضع البسملة في أوائلها، فترتيبها توقيفي بلا شك، ولا خلاف فيه ، وقال مكي : ترتيب الآيات في السور، ووضع البسملة في الأوائل، هومن النبي – صلى الله عليه وسلم –، ولما لم يأمر بذلك في أول براءة، تركت بلا بسملة .

وقال القاضي أبوبكر الباقلاني: ترتيب الآيات أمر واجب، وحكم لازم، فقد كان جبريل يقول: ضعوا آية كذا في موضع كذا».[2]

2-مصطلح السورة:

2-1-تعريف السورة لغة، واصطلاحا:

اختلف الباحثون في القرآن في تحديد المعنى اللغوي الذي اخذت منه كلمة "السورة" بمعناها القرآني، وأقرب الآراء «أن تكون السورة مأخوذة من سورة البناء، أي القطعة منه، فكما أن البناء يقوم سورة بعد سورة، كذلك القرآن، فالله عز وجل نزله على رسوله – صلى الله عليه وسلم –، مفرقا في ثلاثة وعشرين عاما، حتى اكتمل بناؤه»[3].

---

[1]– ينظر، البرهان في علوم القرآن، الزركشي، علق عليه مصطفى عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية ، بيروت، 1998 ، ج1، ص323. وينظر كذلك السيوطي، الإتقان، تح محمد شريف سكر ومصطفى القصاص، مكتبة المعارف، الرياض، دار إحياء العلوم بيروت، ط1، 1987، ج1، ص: 172، وكذا، حسن فضل، إتقان البرهان في علوم القرآن، دار الفرقان، عمان، ط1 ،1997، ج1، ص:429-455.

[2]– التطور الدلالي بين لغة الشعر ولغة القرآن، خليل أبو عودة ، مكتبة المنار، الزرقاء ، ط1، 1985، ص 496.

[3] – ينظر، تفسير الخازن (لباب التأويل في معاني التنزيل)، علاء الدين ابراهيم البغدادي الخازن ، المكتبة التجارية الكبرى ، القاهرة ،د ت، ج1، ص: 33 .

والسورة في **الاصطلاح:** «طائفة من القرآن مستقلة، تشمل على آي ذي فاتحة وخاتمة، وأقلها ثلاث آيات أو هي: الطائفة من القرآن المسماة باسم خاص، بتوقيف من النبي – صلى الله عليه وسلم –» [1]

2-2-ترتيب السور القرآنية:

أثارت قضية ترتيب كما –سبقت الإشارة –القرآن الكريم، مجموعة الاشكالات المتعلقة بتوقيفية الترتيب وعدم توقيفيته، بعبارة أخرى هل قام النبي صلى الله عليه وسلم بترتيب سور القرآن كلها؟، أم لم يقم بذلك؟ أم انه قد رتب بعض سور القرآن وترك بعضها فقام الصحابة بترتيبها بعده؟ وليس التطرق لمثل هذه القضية في هذا الموضع من باب الترف بل لتعلقها بموضوع الانسجام والتناسب بين آيات القرآن وسوره، وما زاد القضية اشكالا هو وجود بعض المنقولات في هذا الشأن الدالة على أن ترتيب السور كان من فعل الصحابة، وهي قضية استخدمها كثير من المستشرقين في التشكيك في ترتيب القرآن الكريم بل والدعوة إلى إعادة ترتيبه.

إذا كان الإجماع قد تحقق حول ترتيب آيات القرآن، فإنه لم يتحقق حول ترتيب سوره على ما هي عليه في المصحف الآن، واختلفت أقوال العلماء في ذلك على ثلاثة مجموعات هي:

المجموعة الأولى:

ذهب عدد من العلماء إلى أن ترتيب السورة وقفي من النبي صلى الله عليه وسلم أخذه عن جبريل عليه السلام عن ربِّ العالمين، ليس للاجتهاد فيه أي مجال، وأنه لم توضع السور في موضعها إلا وفق ما نزل به جبريل على النبي صلى الله عليه وسلم، وأن ترتيب السور كترتيب الآيات سواء بسواء، ونسب الألوسي(1270 هـ)هذا القول للجمهور[2]،وقد نَصَّ عدد من العلماء على التوقيف، قال أبو جعفر النحاس: « إن ترتيب السور على هذ

[1] – البرهان في علوم القرآن، ج1، ص: 324 –325.

2- روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني، الألوسي، دار الفكر ، بيروت ، ج 1 ص: 26.

الترتيب من رسول الله صلى الله عليه وسلم»[1]، وقال ابن الحصار(422 هـ) : «ترتيب السور و وضع الآيات مواضعها إنما كان بالوحي» [2]،وقال أبو عمرو الداني(444هـ) :« كان جبريل يوقف رسول الله على موضع الآية وعلى موضع السورة»[3]، وقال برهان الدين الكِرْمانيّ(505 هـ) : « ترتيب السور هكذا هو من عند الله تعالى في اللوح المحفوظ، وعليه كان رسول الله صلى الله عليه و سلم يعرض على جبريل كل سنة ما كان يجتمع عنده منه، وعرض عليه في السنة التي توفي فيها مرتين[4]» وقال البغوي(515 هـ) : «إن الصحابة رضي الله عنهم جمعوا بين الدفَّتين القرآن الذي أنزله الله على رسوله صلى الله عليه وسلم من غير أن زادوا فيه أو ينقصوا منه شيئاً... فخافوا ذهاب بعضه بذهاب حفظته ... فكتبوه كما سمعوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم من غير أن يقدموا شيئاً أو يؤخروا أو يضعوا له ترتيباً لم يأخذوه من رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يلقن أصحابه ويعلمهم ما نزل عليه من القرآن على الترتيب الذي هو عليه الآن في مصاحفنا بتوقيف جبريل إياه على ذلك ... فثبت أن سعي الصحابة كان في جمعه في موضع واحد، لا في ترتيبه، فإن القرآن مكتوب في اللوح المحفوظ على الترتيب الذي هو في مصاحفنا، أنزله الله تعالى جملة ًواحدة في شهر رمضان ليلة القدر إلى السماء الدنيا ...ثم كان ينزله مفرقاً على رسوله صلى الله عليه وسلم مدة حياته عند الحاجة، وحدوث ما يشاء الله عز وجل، فترتيب النزول غير ترتيب التلاوة»[5] .وقال أبوبكر الأنباري(328 هـ) : « أنزل الله القرآن كله إلى سماء الدنيا ثم فُرِّق في بضع وعشرين، فكانت السورة تنزل لأمر يحدث، و الآية جواباً لمستخبر، ويقف جبريل النبي صلى الله عليه

[1]–الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم، أبو جعفر النحاس، المكتبة العصرية، بيروت،ط1، 2003، ص: 158 .

[2]–الإتقان في علوم القرآن، ج1، ص: 219.

[3] – مقدمة التحرير و التنوير، ج1، ص: 122.

[4] – البرهان في متشابه القرآن، الكرماني ، تحقيق :أحمد خلف الله، دارصادر ،بيروت،ط2، 1417 ص: 16

[5] – شرح السنة للإمام البغوي متناً وشرحاً، البغوي، شعيب الارناؤوط ، زهير الشاويش ، المكتب الاسلامي بيروت ط2، 1983 مج 4 ، ص: 521-523.

وسلم على موضع السورة والآية، فاتساق السور كاتساق الآيات والحروف كله عن النبي صلى الله عليه وسلم، فمن قدم سورة أو آخرها فقد أفسد نظم القرآن»[1] وقال ابن الزبير الغرناطي (708 هـ) في ملاك التأويل : «إن ترتيب السور بتوقيف على أصح المأخذين[2]»وقال الطيبي(743 هـ) «: أنزل القرآن أولاً جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا، ثم نزل مفرقاً على حسب المصالح، ثم أثبت في المصاحف على التأليف والنظم المثبت في اللوح المحفوظ» [3]. وقال الزركشي(794)« : قال بعض مشايخنا المحققين :قد وَهِمَ مَنْ قال :لا يُطْلَب ُللآية الكريمة مناسبةٌ لأنها حسب الوقائع المتفرقة، وفَصْل ُالخطاب أنها على حسب الوقائع تنزيلاً، وعلى حسب الحكمة ترتيباً، فالمصحف كالصحف الكريمة على وفق مافي الكتاب المكنون مرتبة سوره كلها وآياته بالتوقيف[4]» وقال الشيخ ولي الدين الملوي الشافعي (774 هـ) : «فالمصحف على وفق ما في اللوح المحفوظ مرتبة سوره كلها وآياته بالتوقيف كما أنزل جملة إلى بيت العزة ومن المعجز البين أسلوبه ونظمه الباهر[5].»

روى الإمام القرطبي، عن ابن وهب، قال: «سمعت سليمان بن بلال، يقول: سمعت ربيعة يسأل: لم قدمت البقرة وآل عمران، وقد نزل قبلهما بضع وثمانون سورة، وإنما

1- الإتقان في علوم القرآن، ج 1، ص:217.

2- ملاك التأويل في توجيه متشابه اللفظ من آي التنزيل، لأحمد بن إبراهيم بن الزبير، تحقيق سعيد بن جمعة الفلاح، دار الغرب الإسلامي، 1983، ج1، ص: 316.

3- الإتقان في علوم القرآن، ج1، ص: 83.

4- الزركشي، البرهان في علوم القرآن تحقيق :محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة، بيروت، 1391هـ ج1، ص 35.

5- فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، تح: أحمد فؤاد عبد الباقي، بيروت، 1379، مج9، ص: 42. 42.

نزلتا بالمدينة؟ فقال ربيعة: قد قدمتا، وألف القرآن على علم مما ألفه»[1]، ويذهب المباركفوري إلى أن النحاس أبو جعفر، والكرماني على الرأي نفسه.[2]

ومنه رأي الألوسي الذي يقول: «وبالجملة بعد إجماع الأمة على هذا المصحف، لا ينبغي أن يصاخ إلى آحاد الأخبار، ولا يشرئب إلى تطلع غرائب الآثار». [3]

المجموعة الثانية: ترى أن ترتيب السور كان بعضه بالتوقيف، وبعضه الآخر باجتهاد من الصحابة يقول أبو الحسين أحمد بن فارس: «جمع القرآن على ضربين: أحدهما: تأليف السور، كتقديم السبع الطوال، وتعقيبها بالمئين، فهذا الضرب هو الذي تولاه الصحابة – رضوان الله عليهم –، وأما الجمع الآخر: فضم الآي بعضها إلى بعض، وتعقيب القصة بالقصة، فذلك شيء تولاه رسول الله – صلى الله عليه وسلم –، كما أخبر به جبريل عن أمر ربه عز وجل»[4]. .

ويذهب البيهقي، إلى أن القرآن كان على عهد النبي – صلى الله عليه وسلم – توقيفي إلا الأنفال، وبراءة، فإن ترتيبهما باجتهاد من عثمان – رضي الله عنه – و وافقه عليه الصحابة[5]، وقد استدل على استثناء هاتين السورتين بما أخرجه أحمد، وغيره، عن ابن عباس – رضي الله عنهما – قال: «قلت لعثمان بن عفان: ما حملكم على أن عمدتم إلى الأنفال وهي من المثاني، وإلى براءة وهي من المئين فقرنتم بينهما، ولم تكتبوا بينهما سطر " بسم الله الرحمن الرحيم " ووضعتموها في السبع الطوال؟ ما حملكم على ذلك ؟ قال عثمان :

---

1 – روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني، ج1، ص: 27.

2 – ينظر، تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المبار كفوري، مراجعة عبد الوهاب عبد اللطيف، المكتبة السلفية بالمدينة المنورة، ط2، ج8، ص:480.

3 – منهج الفرقان في علوم القرآن، محمد علي سلامة، مطبعة شبرا، 1937م، ص 136، و ينظر، محمد بن محمد أبو شهبة، المدخل لدراسة القرآن الكريم، مكتبة السنة بالقاهرة، ط1، ص: 37. وينظر، محمد بن أحمد الذهبي، ميزان الاعتدال، تحقيق على محمد البجاوي، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة ط1، ج3، ص:308 – 309 ، والفتح الرباني ،ج 8 ، ص :154–156 .

4 – انظر، الاتقان في علوم القرآن، ج1، ص: 177.

5 – نفسه، ج1، ص :179.

إن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – كان مما يأتي عليه من الزمان، ينزل عليه من السور ذوات العدد، وكان إذا أنزل عليه الشيء يدعو بعض من يكتب عنده ويقول : ضعوا هذا في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا، وتنزل عليه الآية فيقول : ضعوا هذه الآية في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا، وكانت الأنفال من أوائل ما نزل بالمدينة، وبراءة من آخر القرآن، فكانت قصتها شبيهة بقصتها، فقبض رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ولم يبين لنا أنها منها، **وظننت** أنها منها، فمن أجل ذلك قرنت بينهما، ولم أكتب بينهما سطر– بسم الله الرحمن الرحيم – ووضعتهما في السبع الطوال ».[1]

وارتاح السيوطي لكلام البيهقي فقال: «والذي ينشرح إليه الصدر، ما ذهب إليه البيهقي، وهو: أن كل السور توقيفية سوى الأنفال وبراءة».[2]

المجموعة الثالثة: ترى أن ترتيب السور على ما هو عليه الآن في المصحف، كان باجتهاد من الصحابة، ومنهم الإمام مالك، ويستدلون على مذهبهم هذا بترتيب مصاحف بعض الصحابة، على خلاف ترتيب مصحف عثمان، كمصحف الإمام علي، وعبد الله بن مسعود رضي الله عنهم.[3]

تلكم هي المجموعات التي ابدت رأيها في ترتيب سور القرآن الكريم ، ويبد أن المجموعة الثانية والثالثة قد وجد المستشرقون في آرائهما مجالا للتشكيك في انسجام النص القرآني، والمتأمل لما ذهب إليه البيهقي، والسيوطي، بأن ترتيب السور توقيفي ، باستثناء سورتي الأنفال، وبراءة، والشاهد الذي اعتمد عليه في هذا السياق سيرى عدم صموده أمام العقل السليم من اساسين؛ أولهما أن الحديث المنسوب إلى الرسول صلى الله عليه وسلم والذي

[1] – البرهان في علوم القرآن، ج1، ص: 326–327.

[2] – الجامع لأحكام القرآن القرطبي، كتاب الشعب، القاهرة، ج1، ص:59–60.

[3] – البرهان في علوم القرآن، ج1، ص: 325.

اشتق منه هذا الرأي حديث غير ثابت الرواية ، لقول الترمذي فيه : «حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث عوف عن يزيد الفارسي، عن ابن عباس، ويزيد هذا مجهول الحال ».[1]

وقد اختلفوا في "يزيد " راوي هذا الحديث، هل هو ابن هرمز أو غيره؟ وقد ذكره البخاري في كتاب الضعفاء، باسم: يزيد الفارسي، لاشتباهه فيه، وحيث أنه قد انفرد بهذا الحديث، فلا يحتج به في شأن القرآن، الذي يطلب فيه التواتر، وقال الذهبي: قال فيه النسائي وغيره: متروك، وقال الدارقطني، وغيره: ضعيف، وقال أحمد: كان منكر الحديث، ورأيهم أنه إذا كان الحديث بهذه المكانة من الضعف، ولم يرتضه إلا القليل الذين قوموه، ولم يخرجوه عن أقل درجات القبول، فكيف نقبله وأمر القرآن الذي هو في أعلى درجات القمة نقلا، ونظما، وترتيبا؟ [2]

يضاف إلى ذلك قوله " فقبض رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ولم يبين لنا أنها منها " ومخالفته لمنطق الاشياء، لأن سورة الأنفال نزلت عقب غزوة بدر في السنة الثانية، أما سورة التوبة فقد نزلت بعد غزوة تبوك في أواخر السنة التاسعة، بعد خروج أبي بكر رضي الله عنه للحج على رأس المسلمين.

ومما يدحض هذه الآراء ورود الأحاديث الصحاح بأنه كان–صلى الله عليه وسلم – يعرض القرآن كله في رمضان من كل عام على جبريل، أما العام الذي توفي فيه فقد عرضه فيه مرتين، فأين كان يضع هاتين السورتين في قراءته حينما كان يعرضهما على جبريل؟ [3] ثم «إن إطلاق الاسم على كل منهما، واختلافه فيهما، مما يعين أن هذه غير تلك، وقد سمى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – كلا منهما».[4]

---

[1] – محمد رشيد رضا ، تفسير القرآن الحكيم ، ط2، دار المعرفة ، بيروت ، ج9، ص: 585.

[2] – ينظر، روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني، ج10، ص: 40–41.

[3] – ينظر، فتح الباري شرح صحيح البخاري، ج10، ص: 410.

[4] – اليواقيت والجواهر في بيان عقائد الاكابر، عبد الوهاب الشعراني، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، دت، ص: 27 .

ولا شك أن في ترتيب السور المتحدة والمتطابقة البداية دليلا على هذا التوقيف فقد رتبت الحواميم والطواسين متوالية، في حين لم ترتب المسبحات مثلها، فقد فصل بينهما بالمجادلة، والممتحنة، والمنافقون، وأفردت الاسراء في النصف الأول، وفصل بين الشعراء والقصص، وهما يبدآن ب(طسم)، وب (طس النمل)مع أنها أقصر منهما، ولوكان الترتيب اجتهاديا لذكرت المسبحات أولا وأخرت (طس) عن القصص، أما وأنه قد حصل الفصل بين المتماثلات والمتقاربات من السور، مع عدم مراعاة التناسب في الطول والقصر، فهذا يدل على أن الترتيب توقيفي.[1]

وإذا كانت آراء العلماء قد تباينت ظاهريا، فإن الراجح منها على أن ترتيبها كان توقيفيا، وذلك لتضافر النصوص على أن الأغلب من سور القرآن معلومة الترتيب وقت نزول الوحي، وأن النبي –صلى الله عليه وسلم –كان يعرضه على جبريل – عليه السلام– في العام مرة، وعرضه عليه في العام الذي قبض فيه مرتين، وهذا يقطع الطريق أمام المشككين والطاعنين، أضف إلى ذلك إجماع الأمة بدءا من عصر الصحابة على هذا الترتيب، فصار الالتزام به أمرا لا بد منه.

وانطلاقا من تلك الآراء التي تنافي العقل والنقل زعم بعض المستشرقين المغرضين أن القرآن لم يكن مرتبا، وأنه كان مختلطا في عهد الرسول – صلى الله عليه وسلم –، وقد رتبه أبوبكر – رضي الله عنه –، وغيره من الصحابة لذا أباحوا لأنفسهم أن يجعلوا له ترتيبا أو ترتيبات، تختلف عن ترتيب المصحف الحالي في كثير من السور، معتمدين على الأسلوب، ومحتويات السورة، وهو عبث لا يليق بقدسية القرآن الكريم، وقد ظهرت أصوات عربية متأثرة بهذه الدراسات، تنادي بإعادة ترتيب سور القرآن حسب نزولها، ثم خفتت هذه الأصوات. [2]

[1] – المنهج البلاغي لتفسير القرآن الكريم، حسن مسعود الطوير، بيروت، ط1، 200 ص: 142.

[2] – ينظر، آراء المستشرقين حول القرآن وتفسيره عمر بن ابراهيم رضوان، دار طيبة للنشر والتوزيع، دت، ص: 510.

لعل قضية الترتيب والانسجام في أي القرآن الكريم وسوره بالنظر إليها وفق اللسانيات النصية على أنها تشكل بنى صغرى تخطيطية للنص القرآني كاملا؛ الموضوع الذي ستفضي بعض نتائج هذا البحث إلى انارة جوانبه المختلفة في جعل البناء الشكلي وسيلة للبحث في التماسك الدلالي في مستويات النص المختلفة.

الفصل الثاني

الانسجام الصوتي الصرفي في القرآن

أولا– المناسبة الصوتية

ثانيا– الحكاية الصوتية

ثالثا– الفاصلة القرآنية

رابعا– الإيقـــــــــاع

أولا – المناسبة الصوتية:

مدخل:

شكلت المناسبة اللغوية و الأسلوبية إحدى أهم آليات الانسجام الصوتي في القرآن الكريم و ذلك على مستوى النظم الصوتي الذي اتسم بخاصية التلاؤم و الانسجام في بنائه المحكم والمنظم.

وقد تطرق القدماء إلى هذا الملمح الصوتي في الخطاب القرآني من خلال دراستهم لائتلاف النسيج الصوتي الناتج عن دقة الاختيار و إحكام التركيب، وأول من استخدم هذا المصطلح ـ **الانسجام** ـ ابن أبي الإصبع ت(654هـ) في كتابه: **تحرير التحبير في صناعة الشعر و النثر وبيان إعجاز القرآن** قاصدا بذلك انسجام الكلام مع بعضه البعض في الجملة _ كظاهرة من الظواهر النصية، ومن الأصواتيين المحدثين إبراهيم أنيس الذي أصدر بعد حصوله على درجة الدكتوراه من لندن سلسلة قيمة من التأليف في علم اللغة كان أولها كتاب **الأصوات اللغوية** الذي صدر في طبعته الأولى عام1948 ويعد هذا الكتاب أول مؤلف بالعربية يعرض موضوعه من وجهة نظر علم اللغة الحديث[1]

واعتمد في كتابه على قراءة قرّاء القرآن المعاصرين باعتبارها أثرا حيا –إلى حد كبير–لنطق العربية الفصحى في الماضي واعتبرها معيارا ثابتا لنطق العربية لا تخضع لاختلاف اللهجات المعاصرة)[2]، وقد بحث إبراهيم أنيس في كتابه **الأصوات اللغوية** مخارج الأصوات وصفاتها ووضح بعض القوانين الصوتية كالمماثلة والمخالفة التي تتعلق بالانسجام الصوتي

[1]– دراسة البنية الصرفية في ضوء اللسانيات الوصفية ،عبد المقصود عبد المقصود الدار العربية للمطبوعات .لبنان ط1 2006، ص: 59.

[2]–العروض وإيقاع الشعر العربي سيد البحراوي ،الهيئة العامة للكتاب ط.1993، ص:118.

أما تمام حسان فقد اعتبر المناسبة أحد أوجه الانسجام الصوتي في القرآن:(**ولنستطيع أن ننسب إلى الأسلوب القرآني من هذه القيم الصوتية عددا نأمل تناوله بالدراسة منها الإيقاع والفاصلة والحكاية والمناسبة وحسن التأليف**).

وباعتبار المناسبة آلية من آليات الانسجام الصوتي المحققة لانسجام القرآن الكريم نبدأ بتعريفها وتقسيم أنواعها وكيفية اشتغالها في التشكيل الصوتي، وتفسيرها من جهة نظر علم الأصوات.

1 –تعريف المناسبة:

عرفت المناسبة كنتاج للانسجام الصوتي وفق قانوني المماثلة والمخالفة الصوتية عدة تعريفات أهمها:

تعريف تمام حسان حيث يقول:(**يقصد بالمناسبة الصوتية ان يكون الصوتان المتجاوران أو اللذان يفصل بينهما حاجز غير حصين أن يكونا على صوت لا يرد فيهما تنافر احدهما مع الآخر لا في الأداء ولا في السمع**)"[1]

وأما إبراهيم أنيس فقد حدد مفهومها بقوله:

(تتأثر **الأصوات اللغوية بعضها ببعض في المتصل من الكلام فحين ينطق المرء بلغته نطقا طبيعيا لا تكلف فيه نلحظ أن أصوات الكلمة الواحدة قد يؤثر بعضها في البعض الآخر كما نلحظ أن اتصال الكلمات في النطق المتواصل قد يخضع أيضا لهذا التأثر، و الأصوات في تأثرها تهدف إلى نوع من المماثلة أو المشابهة بينها يزداد مع مجاورتها قربها في الصفات أو المخارج ويسمى هذا التأثر بالانسجام الصوتي بين أصوات اللغة**)[2]

[1]– البيان في روائع القرآن دراسة لغوية أسلوبية للنص القرآني، تمام حسان، عالم الكتب القاهرة ط 1993 ، القسم الثاني ، ص: 300.

[2] – الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس مكتبة الانجلو المصرية، ط4، سنة 1971، ص: 179.

ويحدث هذا التأثر في التشكيل الصوتي بين الأصوات الصامتة، وبين الأصوات الصامتة والصائتة من جهة المخرج والصفة في مستوى التركيب الصرفي والنحوي تحقيقا للانسجام الصوتي وتيسيرا لعملية النطق واستمالة لإصغاء المتلقي.

2- أنواع المناسبة الصوتية:

للمناسبة الصوتية نوعان، مناسبة بالمماثلة ومناسبة بالمخالفة

2-1 المناسبة الصوتية بالمماثلة:

رأينا سابقا أن المناسبة الصوتية كأداة للانسجام الصوتي كانت نتيجة لقانوني المماثلة والمخالفة والآن سنعرف المماثلة ونذكر أشكالها ومستوياتها.

أ- تعريف المماثلة:

يرى كريم زكي حسام الدين أنها: (**تداخل أو ذوبان فونيم في فونيم آخر حتى يصيرا فونيما واحدا في سياق صوتي معين أو هو إلغاء ومحو لفونيم معين نتيجة تفاعله مع فونيم آخر يختلف معه في ملمح صوتي واحد على الأقل ويكون الفونيم الجديد الناتج عن عملية التحيين صوتا جديدا أو وسطا يبين الفونيمين المحول عنه و المحول إليه نتيجة لعامل المماثلة و التجاور**)[1]و مما سبق يتبين أن المماثلة الصوتية تهدف إلى إحداث نوع من الانسجام الصوتي في النص القرآني يسم تشكيله الصوتي بنوع من التلاؤم والائتلاف تسهيلا للنطق و توفيرا للجهد.

ب- مظاهر المماثلة: من مظاهر المماثلة الصوتية في النص القرآني ما يلي:

-**الجهر والهمس** : إذا تجاور صوتان مختلفان في الجهر والهمس يتم التماثل بأن يقلب أحدهما إلى صوت قريب منه يوافقه في الصفة ليصبح الصوتان مجهورين أو مهموسين، و ذلك ما استعمله القرآن في صياغة (إفتعل) من الأفعال التي فاؤها صوت مجهور مثل:(الدال والذال والزاي) فإن التاء المهموسة تقلب نظيرها المجهور وهو الدال كقوله تعالى:

[1]- أصول تراثية في علم اللغة، لكريم زكي حسام الدين، ص:113.

(وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَر)[1]

(وَلَقَدْ جَاءَهُمْ في القرآن مِنَ الْأَنْبَاءِ، أنباء القرون الخالية أو أنباء الآخرة ما فيه مزدجر ازدجار من تعذيب أو وعيد وتاء الافتعال تقلب دالا مع الدال والذال والزاي للتناسب) [2] كقوله تعالى: (وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ)[3]

ذكر ←ـــــ اذتكر ←ـــــ اذدكر ←ـــــ ادكر ←ـــــ مدكر

حيث قلبت تاء الافتعال المهموسة إلى نظيرها المجهور هو الدال للمناسبة.

ولتطابق المناسبة قلبت الذال الأصلية دالا وأدغمت فأصبحت مدكر

– **تغير مجرى الهواء:** من الفم إلى الأنف والعكس، كالنون والميم أو الميم والباء كما في قوله تعالى :(يَا بُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ)[4]

فقد قلبت الباء ميما في (اركب) أي إن صوت الباء انتقل إلى نظيره في أصوات الأنف وهو الميم

– **الإدغام:** وهو فناء أحد الصوتين في الآخر إذا كانا متجانسين أو متقاربين كقوله تعالى :(وما لكم من دون الله من وال) فقد فنيَ صوت النون في (من) في صوت الواو في (وال) وأدغما.

ج–أشكال المناسبة بالمماثلة:

استخدم علماء اللغة المحدثون عدة مصطلحات لأنواع التأثر الناتجة عن قانون المماثلة، فإن أثر الصوت الأول في الثاني فالتأثر مقبل وإن حدث العكس فالتأثر مدبر، وإن حدثت مماثلة تامة فالتأثر كلي وإن كانت المماثلة في بعض خصائص الصوت فالتأثر جزئي، وفي كل حالة من هذه الحالات الأربع قد يكون الصوتان متصلين تماما بحيث لا

[1]– سورة القمر الآية 5.

[2]– أنواع التنزيل وأسرار التأويل ، البيضاوي، دار الفكر، بيروت، د .ت .د.ط، ص:801.

[3]– سورة القمر آية 17.

[4]– سورة هود الآية 42.

يفصل بينهما فاصل من الأصوات الصامتة أو الصائتة، وقد يكون الصوتان منفصلين بعضهما عن بعض بفاصل من الأصوات الصامتة أو الصائتة)[1]

وهذا ما يوضحه الرسم البياني(1) الآتي:

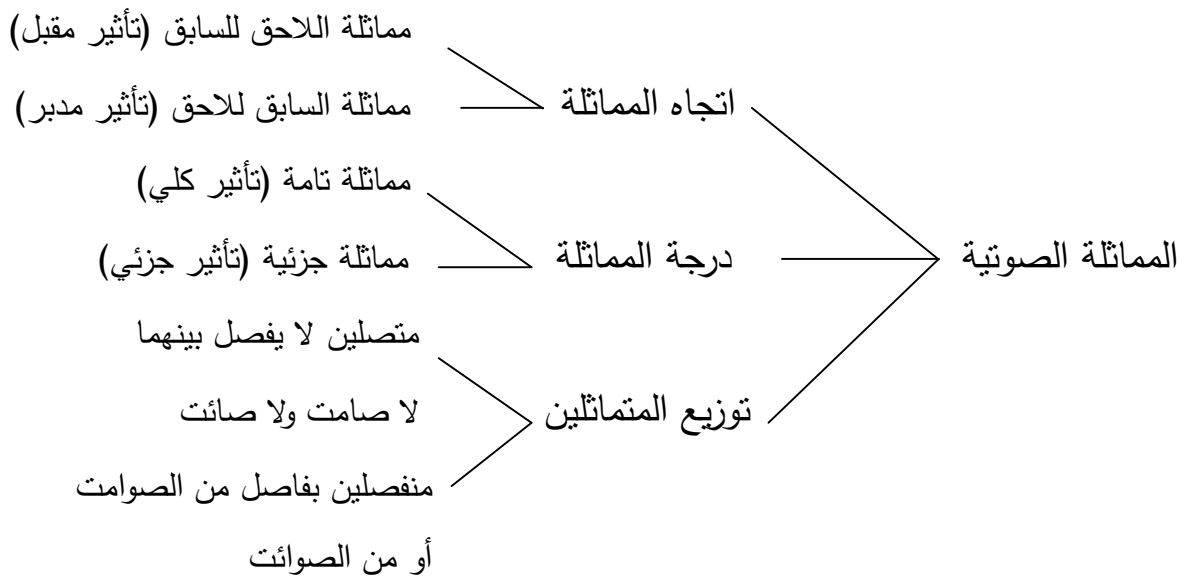

الشكل الأول: التأثير المقبل الكلي في حالة الاتصال.

أ ـ تتأثر تاء الافتعال دائما بالدال أو بالطاء قبلها فتقلب دالا أو طاء ومثال ذلك قوله تعالى:

﴿لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا ﴾[2]

ب ـ تتأثر تاء الافتعال غالبا بالذال أو الضاد أو الصاد قبلها فتقلب ذالا أو ضادا أو صادا ومثال ذلك قوله تعالى:

﴿وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَاْ أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ ﴾[3]

﴿وَلَقَد تَّرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾[4]

[1]– ينظر أثر الانسجام الصوتي في النسبة اللغوية في القرآن الكريم فدوى محمد حسان عالم الكتب الحديث ـ الأردن ط 1 2011 ص.71

[2]–سورة الكهف الآية 18.

[3]–سورة يوسف الآية 45 .

[4] – سورة القمر الآية 15.

﴿فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ﴾[1]

الشكل الثاني: التأثير المقبل الكلي في حالة الانفصال:

﴿فَزَيَّنُوا لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ﴾[2]

قلبت ضمة الهاء في (أيديهم) لتوافق الكسرة الطويلة قبلها

وفي (عليهم) لتوافق الياء الساكنة قبلها

وفي (قبلهم) لتوافق الكسرة قبلها

بينما بقيت مضمومة في (لهم) و (خلفهم) لعدم وجود تنافر بينهما وبين الفتحة قبلهما

الشكل الثالث: التأثير المقبل الجزئي في حالة الاتصال

تتأثر تاء الافتعال بالصاد والضاد أو بالزاي قبلها فتقلب طاء في الحالين الأوليين و دالا في الحال الثالثة و مثال ذلك قوله تعالى: ﴿فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ﴾ [3]

الشكل الرابع: التأثير المدبر الكلي في حالة الاتصال.

تتأثر التاء في صفتي (تفاعل) و(تفعل) بعد تسكينها للتخفيف بفاء الفعل إذا كانت صوتا من أصوات الصفير أو الأسنان ثم قيست على ذلك صيغة الفعل الماضي:

يتذكر ←—— يذّكر ←—— يذكر(اذكر) كقوله تعالى: (وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ الذِّكْرَى)[4]

وكقوله تعالى: (وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا)[5]

---

[1]– سورة مريم الآية65.

[2]– سورة فصلت الآية25.

[3]– سورة القمر الآية9.

[4]– سورة عبس الآية3 . 4.

[5]– سورة البقرة الآية 27.

يتدارأ ⟵ يتدارأ ⟵ يدارأ ⟵ ادارأ

و كقوله تعالى: (اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الأَرْضِ)[1]

يتثاقل ⟵ يثاقل ⟵ يثاقل ⟵ اثاقل

ـ تأثر النون في (ان ، ومن ، وعن) بالميم واللام التي تليها فتقلب ميما أو لاما

مثل : إن ما ⟵ إما كقوله تعالى: ﴿**فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى**﴾[2]

إن لا ⟵ إلا كقوله تعالى: ﴿**إِلاَّ تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ**﴾[3]

من ما ⟵ مما كقوله تعالى: ﴿**مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا**﴾[4]

عن ما ⟵ عما كقوله تعالى: ﴿**وَلاَ تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾[5]

الشكل الخامس: التأثير المدبر الجزئي في حالة الاتصال

تأثر النون الساكنة بالباء التالية لها فتقلب الى صوت من مخرج الباء وهو صوت الميم

(إِذِ انبَعَثَ أَشْقَاهَا)[6] قرئت (امبعثت)

2-2 المناسبة بالمخالفة الصوتية:

إذا كان قانون المماثلة الصوتية بأشكاله المتعددة يقرب بين أصوات الخطاب تحقيقا للانسجام الصوتي فإن قانون المخالفة يهدف إلى نفس الغرض ولكن بطريقة معاكسة وذلك بتغيير الصوتين المتماثلين، فالمخالفة إذن **(ظاهرة صوتية تجري بتغيير أحد الصوتين المتماثلين إلى صوت مخالف تيسيرا للنطق و تحقيقا للانسجام الصوتي في الكلام حيث يثقل على اللسان الجمع بين صوتين صامتين متماثلين في كلمة واحدة وبخاصة إذا كانا**

[1]- سورة التوبة الآية 38.

[2]- سورة طه الآية 123.

[3]- سورة التوبة الآية 40.

[4]- سورة نوح الآية 25.

[5]- سورة البقرة الآية 134.

[6]- سورة الشمس الآية 12.

متجاورين ، فيتم تغيير أحد هذين الصامتين إلى صوت آخر... وقد فطن علماء العربية القدماء إلى هذه الظاهرة و أطلقوا عليها عدة تسميات منها :

-كراهية التضعيف

ـ كراهية اجتماع حرفين من جنس واحد

ـ كراهية توالي الأمثال)[1]

والملاحظ أن أشكال المخالفة محدودة جدا مقارنة بصور وأشكال المماثلة كقوله تعالى: ﴿**ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى أَهْلِهِ يَتَمَطَّى**﴾[2]

أصلها تمطط ⟵ يتمطى توالى ثلاث طاءات وهذا فيه ثقل على اللسان، فقلبت الطاء الأخيرة ألفا وصارت (يتمطى)

3-مستويات المناسبة الصوتية:

يرى تمام حسان تمام أن الانسجام الصوتي في الخطاب القرآني بآلية المناسبة يتوزع إلى نوعين (تخضع **بعض صور المناسبة الصوتية في اللغة العربية للتقعيد ويخضع بعضها الآخر للاختيار الأسلوبي الفني الفردي)**[3] وهو ما يعني أنه يقسمها إلى مناسبة صوتية لغوية (صرفية ونحوية) ومناسبة صوتية أسلوبية (فنية فردية)

3-1- المستوى اللغوي للمناسبة الصوتية:

أ -الانسجام الصوتي على المستوى الصرفي:

نحاول في هذا القسم الوقوف على صور الانسجام الصوتي في النص القرآني على مستوى المباني الصرفية ذلك أن النظام الصرفي للغة العربية يتكون من ثلاث دعائم هامة:

---

[1]- أثر الانسجام الصوتي في النسبة اللغوية في القرآن الكريم، فدوى محمد حسان، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط 1، 2011 ص:77.

[2]- سورة القيامة الآية 33.

[3]- البيان في روائع القرآن ، تمام حسان ، ص: 300.

* مجموعة من المعاني الصرفية التي يرجع بعضها إلى التقسيم كالاسمية والفعلية و الحرفية ويرجع بعضها الآخر إلى التصريف كالإفراد وفروعه ويرجع بعضها الثالث إلى مقولات الصياغة الصرفية (الشخص /العدد/النوع/التصريف/...)

* طائفة من المباني تتمثل في الصيغ الصرفية واللواحق والزوائد والأدوات

* طائفة من العلاقات العضوية الايجابية وأخرى من المقابلات أو القيم الخلافية بين المعنى والمعنى والمبنى والمبنى).[1]

والملاحظ عند القدماء والمحدثين أن الكلمة القرآنية (كوحدة دلالية) بقسميها (المعجمي/الصرفي النحوي) في غاية الانسجام والتناسق الصوتي، مخارج أصوات وصفات وفق آلية المناسبة، وعند النظر في البني الصرفية المستعملة للنص القرآني نجدها على قسمين:

القسم الأول وفيه فرعان فرع مستعمل على الأصل الذي وضع عليه دون أي تغيير، وفرع حدث له تعديل ليصبح أكثر انسجاما بين صوامته وصوائته وذلك وفق ظاهرة من ظواهر الإعلال والإبدال والقلب والنقل والحذف والزيادة...

والقسم الثاني (متنافر الأصوات) سواء بين صوامته أو صوائته وهو قليل جدا بل يكاد أن يكون نادرا مثل كلمة (ضيزى)، فيتولى السياق إنتاج انسجامه كأحسن ما يكون، بواسطة إحدى أدواته كالحكاية الصوتية (الرمزية الصوتية) أو الإيقاع.

أما الفرع الأول من القسم الأول الذي استعمله القرآن على ما جاء في الأصل دون تبديل أو تعديل، لانسجامه في أصواته وتآلفه في نظمه كالألفاظ التالية:

خلق ـ رزق ـ سمع ـ علم ـ أرسل ـ أسلم ـ كفر وسميع/عليم، جنة/نار...إلخ

[1]–اللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط 1973، ص: 35.

مع جميع تصريفاتها في المضارع والأمر، ومشتقاتها مثل: اسم الفاعل واسم المفعول واسمي المكان والزمان وصيغ المبالغة والتفضيل فتبقى هذه الألفاظ منسجمة بذاتها قد استعملت على الأصل.

وأما الفرع الثاني الذي أصابه تغيير وتعديل لوجود ثقل فيه فتتولي المناسبة الصوتية على المستوى اللغوي رفع هذا الثقل تحقيقا للانسجام والتلاؤم في بنية الكلمة القرآنية، ويعد هذا عدولا عن الأصل، ويمكن إجمال أهم مظاهر هذا العدول فيما يأتي:

* **الابتداء:** ويقصد به همزة الوصل التي تضاف في بداية الكلمة للتمكين من النطق بالساكن

* **الإعلال:** ويقصد به التغيير الذي يحدث عن أصوات الكلمة ملحقة بها همزة ويقسم إلى الإعلال بالقلب والإعلال بالنقل والإعلال بالحذف.

* **الإبدال:** ويقصد به إبدال صامت بصامت آخر غير الهمزة وأصوات الكلمة.

* **الإدغام:** ويقصد به تأثير صامتين متماثلين أو متقاربين بعضهما في بعض ويقسم إلى إدغام المتماثلين وإدغام المتقاربين.

* **الحذف:** ويقصد به حذف أي صامت غير الهمزة وأصوات الكلمة من الكلمة

* **القلب المكاني:** ويقصد به قلب صامت مكان صامت آخر ضمن الكلمة الواحدة.

* **التوافق الحركي:** ويقسم إلى:

ـ توافق الصوائت القصيرة مع الصوامت ومع أصوات الكلمة.

ـ توافق الصوائت القصيرة مع الصوائت القصيرة في الكلمة الواحدة.

* **تركيب الأدوات:** ويقصد به الأدوات التي ركبت من أداتين فيحدث إبدال

أ ـ إبدال النون لاما ، ب ـ وإبدال النون ميما .[1]

[1]– أثر الانسجام الصوتي في البنية اللغوية في القرآن الكريم، ص:.98-99.

رسم بياني (2)

مظاهر تحقيق الانسجام الصوتي في البنية الصرفية القرآنية

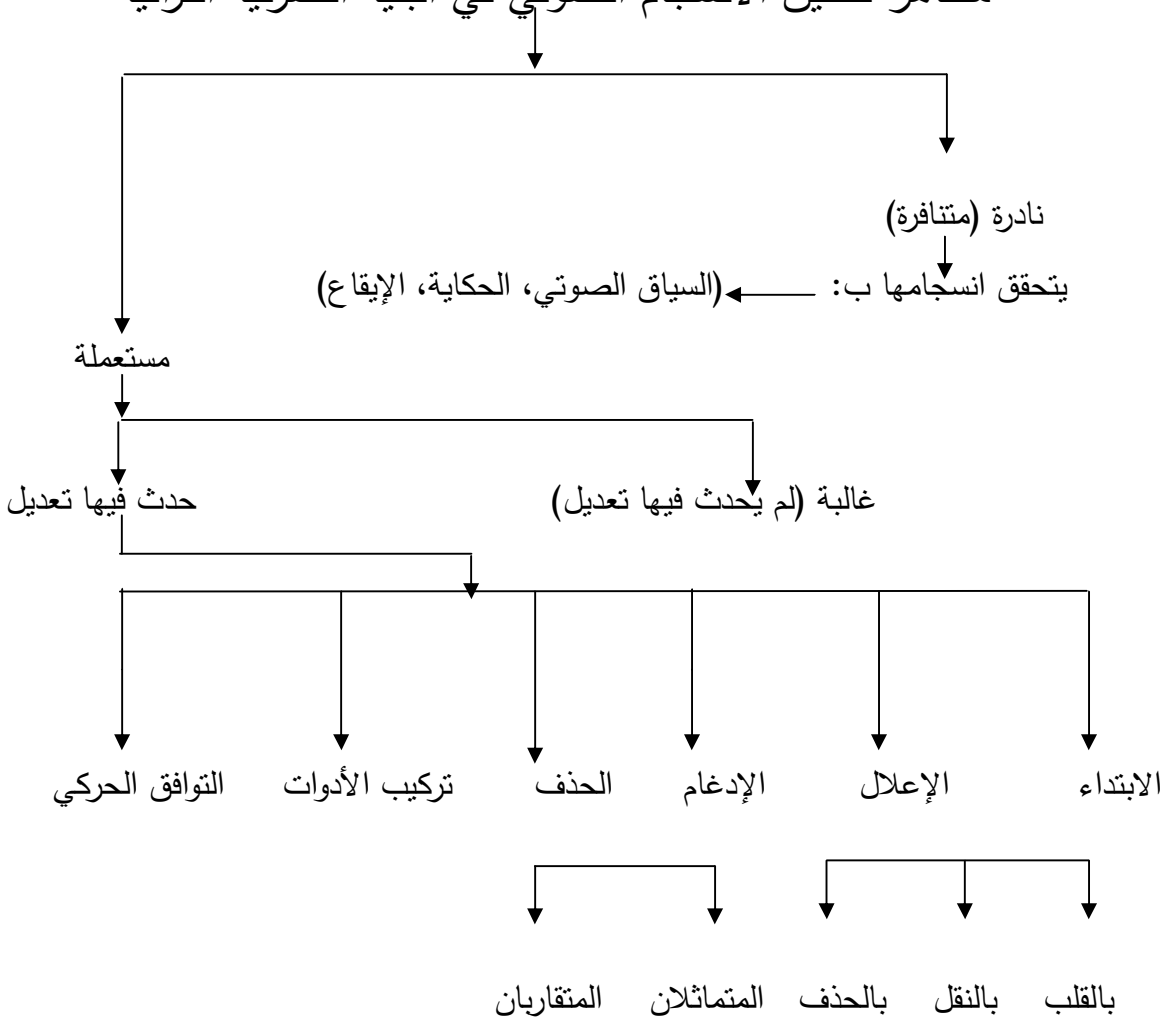

ب-الانسجام الصوتي على المستوى النحوي:

يعدل النص القرآني عن العلامة الإعرابية إلى أخرى ويكون ذلك عائدا إلى توالي أربعة متحركات وهذا مستكره فتبدل العلامة الإعرابية لإحداث تغيير في التركيب المقطعي أو قد تبدل العلامة الإعرابية بأخرى لإحداث المناسبة الصوتية بينها وبين اللاحقة الصرفية الجديدة أو ربما يجتمع في الكلمة ثلاثة مصوتات من المخرج نفسه فيتم استبدال العلامة الإعرابية للتخفيف من حدة المماثلات الصوتية وقد تستبدل العلامة الإعرابية لأمن اللبس أو لالتقائها بالساكن. [1]

3-2 المناسبة الأسلوبية:

يقول تمام حسان فيما يخص الانسجام الصوتي بواسطة المناسبة الأسلوبية الفنية: (والأسلوب القرآني في عموم أحواله يراعي أو ينسجم مع هذه القواعد التي تحكم هذا النوع من المناسبة، وأما المناسبة الفنية التي لا تحكمها القاعدة فقد تعددت مظاهرها في الأسلوب القرآني)[2]

1 ـ المناسبة الصوتية التي لا تحكمها القاعدة في الفاصلة القرآنية.

2 ـ الإمالة.

3 ـ وصف اللفظ بصفة من مادة اشتقاقه.

4 ـ مجيء ثاني اللفظين من مادة اشتقاق الأول

[1] -أثر الانسجام الصوتي في البنية اللغوية في القرآن الكريم، ص:401.

[2]- البيان في روائع القرآن، تمام حسان، ص 302.

ثانيا-الحكاية الصوتية:

من آليات الانسجام الصوتي في القرآن الكريم الحكاية الصوتية أو مناسبة الصوت والإيقاع للمعنى والأحداث المعبّر عنها، ذلك أن التشكيل أو النظم الصوتي لوحداته اللغوية له حظ بالاختيار أو التكرار أو العدول الأسلوبي في انتاج الدلالة الإيحائية على المعنى وهو ما يسمى بالرمزية الصوتية أو القيم الدلالية للصوت.

1- مفهوم الحكاية الصوتية:

سنناقش في البداية مفهوم الحكاية الصوتية واختلاف الآراء حولها قديما وحديثا وتحليل أنواعها في القرآن الكريم كآلية من آليات انسجامه، وقد أورد تمام حسان أحد المعاني الاصطلاحية للفظ الحكاية بقوله: (وقد يرد عليه ما عرفه اللغويون العرب باسم حكاية الصوت للمعنى بحيث يوحي جرس أصواتها بمعناها الذي رصد لها في المعجم فيلتقي الجرس والعرف عندئذ مصادفة ومحض اتفاق، ولكن انتقاء اللفظ بقصد استعماله يكون عن تعمد وحسن اختيار). [1]

هذا من حيث مفهوم الحكاية الصوتية أو القيمة التعبيرية للصوت، أما من حيث مقاربتها ف:(**رمزية الصوت هذه شغلت الباحثين في اللغات الإنسانية، وفي مختلف الثقافات منذ القديم الى يومنا هذا، إذ نجد لدى اليونانيين التيار الديمقراطي الذي كان يقول بالاعتباطية و الاصطلاحية والتيار الطبيعي أو الكراتيلي الذي كان يرى أن أصوات اللغة تمتلك تعبيرا ذاتيا، ولذلك وطوال قرون عديدة ألفت كتب كثيرة لإثبات صحة هذا الرأي، حتى أنه في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ظهرت بحوث تدعي وجود علاقة بين أصوات اسم العلم وبين خصائصه الجسدية والنفسية ولكن أهم رجّة أصابت هذا الاتجاه وزحزحته عن مكانه هو التيار البنيوي القائم على اعتباطية اللغة.**[2]

---

[1]- البيان في روائع القران، تمام حسان، ص 286.

[2]- تحليل الخطاب الشعري (استراتيجية التناص)، محمد مفتاح، المركز الثقافي العربي – بيروت، ط 3،1992، ص: 33.

إنّ هذه المناقشة بين القائلين باعتباطية اللغة وقصديتها تجد صداها واضحا في الثقافة العربية ويمكن أن نرى فيها بصفة عامة تيارين:

أ– تيار يقول بالقيمة الذاتية للصوت، وأبرز مثال لهذا الاتجاه هو ابن جني في خصائصه و تحت باب تصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني حيث يقول: **(وذلك أنهم كثيرا ما يجعلون أصوات الحروف على سمت الأحداث المعبّر عنها فيعدلونها بها ويحتذون عليها...فمن ذلك قولهم (خضم وقضم) فالخضم لأكل الرطب والقضم لأكل الصلب اليابس فاختاروا الخاء لرخاوتها للرطب والقاف لصلابتها لليابس حذوا لمسموع الأصوات على محسوس الأحداث)** وباب إمساس الالفاظ أشباه المعاني ومناسبة الألفاظ للمعاني، الذي قال فيه:**(اعلم أن هذا الموضوع شريف لطيف وقد نبّه عليه الخليل وسيبويه وتلقته الجماعة بالقبول)**

ب–وتيار لا يقول بالقيمة الذاتية للصوت ومنهم ابن سيد البطليوسي في فصل الأسماء المتقاربة في اللفظ والمعنى بعد أن أورد آراء ابن جني في بعض الأصوات مثل شدة القاف ورخاوة الخاء رأى أن ذلك قياس غير مطرد وأنهى كلامه بقوله: **(فإذا كان الأمر على هذا السبيل كان التشاغل بها كما كان تشاغل ابن جني عناء لا فائدة فيه).**

وهكذا نجد في الدراسات القديمة من يونانية ولاتينية وعربية تيارين واضحين كل منهما يبين وجهة نظر مغايرة بل وإذا حاولنا التدقيق في الآراء فإننا نجد رأيا وسطا يحاول التوفيق بينهما، وعلى هذا فإن المواقف الحديثة ليست في حقيقة الأمر إلا امتدادا لهذه المناقشة التاريخية، ولعل الأسلوبية الصوتية هي التي ورثت هذه القضية ذلك أن الدراسات الأسلوبية في هذا المجال تعتمد على ما انتهت إليه الدراسات السابقة وذلك بطبيعة الحال نتيجة بديهية لصلة أو علاقة وثيقة بين علم الأسلوب وعلم اللغة.

يقول صلاح فضل:**(تأتي الدراسات الأسلوبية على رأس الدراسات الحديثة التي اهتمت بالدلالة الصوتية خاصة وأن علم الأسلوب هدفه الحقيقي يتمثل في البحث في العلاقات المتبادلة بين الدوال والمدلولات عبر التحليل الدقيق للصلة بين جميع العناصر الدالة**

وجميع العناصر المدلولة بحثا يتوخى تكاملها النهائي حيث يتسع تحليل العلاقة لتلك الدلالات التي توحي بها البنية الصوتية للكلام بأجزائه من حيث كونها أصواتا لا من حيث كونها مواد معجمية وتراكيب لها دلالتها الوضعية المحددة)[1]

2-الوسائل اللغوية لإنتاج الحكاية الصوتية في القران الكريم:

2-1-الوسائل الصوتية:

أ- الإمالة:

من المواضع العجيبة التي تمثل عدولا صوتيا عن السياق القرآني لفظ (مجراها) بإمالة الألف لتكون قريبة في نطقها إلى الياء وذلك في قوله تعالى: (وقال اركبوا فيها باسم الله مجراها ومرساها).

حيث نلاحظ أن هذه اللفظة الوحيدة في السياق القرآني كله في قراءة حفص التي تتسم بهذه السمة الصوتية سمة الإمالة وحينما نتأمل سياق الآية نستشعر مدى مناسبة هذه اللفظة لجوها السياقي فالأمر بركوب السفينة هنا متجه إلى هؤلاء المؤمنين من أتباع نوح عليه السلام وقد أمروا بركوب تلك السفينة الغريبة التي لا عهد لهم بها من قبل، وهي راسية على بر ليس فيه قطرة ماء ، ومن هنا كان التعجب من جري هذه السفينة وكونها وسيلة للنجاة فطمأنهم الله تعالى بأن هذه السفينة سوف تجري بمشيئته وبركته (بسم الله) وأن جريها سيكون سهلا رخاء بلا معاناة ولا مشقة، ومن ثم جاءت الإمالة في مجراها لتعبر عن حركة تلك السفينة حين تشق عباب الطوفان في يسر وسهولة ورخاء، وحينما أراد الله تعالى أن يطمئنهم لرسوها، جاء بلفظ (مرساها) بلا إمالة ليعبر عن حال رسو السفينة وما يناسبه من الثبات والاستقرار مما يتلاءم مع صفة الإمالة الواردة في(مجراها).[2]

[1]- الخصائص لابن جني، مقدمة المحقق، عبد الحميد هنداوي المجلد الأول، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 2003 ص 31.

[2]- الخصائص، مقدمة المحقق هنداوي، ص 49.

ب- الغنة والنبر:

وننظر على سبيل المثال إلى ذلك المقطع الصوتي(أنّ) الذي يتميز بسمة صوتية لها دلالة خاصة هي سمة النبر الشديد بالنون المشددة ذات الغنة التي تغنى في القراءة القرآنية بمقدار حركتين في جميع السياقات وننظر إلى دلالة ذلك المقطع والتي قد ترد في سياقات كثيرة متضافرة مع الدلالة المعجمية للكلمة (أن) في إفادة التوكيد وهذا ما نستشعره في النطق بها مثل قوله تعالى:(ذلك بأن الله هو الحق وانه يحي الموتى وانه على كل شيء قدير وان الساعة آتية لا ريب فيها وان الله يبعث من في القبور) الحج 6 و7.

حيث تتوالى الكلمة في هذا السياق بدلالة واحدة وهي التوكيد المستفاد من دلالتها المعجمية ودلالتها السياقية، ودلالتها الصوتية التي يوحي بها تكرار النون فيها، فالتكرار من وسائل التوكيد، كما توحي بها تلك الغنة التي تغنى بمقدار حركتين يحدث من خلال النطق بها نوع من الضغط والارتكاز الذي يشبه الإصرار على تأكيد المعنى وتثبيته لدى السامع وهذا كله يتضافر مع الدلالة السياقية للكلمة في هذا المقام الذي تؤكد فيه قدرة الله تعالى على الإحياء والبعث.

ج-التفخيم والإطباق:

قال تعالى: ﴿**الذين كفروا لهم نار جهنم لا يقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها كذلك نجزي كل كفور وهم يصطرخون فيها ربنا أخرجنا نعمل صالحا غير الذي كنا نعمل** ﴾ فاطر 36-37 فالكلمة يصطرخون بجرسها الغليظ تصور بدقة بالغة (غلظ الصراخ المتجاوب من الكفار من كل مكان والمنبعث من حناجر مكتظة بالأصوات الخشنة كما تلقي إليك ظل الإهمال لهذا الاصطراخ وهذا يبين من مدى القيمة الدلالية لهذه الكلمة بهذا التشكيل الصوتي بحيث لا يعبر عن تلك القيمة تشكيل آخر ولو كان من نفس مادة الكلمة مثل (يصرخون) فإن الصاد والطاء بما فيهما من تفخيم وإطباق يعبر تمام التعبير عن حال أهل النار الذين يحاولون الخروج من ذلك العذاب، وهذا هو عين ما يصطرخون به

(ربنا أخرجنا) فإذا بهم يجدونها مطبقة عليهم ، تصطدم محاولاتهم وأصواتهم بجدرانها فترتد إليهم خائبة ،هذا الإطباق والاصطدام هو ما يوحي به اجتماع الصاد و الطاء بما لهذا الاجتماع من سمات صوتية تشبه ذلك الحال، كما تتلاقى دلالات التفخيم في كل من الصاد والطاء والفاء لتعبر عن فخامة الصراخ والجؤار لأهل النار كما تعبر الراء بما لها من صفة التكرارية عن تكرار ذلك الصراخ لاستمراريته ، ويشارك هذا حرف الواو بما له من صفة المد والهوى إلى غاية سحيقة ليدل على طول الصراخ ثم تأتي النون في نهاية الكلمة معبرة بأنتها الحزينة عن مدى الحسرة والخيبة التي يؤوب بها الكافر من هذا الصراخ الطويل الدائم الأليم.

2 – 2–الحكاية بواسطة صفة اللفظ الصوتية:

حسن اختيار ألفاظ القرآن الكريم وتركيبها في تشكيل صوتي دلالي هو الذي منح القرآن وحدة متماسكة مترابطة الأجزاء ليس على المستوى الدلالي أو الشكلي فحسب وإنما على مستوى العلاقة بين المستوى الصوتي والدلالي في مجمل أجزاء القول ومنها اللفظي أو المورفيمي في تحقيق الانسجام ووحدة النص ككل.

(إذا نظرنا في القرآن الكريم نجد أنه يراعي تمام المراعاة ما للفظ من خصائص صوتية تتفق مع السياق الوارد فيه، فإذا كان السياق للتفخيم أو للتهويل كان في ألفاظه من المقاطع الصوتية ما يدل على ذلك، كزيادة صوت أو تفخيمه أو كان يدل على التردد أو الحيرة كان في ألفاظه تكرار للصوت، أو كان يدل على التمهل و الصبر أو التباطؤ، كانت الألفاظ فيه تتوالى فيها السواكن والحركات بحيث يعقب كل متحرك ساكن إلى آخر ذلك)[1]

وتتحقق الحكاية بصفة اللفظ الصوتية بعدة طرق منها:

[1]– المناسبة في القرآن دراسة لغوية أسلوبية للعلاقة بين اللفظ والسياق اللغوي، مصطفى شعبان عبد الحميد، ط 1، 2007، المكتب الجامعي الحديث، مصر، ص: 133.

أ – زيادة صوت في المفردة:

إن زيادة صوت في بنية الكلمة يمنحها بالإضافة إلى دلالتها طاقة إيحائية خصوصا في مقام المبالغة و التفخيم، منها لفظ (مقتدر) فهو اسم فاعل من (افتعل) والتاء صوت شديد انفجاري يوحي بالقوة بسبب صفة الانفجار التي تصحب نطقه، ففي لفظ مقتدر من الشدة والقوة تفوق ما في قادر وقدير قال ابن جني: **(فمقتدر هنا أوفق من قادر من حيث كان الموضع لتفخيم الأمر وشدة الأخذ)** وذلك في قوله تعالى: ﴿ **وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ النُّذُر كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَاهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُقْتَدِرٍ** ﴾ . [1]

فبمقتضى هذا الإيحاء بزيادة تاء الافتعال آثر النظم القرآني لفظ مقتدر دون قادر أو قدير ليدل على فائق شدة الأخذ والعقاب الإلهي لاستكبار فرعون وعتوه، صادر ممن اتصف بالقوة وشدة البأس وهو ما أوحى به لفظ (مقتدر).

ب – تكرار صوت أو صوتين في المفردة:

إن تكرار صوت أو صوتين في مفردة هو الذي يؤهلها لإنتاج الحكاية بين المسموع والمفهوم من اللفظة القرآنية في سياقها مثل قوله تعالى: ﴿**مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لاَ إِلَى هَؤُلاء**﴾[2].

وهو لفظ وحيد الصيغة والمادة في القرآن يشتمل على صوتي الذال والباء فالذال والباء صوتان مجهوران أولهما:

احتكاكي والثاني انفجاري وهاتان الصفتان مع تكرارهما أعطتا للفظ مذبذبين خصائصه الصوتية الدالة على حركة التردد والحيرة عند المنافقين بين أهل الإيمان وأهل الكفر ذلك أنهم مترددون بين الكفر والإيمان، واختير هذا اللفظ الدال صوتيا على الاضطراب والحركة بين جناحين.

---

[1] –سورة القمر الآية 41–42.

[2]– النساء الآية 143.

(والذي له من الخصائص الصوتية ما يدل على ذلك من خلال ما يحدث من تذبذب الأوتار الصوتية عند نطق صوتي الذال والباء وهو ما يوحي بالتردد المستمر ثم تكرار كل صوت منهما هو ما يدل على حيرة هؤلاء المنافقين).[1]

ومن التكرار الصوتي في لفظ واحد لفظ **كبكبو** في قوله تعالى: ﴿**فَكُبْكِبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ**﴾[2]

قال ابن فارس: **الكبكبة** أن يتدهور الشيء إذا ألقي في هوة حتى يستقر، فكان تردد في الكب، و يتميز هذا اللفظ بتكرار صوتي الكاف و الباء وهما صوتان شديدان مكرران، و ناسب أن يؤتى مع هذه الفئات الضالة المضلة بلفظ **كبكبو** الدال على تكرار الكب والموحي بالمبالغة في العذاب والشدة ليتفق في صفته هذه مع عظم ما عليه من يتحدث عنهم السياق من ضلال وكفر، وما يستحقون من شدة العذاب قال العلوي مشيرا إلى هذا المعنى: **(و الكبكبة تكرير الكب بأنه إذا القي في النار فإنه يكب فيها مرة بعد مرة حتى يستقر في قعرها، فجعل تكرير اللفظ دلالة على تكرير المعنى على جهة المطابقة** [3]**)**

ج – إضافة السوابق واللواحق في المفردة:

وذلك بإضافة مجموعة من المورفيمات السابقة واللاحقة مثل لفظ **أنلزمكموها** في قوله تعالى: ﴿**قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّيَ وَآتَانِي رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَارِهُونَ**﴾[4].

فقد تعددت لواحق المفردة (الفعل) باتصال ضميري النصب مع جواز انفصال الثاني (أنلزمكم إياها) ولكن الاختيار الأسلوبي وقع على الاتصال فجاء هذا اللفظ بما ينصف به

[1]– المناسبة في القرآن، مصطفى شعبان عبد الرحيم، ص: 148.

[2]– الشعراء الآية 94–95.

[3]– المناسبة في القرآن، مصطفى شعبان عبد الرحيم، ص: 151.

[4]– هود الآية 28.

من كثرة المقاطع، مصورا حال صعوبة إلزام قوم نوح بالآيات وهم لها كارهون، ولو جاء الكلام على فصل الضمير الثاني عن الفعل لما صور هذا الاستثقال الذي تحكيه الآيات.

(وهكذا ترتقي القيمة الصوتية للألفاظ إلى ما ترصده المعاجم اللغوية لها من معان عرفية، وما ذكرناه من شواهد إنما هي نماذج فقط من النص القرآني، تبرز لنا ما تعطيه هذه القيمة الصوتية للألفاظ من إيحاءات ومعان فرعية، تضاف إليها معانيها الأصلية وترتقي بها في كثير من الأحيان إلى ما يقتضيه السياق من إيحاءات معينة تحقق للألفاظ التلاؤم بينها وبين ذلك السياق)[1]

2- 3 -الحكاية بواسطة التشكيل الصوتي للجملة والجمل:

من آليات الانسجام في الخطاب القرآني هذا التوافق والحكاية للأحداث المعبر عنها عرفيا وإيمانيا في جمل وفصوله**(لقد نقل إلينا السرد القصصي القرآني ألوانا من الأمثلة التي تصور وقائع الأحداث بالأصوات اللغوية، وتجسيد معانيها للمتلقي إلى درجة يكاد يرى فيها الفعل ويحس به ومن هذا الأمثلة حادثة الطوفان حيث شحنت الألفاظ والتراكيب التي عبر بها عن الحادثة بإيقاع صوتي شديد يتوافق مع الطبيعة الثائرة الغضبى)**2 قال تعالى : **(فدعا ربه أني مغلوب فانتصر ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر وفجرنا الأرض عيونا فالتقى الماء على أمر قد قدر وحملناه على ذات ألواح ودسر تجري بأعيننا جزاء لمن كان كفر)**.القمر10-14 لقد ساهم في إنتاج المعنى حكاية الأصوات التي تنبعث من الراء المجهور والمكرر الحاكي لأحداث التدمير بواسطة الطوفان، إن هذا التشكيل الصوتي للجمل نقل صورة حية لعظم هذا الحادث من جهة وأحداث الإنجاء و الإهلاك من جهة ثانية.

وفي مثال ثان يقول تعالى: ﴿**وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر عاتية سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوما فترى فيها القوم صرعى كأنهم أعجاز نخل خاوية**﴾. الحاقة6-7

[1]- المناسبة في القرآن ، مصطفى شعبان عبد الرحيم ، ص: 158.

(إن أصوات الصفير كلها جندت في هاتين الآيتين على مختلف صنوفها من الصاد والسين والزاي وذلك لتسهم في رسم الجو الحدثي الذي أوقعته الرياح في القوم، لقد تساندت هذه الأصوات وتآزرت، فأصبح المعمار الفني للآيتين يجلجل بصوت الريح وينذر بعقاب شديد ويرسم صورة صوتية معبرة عن وقائع الحادثة الأليمة التي ألمت بعاد).[1]

وكما سبق لاحظنا حكاية أصوات الجمل للأحداث التي عبرت عنها ونقلتها في صورة صوتية مثيرة كما في حادثة الطوفان من حيث طبيعتها وجلالها وما ترتب عنها من إنجاء نوح وأتباعه وإهلاك أعدائه أو كما في واقعة عقاب قوم عاد الألفاظ والتراكيب التي تعبر بها عن الحادثة، بإيقاع صوتي أكيد يتوافق مع الطبيعة الثائرة اللفظي.[2]

قال تعالى: ﴿فَدَعَا **رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانتَصِرْ، فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاء بِمَاء مُّنْهَمِرٍ. وَفَجَّرْنَا الأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاء عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ. وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ. تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاء لِّمَن كَانَ كُفِرَ**﴾ [3] لقد ساهم في إنتاج المعنى حكاية الأصوات التي تنبثق من الراء المجهور المكرر الحاكي لإحداث التدمير بواسطة الطوفان، وإن هذا التشكيل الصوتي للجمل نقل صورة قيمة لعظم هذا الحادث من جهة وأحداث الإنجاء والإهلاك.

وفي مثال ثان يقول تعالى:﴿ **وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا . فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ}**. [4]

...وإهلاك أعوانه ...أو في واقعة قوم عاد.

---

[1]– البنية السردية في القصص القرآني، طول محمد ، ط1، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1991، ص: 197.

[2]– نفسه ، ص: 199.

[3]–سورة القمر الآيات 10–14.

[4] –سورة الحاقة الآيات 6–7.

ثالثا- الفاصلة القرآنية:

تشكل الفاصلة أهم آلية صوتية أسلوبية في الانسجام الصوتي للخطاب القرآني، بالإضافة إلى بعدها الإيقاعي الجمالي المميّز لجنس القول القرآني، ذلك(أنّ الفاصلة أحد أبرز أشكال الأداء الصوتي التي امتاز بها القرآن ، فالصوت هنا لا يمتاز بأهميته الدلالية أو الإيحائية فقط، ولكنه يمتاز أيضا بأهميته التجنيسية، وهذا ما التفت اليه علماء القرآن منذ البداية ، فأطلقوا اصطلاح الفاصلة على نهايات الآيات حرصا منهم على تأكيد تمييز النص الكريم عن غيره من فنون القول الشائعة كقافية الشعر وسجع النثر)[1]

وتمتاز الفاصلة القرآنية بنوع من المرونة التكوينية تفارق بها صرامة الالتزام في القافية والقرينة إلى فضاء رحب متماسك من الثراء الإيقاعي المتنوع الآسر للمتلقين ،إذ تراها تجري في عدد من آيات السورة بنمط معين ولكنها سرعان ما تتحول عنه بفعل تحول الخطاب و الموضوع إلى نمط آخر على حد قول حازم القرطاجني الذي نقله السيوطي في الاتقان: (إن القرآن لم يجئ على أسلوب واحد لأنه لا يحسن في الكلام جميعا أن يكون مستمرا على نمط واحد لما فيه من التكلف ولما في الطبع من الملل عليه ولأن الافتنان في ضروب الفصاحة أعلى من الاستمرار على ضرب واحد، فلهذا وردت بعض آيات القرآن متماثلة المقاطع وبعضها غير متماثل) .

إن تحليل الانسجام الصوتي للفاصلة كعلاقات إيقاعية تؤكد التناسب بين الآيات والسور في الخطاب القرآني، ومقاربة هذا الانسجام الصوتي دفع الدراسات القرآنية للفاصلة الى مستويين من التحليل:

الأول يتعلق بالجانب الصوتي، أي بدال الفاصلة وضرورة تطابقه أو تماثله مع ما يتبعه وما يلحقه من فواصل في السورة أو فصولها.

[1]- النص والخطاب قراءة في علوم القرآن، محمد عبد الباسط عيد، ط 1، افريقيا الشرق، المغرب، 2016، ص: 118.

والثاني يتعلق بالدال نفسه أو بجملته من زاوية دلالية تحلّل تمكّنه داخل الآية الوارد فيها، (وإذا كانت وظيفة الفاصلة سبك الخطاب وجذب المتلقي الى أفقه فإن تحديد المدى الذي يتبدى فيه هذا التأثير رهن بالخصائص الصوتية التي تشكل فواصل النص، وهذا ما سبقت الدراسات القرآنية إلى ضبطه عبر استقصائها لأنماط الفواصل التي ترددت في النص الكريم ...قد استند إلى بعدين موضوعيين هما الوزن الصرفي وعدد الأصوات، أي أنه استند إلى مبدأي التوازن والكثافة).[1]

وهذا ما نلاحظه لاحقا في تعريف الفاصلة و أنواعها و أنساقها الصوتية بالإضافة الى دراسة سبل تحققها كقيمة صوتية (رعاية الفاصلة) في علاقتها بالنظام النحوي العربي ضمن العدول الأسلوبي في النظم الصوتي للقرآن و (المعروف أن اللغة العربية أوسع من النحو العربي لأن النحو قواعد ارتبط بها تنظيم ما اطرد من اللغة ثم يبقى بعد ذلك جزء من اللغة (الإبداع) لا يخضع لقواعد النحو بسبب عدم اطراده وهو جزء من اللغة يتساوى مع المطرد في الفصاحة فمن قواعد الأصول عند النحاة قاعدة تقول:(الشذوذ لا ينافي الفصاحة)، ولقد نزل القرآن بلسان عربي مبين (لا بنحو عربي متين) وهكذا امتدت تراكيبه على رحابة اللغة ولم ينحبس في بوتقة القواعد النحوية، فالقرآن مهيمن على اللغة كلها ما اطرد منها وما لم يطرد).[2]

1_ تعريف الفاصلة:

1-1-الفاصلة في المعنى اللغوي: اسم فاعل من مادة (فصل) جاء في لسان العرب: وأواخر الآيات في كتاب الله فواصل بمنزلة قوافي الشعر-جل كتاب الله عز وجل-واحدتها فاصلة وقوله عز وجل: كتاب فصلناه له معنيان:

- أحدهما تفصيل آياته بالفواصل

[1]- النص والخطاب، محمد عبد الباسط عيد ، ص: 122.

[2]- البيان في روائع القرآن، تمام حسان، ص: 283.

- والمعنى الثاني في فصلناه: بيناه

وقوله عز وجل:(آيات مفصلات) بين كل آيتين فصل، تمضي هذه وتأتي هذه بين كل آيتين مهلة)

وجاء في القاموس المحيط في مادة (فصل) الفاصلة: الخرزة تفصل بين الخرزتين في النظام، وقد فصلا لنّظم، وأواخر آيات التنزيل فواصل ...الواحدة فاصلة.

والملاحظ في التعريف اللغوي للفاصلة بيان موقعها في رؤوس الآي دون تحديد العناصر اللغوية لها سواء أكانت أصواتا أم مقاطع أم كلمات أو حتى جملا ولا بيان لوظيفتها غير الفصل أي التقطيع الأسلوبي للسورة.

1-2-الفاصلة في المعنى الاصطلاحي:

أما المعنى الاصطلاحي فقد تطور في الدراسات القرآنية والإعجازية نحو الفاصلة كهوية مميّزة لجنس القول القرآني عن غيره من أجناس القول عند القدماء والمحدثين.

فقد عرفها الرّمّاني بقوله: (الفواصل حروف متشاكلة في المقاطع يقع بها إفهام المعاني، وأما الزركشي فعرّف الفاصلة:(بأنها كلمة آخر الآية)

هذا عند القدامى أما المحدثين كمحمد حسناوي فلخّص تعريفات القدامى في:

- موقع الفاصلة آخر الآية.
- التشاكل في الحروف والمقاطع. [1]
- دورها في تحسين المعاني.
- دورها في استراحة الكلام.
- توضيحها بالمقارنة إلى القافية والسجع.

[1]- الفاصلة في القرآن، محمد الحسناوي، المكتب الإسلامي، بيروت، ط2 ،1986، ص: 29.

وأضاف تعريفا خاصا به قائلا:(الفاصلة آخر الآية كقافية الشعر وسجعة النثر والتفصيل توافق آخر الآي في حروف الروي أو الوزن مما يقتضيه المعنى وتستريح إليه النفوس وعليه يمكن أن تكون الفاصلة مقطعا أو كلمة أو جملة في التذييل).

2- الفاصلة بين القافية والسجعة:

(ارتبطت الفاصلة عند علماء البلاغة والدراسات القرآنية بالخطاب الإلهي القرآني وقد اعتبروها ظاهرة أسلوبية قرآنية واضحة المعالم بها انفرد القرآن عن النثر والشعر معا)[1]

وتبدو الفاصلة أكثر اشتباها بالسجعة منها بالقافية، وذلك أن القافية مرتبطة بالقول الشعري، والقرآن لم يكن شعرا بحال من الأحوال، ورغم ذلك تشترك الفاصلة مع القافية في الطبيعة الصوتية والموقع في النص، حيث تأتي في نهايات الأبيات الشعرية، سواء أكانت كلمة أو جزءً منها، ولكن تختلف عنها فيما يدرج تحت عيوب القافية من اختلاف الحذو والإشباع والتوجيه وذلك ليس بعيب في الفاصلة.

ورغم التشابه بينهما في الطبيعة فالاختلاف في الأحكام والوظيفة هو الذي خصص مصطلح الفاصلة للنص القرآني، وعليه جرى العرف في الدراسات القرآنية باستعمال مصطلح الفاصلة القرآنية إلى جانب منظومة أخرى في الدراسة بتعبير الجاحظ:

(سمّى الله تعالى كتابه اسما مخالفا لما سمّى العرب كلامهم على الجمل والتفصيل، سمّى جملته قرآنا كما سمّوا ديوانا وبعضه سورة كقصيدة، وبعضها آية كالبيت، وآخرها فاصلة كقافية) هذا فيما يخص العلاقة بين الفاصلة والقافية.

أما فيما يخص علاقتها بالسجع، فالسجع: تماثل الحروف في مقاطع الفصول، يشترك مع الفاصلة في الطبيعة الصوتية الإيقاعية عن طريق التماثل في الصوائت والصوامت، لكن للسجع مهمة لفظية تأتي لتناسق أواخر الكلمات في الفقرات وتلاؤمها فيكون

[1]- القضايا التطريزية في الدراسات القرآنية، دراسة لسانية في الصواتة الإيقاعية، أحمد البايبي، عالم الكتب الحديث الأردن، ج2، ط1، 2012، ص 194.

الاتيان به لسد الفراغ اللفظي، وأما مهمة الفاصلة فليس كذلك، بل هي مهمة لفظية معنوية بوقت واحد، وبذلك ارتفع مستوى الفاصلة في القرآن بلاغيا ودلاليا على مستوى السجع فنيا وإن وافقه صوتيا).

إذن فالفاصلة القرآنية بخصوصيتها التكوينية قرينة السجع في النثر ورديفة القافية في الشعر وهي عبارة عن مقوم إيقاعي مركب ذي أبعاد متعددة تعتمد على المشاكلة والمناسبة الصوتية وتفاعل الوحدات الإيقاعية ممثّلة في المقاطع والمقولات الصرفية، والأجزاء التركيبية تتنوع حسب اشتغالها في النص القرآني كما سنبيّنه في أنواع الفاصلة.

3-أنواع الفاصلة القرآنية:

إنّ دراسة الفاصلة القرآنية وأنواعها باعتبارها مقوما إيقاعيا مركبا، دراسة شاملة تكمن في مقاربتها من منظورين كمي وكيفي.

3-1-الفاصلة من المنظور الكمي:

سأحاول أن أقوم بعرض أهم الإحصائيات الخاصة بفواصل القران الكريم وأعمل على تحليلها وأختم ذلك كله بجملة من الملاحظات، لكن قبل ذلك لا بد من الإشارة هنا إلى أنّ أغلب الفواصل تشتمل على حرف مد (ا و ى) و على هذا الأساس نجد:

-فواصل تنتهي بحرف مد يليه حرف صامت، كما في قوله تعالى (عم يتساءلون...)

- فواصل تنتهي بحرف مد – تأتي في الغالب ألفا – وتكون مسبوقة بحرف صامت، كقوله تعالى: (والنازعات غرقا...)

- فواصل تنتهي بحرف صامت يسبقه حرف صامت مثل قوله تعالى: ﴿ **قل أعوذ برب الفلق** .... ﴾ ، أو بهاء ساكنة منقلبة عن تاء التأنيث المربوطة ، أو هاء الضمير ، أو هاء السكت ، كقوله تعالى : ﴿ **و ما ادراك ماهيه نار حامية** ﴾.

أهم الإحصائيات المتعلقة بفواصل القرآن الكريم:

-يشتمل القرآن الكريم على 114 سورة مكية ومدنية.

- يقدر عدد الآيات ب: 6236 آية.

وهذا الجدول يوضح أنواع الفواصل في القرآن وعدد مرات استعمالها ونسبها المئوية

الحرف	عدد المرات	النسبة المئوية
النون	3124	%50.09
الميم	665	%10.42
الراء	450	%7.21
الألف المقصورة	241	%03.86
الدال	198	%03.17
الباء	162	%03.17
التاء المربوطة	122	%2.59
اللام	67	%1.07
الهاء	49	%0.78
القاف	41	%0.65
التاء	34	%0.54
الياء	26	%0.41
الطاء	20	%0.32
الظاء	13	%0.20
العين	13	%0.20
الهمزة	12	%0.19
السين	11	%0.17
الزاي	11	%0.17

الصاد	**10**	**%0.16**
الكاف	**10**	**%0.16**
الجيم	**09**	**%0.14**
الفاء	**08**	**%0.12**
الواو	**03**	**%0.04**
الشين	**02**	**%0.03**
الذال	**02**	**%0.03**
الثاء	**02**	**%0.03**
الحاء	**01**	**%0.01**
الضاد	**01**	**%0.01**
الغين	**00**	**%00**
الخاء	**00**	**%00**

الملاحظات المستخلصة:

تبرز ميزة التطريب والتغني بكل وضوح في فواصل القرآن الكريم من خلال ما يأتي:

- **حرف النون:**

يمثل أكثر من نصف فواصل القران، حيث بلغت نسبة وروده فاصلة حوالي 50.09%، أضف الى ذلك التنوين الذي يلحق فواصل بعض السور، كسورتي الكهف ومريم، ولذلك فإنّ النون والتنوين يحوزان على أكبر قدر من الفواصل لما فيهما من الغنة التي لها وقع جميل على السمع، وانطلاقا من هذا نقول: إن عنصر الإيقاع والتنغيم والتطريب يقصد له في القرآن قصدا.

- حرف الميم:

يأتي بعد النون بنسبة 10.42%، ويليه الراء بنسبة 07.21% والملاحظ أن الميم حرف شفوي، والراء من الحروف التي تنطق باعتماد اللسان على الأسنان، ولذلك فهي تخرج من الجزء الأمامي لجهاز النطق وما نلاحظه هنا أن حروف الحنجرة والحلق أقل استعمالا من الحروف الشفوية والأسنانية، وكل ذلك قصد تيسير النطق على الإنسان.

- لقد خلت جميع فواصل القران الكريم من حرف الخاء، وحرف الغين وهما كما نعلم من الحروف الحلقية التي يصعب النطق بها، وهذا ما يؤكد حرص القرآن على اختيار الفواصل الميسورة و العذبة على النطق والسمع في آن واحد، أما حرف الحاء فقد ورد مرة واحدة فقط في سورة النصر، يقول تعالى: (إذا جاء نصر الله والفتح). [1]

3-2 – الفاصلة من منظور كيفي:

قسم البديعيون السجع ومثله الفواصل إلى خمسة أنواع:

متوازي، مطرّف، متوازن، مرصّع، ومتماثل

أ –**المتوازي:** ما اتفقت فيه الفواصل وزنا وتقفية

مثال: (فيها سرر مرفوعة وأكواب موضوعة)

حيث يكون في التوازي تناوب إيقاعي على مستوى القرائن من جهة ومستوى قافية القرائن من جهة ثانية

ب–المطرّف: وهو اتفاق الفواصل في حروف السجع لا في الوزن

(مالكم لا ترجون لله وقارا وقد خلقكم أطوارا)

وهو اتفاق بين كلمتي (وقارا) و (أطوارا) في الوقف على الراء الممدودة بالألف

جـ– المتوازن: وهو أن تتفق الفاصلتان في الوزن دون التقفية

مثال: (وآتيناهما الكتاب المستبين وهديناهما الصراط المستقيم)

فلفظ الكتاب والصراط متوازيان

[1]–النصر الآية 1.

ولفظ المستبين والمستقيم متوازيان

وهو في القرآن كثير و خاصة في المفصّل (قصار السور) كقوله تعال: ﴿ **فاصبر صبرا جميلا إنهم يرونه بعيدا ونراه قريبا** ﴾ و كقوله:﴿**إن الإنسان خلق هلوعا إذا مسه الشر جزوعا وإذا مسه الخير منوعا** ﴾.

فالفواصل المتوازنة على مستويي الأوزان والتشكيل المقطعي هو الذي أعطى للقرآن انسجامه الإيقاعي، وإن تخلّف عن المتوازي بالتقفية، إلا أن المتوازن هو الأكثر ورودا في الخطاب القرآني كقوله تعالى:﴿ **يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ يَقُولُونَ أَئِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ أَئِذَا كُنَّا عِظَامًا نَّخِرَةً قَالُوا تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ فَإِذَا هُم بِالسَّاهِرَةِ** ﴾.

فهذه الكلمات(الفواصل) متحدة في بنيتها المقطعية، وهو ما يعطيها شيئا من الشعر الموسيقي المتحرر من التقفية الخارجية وقد وضّح هذا سيد قطب بقوله: (إن النسق القرآني قد جمع بين مزايا النثر والشعر جميعا، فقد أعفي التعبير من قيود القافية الموحدة والتفعيلات التامة، فنال بذلك حرية التعبير الكاملة عن جميع أغراضه العامة وأخذ في الوقت ذاته من الشعر الموسيقى الداخلية، والفواصل المتقاربة في الوزن التي تغني عن التفاعيل، والتقفية التي تغني عن القوافي).[1]

د-المرصع: المرصع من الفواصل كالمتوازي ويضاف إليه التقابل فتتفق فيه الفواصل وزنا وتقفية وتتقابل فيه عناصر القرائن مثل قوله تعالى:﴿**إن إلينا إيابهم ثم إن علينا حسابهم**﴾ وقوله تعالى: ﴿ **إن الأبرار لفي نعيم وإن الفجار لفي جحيم** ﴾.

[1]- التصوير الفني في القرآن، دار المعارف، مصر، د ت، ص: 85.

فإذا كان ما في إحدى القرينتين من الألفاظ أو أكثر ما فيها مثل ما يقابله من الأخرى في الوزن والتقفية فهو الترصيع مثل قوله تعالى:﴿ **وَالطُّورِ وَكِتَابٍ مَّسْطُورٍ فِي رَقٍّ مَّنشُورٍ وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ وَالْبَحْرِ الْمَسْجُور** ﴾ .

ويعتمد الانسجام الإيقاعي على مبدأ التساوي والتشاكل كقوله تعالى:

(إذا الشمس كورت

وإذا النجوم انكدرت

وإذا الجبال سيرت

وإذا العشار عطلت)

هـ-المتماثل: وذلك إذا اختلفت التقفية في المرصع أصبحت الفاصلة متماثلة، وهو أن تتساوى القرينتان في الوزن دون التقفية، وتكون عناصر الأولى مقابلة لما في الثانية كقوله تعالى: ﴿**وَالسَّمَاء وَالطَّارِقِ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ النَّجْمُ الثَّاقِبُ إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ** ﴾

4-وظيفة الفاصلة في الانسجام القرآني:

نعتمد في بيان وظيفتها على الخلاصة التي وصل إليها أحمد البابي في كتابه القضايا التطريزية حيث يقول:(لقد أفضى البحث في إيقاع الفاصلة ودورها في بنية القول القرآني من خلال ما وفرته الدراسات القرآنية بعامة، وكتب القراءات التجويد والاحتجاج وإعراب القرآن وتفسيره من معطيات، أن الإيقاع يؤدي دورا رقابيا على التركيب وعلى باقي مراحل اشتقاق الجملة المختلفة في مستوياتها اللسانية، التركيبية والصرفية والصوتية... مما يجعله مصفاة تطريزية تؤدي دورا رقابيا على تلك المستويات بعامة وعلى التراكيب بخاصة:

وتبين كذلك أن الخرق(العدول) يتجاوز المستويات اللسانية إلى الظواهر الخارجة عن اللسانيات مثل اختيار القراءة والاحتجاج لها من مطلق إيقاعي محض. وقد تبين كذلك أن الإيقاع من خلال الوقف يوجه النحو وذلك بالانسجام في إحداث أبواب نحوية ورفع اللبس التركيبي بل وتأسيس العلاقات التركيبية).[1]

[1]- في القضايا التطريزية، أحمد البابي، ص: 290.

رابعا-الإيقاع:

يشكل الإيقاع أهم مقومات الأسلوب القرآني في التعبير، إن في طبيعته التي تجمع شيئا من الوزن المتقارب في الفاصلة والتشكيل المقطعي للآيات في السور، أو في وظيفته، حيث الانسجام بين البنية الصوتية للخطاب وما تدل عليه المعاني، وما تثيره من أحاسيس. ولعل الناقد محمد مندور من أوائل من أشار إلى أن للنثر وزنا وإيقاعا كما هو الحال في الشعر، يختلف عنه من حيث الاطراد، ومن حيث الخفاء في كتابه (في الأدب والنقد) الذي كتب مقدمته 1949، وبين تعريفه وطبيعته وأنواعه، وأشار صراحة إلى ذلك حيث مثل لنوعي الأساليب النثرية بين الخطابة والتقرير، فالأول الأسلوب المهشم الذي تقصر فيه الجمل فتتلاحق، وهو الأسلوب المكي عموما والأسلوب المموج الذي يمتاز بطول جمله وهو الأسلوب المدني، حيث يقول « **وليس من شك في أن للنثر وزنا وإيقاعا كما هو الحال في الشعر وإن كان أخفي وأقل اطرادا ،ولقد دُرست أوزان النثر في أوروبا كما درست أوزان الشعر تماما ،و المقصود بالأوزان هو وجود أمرين: الكم والإيقاع، و الانسجامات الصوتية**

1- الكم والإيقاع :

الكم هو الزمن الذي تستغرقه الجملة في نطقها، ومن الواجب أن يكون هناك نسب بين الجمل المختلفة من حيث كمها، عن طريق التساوي والتقابل

والإيقاع: عبارة عن تردد ظاهرة صوتية، بما في ذلك الصمت على مسافات زمنية متساوية أو متقابلة، الإيقاع موجود في النثر كالشعر مع فارق جوهري واحد هو أنه في النثر تتطابق الوحدات الإيقاعية مع الوحدات اللغوية، وأما في الشعر فضرورة المساواة بين الوحدات الإيقاعية كثيرا ما تقضي بأن تنتهي في وسط اللفظ دون أن تكمل الجملة.

وكل نثر لابد له من إيقاع ما دام الكلام بطبيعته لابد أن ينقسم إلى وحدات»[1]

[1]- في الأدب والنقد، محمد مندور، دار النهضة مصر للطبع والنشر، ط 5، مصر،(د.ت)، ص: 25.

لقد أثار مندور في النص السابق ثلاث قضايا منهجية في دراسة الإيقاع وهي:

- مفهوم الإيقاع
- الإيقاع في الشعر والنثر
- مقومات الإيقاع بين الشعر والنثر (الكم والمقطع)

1- مفهوم الإيقاع:

يرى مندور أن الإيقاع سواء في الشعر أم في النثر يتمثل في الوحدات والتشكيل، فالكم هو الزمن الذي تستغرقه الجملة الشعرية (البيت) أو النثرية في نطقها، ومن الواجب أن يكون هناك تناسب بين الجمل المختلفة من حيث كمها عن طريق التساوي في الشعر، والتقابل أو التوازن في النثر الفني، والتشكيل عبارة عن أنماط تردد ظاهرة صوتية بما في ذلك الصمت على مسافات زمنية بعد القافية في الشعر، والفاصلة في القرآن مسافات متساوية أو متقابلة.

2- الإيقاع بين الشعر والنثر:

ينبه مندور على أن أوزان النثر درست في أوروبا كما درست أوزان الشعر تماما، في حين أن المسلم به عندنا أن للشعر إيقاعا ووزنا، وأنه أحد مقوماته الأساسية، وقد ارتبط الإيقاع والشعر في تصورنا بتراث ضخم من الدراسات العروضية، ومفاهيم نقدية مؤسسة لمفهوم الشعر، إلا أن ارتباط الإيقاع في تصورنا بالنثر كان عاما غير واضح، ولم يخضع لدراسات منهجية محددة، يقول تمام حسان عن ذلك: **(لقد جعلنا من عاداتنا العقلية أن نحكم الربط بين مصطلح الإيقاع والشعر الموزون فنقول إيقاع الشعر ونحن نعني وزن الشعر، ولم تعرف تقاليدنا الفكرية إدراك الرابطة التي تربط الإيقاع بصور التعبير الأخرى، بل إننا كلما تمثلت ظاهرة الإيقاع لإدراكنا غلفناها بطائفة من الصور المجازية في التعبير عنها).** [1]

[1]- في روائع القرآن، تمام حسان، البيان، مصدر سابق، ج 2، ص: 257.

إن الإيقاع في النثر الفني ينبع من طبيعة النظام اللغوي، فكل نثر لابد له من إيقاع مادام الكلام بطبيعته لابد له أن ينقسم إلى وحدات.

3- مقومات الإيقاع بين الشعر والنثر:

وهنا يخلص مندور إلى أن الفارق الجوهري بين الإيقاع في الشعر والإيقاع في النثر يكمن في أنه في الثاني(النثر) تتطابق الوحدات الإيقاعية مع الوحدات اللغوية، أما في الأول (الشعر) فضرورة المساواة الكمية كثيرا ما تقضي بأن تنتهي في وسط اللفظ دون أن تكمل الجملة.

4- دراسة الإيقاع في النثر:

بعدما اتضح من أن الإيقاع في النثر يعتمد على مكونات النظام الصوتي في اللغة وخصوصا المقاطع الصوتية، وما يتصل بذلك من قواعد النبر في الكلام نتساءل عن مفهوم المقطع الذي كان معروفا منذ القرن الرابع هجري عند طائفة من الفلاسفة والأطباء وعلماء الكلام العرب ومدى إعراض اللغويين عن الإفادة من هذه المعرفة.

يقول أحمد محمد قدور:(إن مفهوم المقطع كان معروفا منذ القرن الرابع الهجري عند طائفة من الفلاسفة والأطباء وعلماء الكلام، أما أسباب إعراض اللغويين عن الإفادة من هذه المعرفة فليس من السهل إدراكها، لكن ينبغي التنبيه على أن هذا الإعراض لم يترتب عليه أي نقص ملحوظ في دراسة العربية وفهم أنظمتها لدى القدامى).[1]

والباحث لا يشاطره الرأي في أن إعراض اللغويين عن الإفادة من معرفة المقطع الصوتي لم يترتب عليه أي نقص ملحوظ، بل إن عدم استفادتهم من توظيف مفهوم المقطع أثر في تأخر دراسة الإيقاع في النثر عموما وفي القرآن خصوصا، وهو ما استدركه درس الإيقاع الحديث مع قصيدة النثر، يقول تمام حسان: **(إن المدخل إلى دراسة الإيقاع لا يكون إلا من**

[1]- مبادئ اللسانيات، أحمد محمد قدور، دار الفكر، دمشق، ط2008، ص: 162.

خلال معرفة المقاطع اللغوية العربية المختلفة الكميات، وما يتصل بذلك من قواعد النبر في الكلام)[1].

5- الإيقاع والانسجام القرآني:

إن توزيع النبر بنوعيه الأصلي والثانوي، الواقع على مقاطع المفردة بسوابقها ولواحقها، وعلى المفردات عندما تتجاور في سياق النظم وما ينشأ من تجاورها من أوضاع جديدة يفرض على النبر أن يقع على مسافات متقابلة ومتوازية ينتج عنها نمط من الإيقاع منسجم مع العالم الدلالي للخطاب وما يثيره من أحاسيس وعواطف، وهذا الانتظام هو الذي يمنح الأسلوب القرآني إيقاعه وانسجام مكوناته، وهذا ما سنوضحه من خلال تحليل أنواع المقاطع الصوتية في النص القرآني وأنماط نظمها وتشكيلها.

5-1-الصور المقطعية في القرآن الكريم:

سنتناول في هذا الموضع صور المقاطع في الكلمة المستعملة في السياقات النصية للقرآن.

المقطع الأول: هو المقطع القصير المفتوح (ص ح) وصوره كالآتي:

- يأتي في بداية الكلم، مثل قوله تعالى (أساوِرَ)[2]، و(قراطيس)[3] فمقاطعهما مبدوءة بالمقطع القصير (أ – سا– و–ر) =(ص ح /ص ح ح /ص ح /ص ح)

وكذلك (ق– ر– ا – طي–س) =(ص ح /ص ح ح /ص ح ح/ ص ح).

- ويأتي في وسط الكلمة، مثل قوله تعالى:(مستقر)[4]فهي تتكون من ثلاث مقاطع أوسطها ، المقطع القصير كالتالي :(مس– ت –قر)=(ص ح ص/ ص ح /ص ح ص).

[1]– البيان في روائع القرآن، تمام حسان، ج 2، ص: 258.

[2]– سورة الكهف الآية (31).

[3]– سورة الأنعام الآية (91).

[4]– سورة القمر الآية (03).

- ويأتي في نهاية الكلمة، مثل قوله تعالى: (عم) [1]فهذه الكلمة تتكون من مقطعين الثاني منهما ، مقطع قصير (عم /م)=(ص ح ص /ص ح).ومثل ذلك (ثم ولم)
- ويأتي في أول الكلمة ووسطها، مثل قوله تعالى: (سيطوقون)[2]وهي تتكون من أربعة مقاطع في حالة الوقف ،الأول و الثاني وما قبل الأخير مقاطع قصيرة كتالي (س–ي–طو–و–قون) =(ص ح/صح ص ح ح/ ص ح /ص ح ح ص)
- ويأتي في أول الكلمة ووسطها و آخرها، ، مثل قوله تعالى : (سمع)[3] وهذا الفعل يتكون من ثلاث مقاطع قصيرة كالتالي:

(س –م –ع) =(ص ح/ص ح /ص ح).

- يأتي مورفيما مستقلا، وذلك مثل: بعض الحروف الجر كالباء (ب)وكالواو في قوله تعالى:

(ووصى)[4]و كـ (لام التعليل) (ل) وكاف التشبيه (ك) فكل هذه المورفيمات تتكون من مقطع قصير (ص ح).

- ومن هذا المقطع القصير وحده يمكن أن نجد كلمات لغوية ذات معنى أو بالأحرى ذات وظيفة، ومن ذلك حروف الجر، كالباء، والكاف، واللام، والواو وهي ذات وظائف متعددة، تؤديها في الجملة فالباء قد تفيد التبعيض، أو الاستعانة أو الالتصاق أو الشمولية، والكاف للتشبيه واللام للملك أو الاختصاص، والواو للعطف أو للقسم، وهذه كلها وظائف ذات أهمية في تكوين الجملة العربية أو في تأليف الكلام العربي.[5]

---

[1]– سورة النبأ الآية (011).

[2]– سورة آل عمران الآية (180).

[3]– سورة المجادلة الآية (01).

[4]– سورة البقرة الآية (132).

[5]– المنهج الصوتي للبنية العربية ، رؤية جديدة في الصرف العربي، عبد الصبور شاهين ، مؤسسة الرسالة ، سوريا 1400 هـ ،–1980م، ص: 38.

يعد هذا المقطع أكثر المقاطع ورودا في بداية الآيات وأقل المقاطع ورودا في نهاية الآيات. كما انه يتغير غالبا عند الوقف عليه.

- يندر تتابع هذا المقطع ثلاث مرات في كلمة واحدة مجردة، وأكثر ما اجتمع في كتاب الله عز وجل، من المقاطع القصيرة الثمانية؛ وذلك في موضعين من سورة يوسف؛ احدهما قوله تعالى: (**إني رأيت أحد عشر كوكبا**)[1] ،(ت/ أ/ح/د /ع/ش/ر /ك)وقوله تعالى : (حتى يأذن لي أبي أو يحكم الله لي)[2]

(ذ/ن/ ل/ي/ أ/ب/ي/ أ) على قراءة من حرك الياء في (لي) و(أبي) ومثل هذين الموضعين قوله تعالى: (**قال سنشد عضدك بأخيك ونجعل**) [3] (د/ ع/ض/د/ك /ب/أ/خ).

المقطع الثاني: هو المقطع الطويل المفتوح (ص ح ح) والصورة كتالي :

ـ يأتي في بداية الكلمة، مثل قوله تعالى(سائل)[4] فمقاطعها اثنان في حالة الوقف الأول (ص ح ح) (سا-ئل)=(ص ح ح/ص ح ص).

ـ يأتي في وسط الكلمة، مثل قوله تعالى(مغانم)[5] وتوزيعها المقطعي (م-غا-ن-م) =(ص ح /ص ح ح /ص ح /ص ح).

ـ يأتي في نهاية الكلمة، مثل قوله تعالى:(زكريا)[6] و (سمعنا)[7] و(قالوا) [8]و(تجري)[9] فآخر هذه الآيات هو مقطع طويل مفتوح (يا-لو-ري) = (ص ح ح/ص ح ح / ص ح ح).

---

[1]- سورة يوسف الآية (04).

[2] - وانظر القراءة في التيسير في القراءات السبع، للداني، ج 1 ، ص: 93، سورة يوسف الآية (80).

[3]- سورة القصص الآية (35).

[4] -سورة المعارج الآية (01).

[5] -سورة الفتح الآية (15).

[6] -سورة مريم الآية (7).

[7]-سورة النور الآية (51).

[8]- سورة الحجر الآية (58).

[9]- سورة يس الآية (38).

ـ يأتي في أول الكلمة ووسطها، مثل قوله تعالى:(جاءوكم)[1] فتوزيعها المقطعي كالتالي (جاء و –كم) = (ص ح ح/ص ح ح/ص ح ص) .

ـ يأتي في أول الكلمة وفي آخرها، مثل قوله تعالى: (راعنا)[2] مقاطعها (را–ع–نا) = (ص ح ح/ص ح /ص ح ح).

ـ يأتي في الوسط وفي الآخر، مثل قوله تعالى: (ذبحوها)[3] ومقاطعها (ذ–ب–حو–ها) = (ص ح/ ص ح / ص ح ح/ ص ح ح).

ـ يأتي في الأول وفي الوسط وفي الآخر، مثل قوله تعالى: (فآويناهما)[4] فتوزيعها المقطعي (ف –ءا–وي–نا–ه–ما) = (ص ح/ ص ح ح/ ص ح ص / ص ح ح /ص ح /ص ح ح).

ـ يندر تتابعه مرتين في كلمة مجردة، كما انه يقل تتابعه أكثر من مرتين في كلمة غير مجردة مثل قوله تعالى: (ءاتوني) ُ (جاءوها) [5]و (ءابآئنا)[6] الكلمات الثلاث تتابع فيها ثلاثة مقاطع طويلة (ص ح ح /ص ح ح /ص ح ح)

ـ يأتي مورفيما مستقلا مثل أداة النداء(يا) و النفي (لا) و(ما) في كل حالاتها وفي حر الجر (في) وقد يرد فعل الأمر (قوا)

ـ يرد قليلا في بداية الآيات ويكثر وروده في الوسط. وفي آخر الآيات عند الوصل فقط

---

[1]سورة الأحزاب الآية (10)

[2]– سورة النساء الآية (46).

[3]– سورة البقرة الآية (71).

[4]– سورة المؤمنين الآية (50).

[5]– سورة الزمر الآية (81).

[6]– سورة الدخان الآية (36).

المقطع الثالث: المتوسط المغلق بصامت (ص ح ص)

- يأتي في أول الكلمة، مثل قوله تعالى:(يرسل)[1] وتوزيعها المقطعي كالتالي (ير-س-ل) =(ص ح ص/ص ح /ص ح) ومثلها (أنزل)[2] و(اخسئوا) [3]و(مؤمنات)[4] .
- . يأتي في وسط الكلمة، مثل قوله تعالى:(يزكيهم)[5] (ي-زك-كي-هم) = (ص ح /ص ح ص/ص ح ح /ص ح ص).
- يأتي في آخر الكلمة، مثل قوله تعالى:(ينقلب)[6] (ين-ق-لب) = (ص ح ص /ص ح /ص ح ص).
- يأتي في الأول وفي الوسط وفي الآخر،مثل قوله تعالى: (ينصركم)[7]و توزيعها المقطعي كالتالي:(ين – صر-كم)=(ص ح ص/ص ح ص/ص ح ص)
- يأتي في الأول وفي الآخر، مثل قوله تعالى: (سجرت)[8] ومقاطعها كالتالي (سج- ج – رت)=(ص ح ص / ص ح /ص ح ص)
- يأتي في الوسط وفي الآخر، مثل قوله تعالى: (فأمطر) [9]مقاطعها كالتالي (ف- أم – طر)=(ص ح/ ص ح ص / ص ح ص).
- يأتي في الأول وفي الوسط و الآخر، مثل قوله تعالى: (أنذرناكم) [10]ومقاطعها كالتالي (أن- ذر -نا-كم)=(ص ح ص / ص ح ص/ص ح ح/ص ح ص).

---

[1]- سورة النوح الآية (11).
[2]- سورة البقرة الآية (174).
[3]- سورة المؤمنين الآية (108).
[4]- سورة الفتح الآية (25).
[5]- سورة الجمعة الآية (02).
[6]- سورة الملك الآية (04).
[7]- سورة آل عمران الآية (160).
[8]- سورة التكوير الآية (6).
[9]- سورة الأنفال الآية (32).
[10]- سورة النبأ الآية (29).

ـ وقد يأتي منفردا في كلمة واحدة، مثل قوله تعالى: (قل)[1] و(سل)[2] ومثل (لن ،ولم ، وعن ، وإذ ، وأن ...الخ)، أو مقطعين مثل (صم بكم عمي)[3] كما انه قد يأتي متكررا أربع مرات مثل قوله تعالى: (استكبرتم)[4] (اس –تك–بر–تم)= (ص ح ص / ص ح ص/ ص ح ص / ص ح ص ح).

ـ يأتي غالبا مع همزة الوصل ن في حذفها، أو اثباتها مثل قوله تعالى (اعتصموا) او(واعتصموا)[5] ،الأولى مثبتة ،ومشكلة مقطعا مستقلا (اع/ت/ص/موا)= (ص ح ص / ص ح /ص ح/ ص ح ح) والثانية محذوفة، لكن المقطع ظل ثابتا لم يتغير لا في الشكل ولا في العدد (وع/ت/ص/موا)= (ص ح ص / ص ح /ص ح/ ص ح ح)

المقطع الرابع: الطويل المغلق بصامت (ص ح ح ص).

ـ يأتي في أول الكلمة، مثل قوله تعالى: (دابة) [6]فمقاطعها الأول من هذا النوع كالتالي: (داب– ب –ة)=(ص ح ح ص / ص ح /ص ح ص).

ـ يأتي في وسط الكلمة، مثل قوله تعالى: (الحاقة) [7]ومقاطعها كالتالي (ال– حاق –ق– ة)=(ص ح ص / ص ح ح ص /ص ح /ص ح).

ـ يأتي في آخر الكلمة في حالة الوقف، مثل قوله تعالى: (المستقيم)[8] كما انه قد يأتي حتى في الوصل، في بعض القراءات مثل قراءة نافع، في قوله تعالى: (محياي). ـ

---

[1]– سورة الإخلاص الآية (01).

[2]– سورة البقرة الآية (211).

[3]– سورة البقرة الآية (18).

[4]– سورة الأحقاف الآية (10).

[5]– سورة آل عمران الآية (103).

[6]– سورة النحل الآية (61).

[7]– سورة الحاقة الآية (01).

[8]– سورة الفاتحة الآية (06).

ويأتي مستقلا في حالة الوقف مثل (قال) في قوله تعالى: **(قال الله على ما نقول وكيل)**[1] وفي بعض الأسماء مثل (هود، ونوح، ولوط) فكل هذه الكلمات تتكون من مقطع واحد في هذه الحالة (ص ح ح ص).

ـ يأتي في الأول الكلمة و في آخرها في حالة التوقف، مثل قوله تعالى: (حاجوك)[2] ففي الوقت تنتهي بمقطعين طويلين من هذا النوع (حاج –جوك) =(ص ح ح ص / ص ح ح ص). أما في حالة الوصل فهي تتكون من ثلاث مقاطع لأن المقطع الطويل المغلق بصامت، والناشئ من الوقف يتغير إلى مقطعين من النوع الثاني، والأول فتصير (حاج /جو /ك) =(ص ح ح ص / ص ح ح /ص ح) أو قد يتحول في الوصل إلى مقطع متوسط ، مثل قوله تعالى : (فعال)[3] في الوصل مقاطعها ثلاثة (فع– عا– لن) =(ص ح ص / ص ح ح /ص ح ص). أما في حالة الوقف فتتكون من مقطعين فقط، الأخير (ص ح ح ص) وهذه الحالة خاصة عند الوقف.

المقطع الخامس: (ص ح ص ص)

ـ يأتي مستقلا في حالة الوقف مثل (خوف) (زيد))=(ص ح ص ص).

ـ يأتي في نهاية الكلمات في حالة الوقف –أيضا – مثل قوله تعالى :(الصبر)[4] فمقاطعها (اص– صبر)=(ص ح ص / ص ح ص ص).

ـ هذا المقطع الخاص بالوقف إلا ما ندر عند بعض القراء مثل قوله تعالى:(الشمس سراجا)[5]،

---

[1]– سورة يوسف الآية (66).

[2]– سورة الجاثية الآية (20).

[3]– سورة البروج الآية (16).

[4]– سورة العصر الآية (04).

[5]– سورة نوح الآية (16).

وقوله تعالى:(العفو وأمر)[1] وقوله تعالى: (من بعد ضعف)[2] فقد كان السويسي يقرأ بالإدغام.[3]

ـ لا يأتي متتابعا في كلمة واحدة في قوله تعالى: (الشمس سراجا).

المقطع السادس:

لم يرد هذا المقطع في القرآن الكريم إلا في كلمات نادرة في حالة الوقف مثل قوله تعالى:(جان)[4] ففي الوقف (جان ن) تتكون مقاطعها من هذا النوع (ص ح ح ص ص)

هذه هي أهم المقاطع اللغوية المشكلة للنظم الصوتي في الخطاب وتشكيلها وتوزيعها على أنماط معينة تضمن للنص انسجامه الإيقاعي مع البنية الدلالية في الخطاب، كما سنبين ذلك في النموذج الآتي:

5-2-البنية المقطعية والإيقاعية في الخطاب القرآني:

امتلك الخطاب القرآني سجلا إيقاعيا خاصا في نظمه، يتناغم فيه السياق الإيقاعي مع نحو السور وتنوع أغراضه في وحدة دلالية وإيقاعية و في انسجام ظاهر وللتدليل على ذلك نختار صورة من قصار السور نثبت ذلك إيقاعيا ومقطعيا، فالسورة قد قرنت بين مشهدين، مشهد صاخب معضد تثيره الخيل في عدوها الصاخبة الضابحة القادمة بحوافرها المغيرة فجأة مع الصباح، المثيرة النقع والغبار، والمقتحمة وسط جمع القوم على غير

---

[1]- سورة الأعراف الآية (199).

[2]- سورة الروم الآية (54).

[3]- أنظر :أثر القراءات في الأصوات والنحو العربي ، عبد الصبور شاهين ،مكتبة الخانجي الطبعة الأولى 1987م ص: 392-393، وأنظر التفسير الكبير ، فخر الدين الرازي ج 17،74 ،والكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، تأليف : أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي ،دار النشر :دار إحياء التراث العربي – بيروت ، تحقيق عبد الرزاق المهدي ج 2 ،426 ، تفسير القرآن ، تأليف أبو المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار السمعاني ، دار الوطن- الرياض – السعودية – 1418هـ -1997 م ، الطبعة الأولى ، تحقيق : ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، ج 1 ، ص: 264.

[4]- سورة النمل الآية (10).

انتظار، مع جو الجحود والكنود، والحرص والشح الشديد في خشونة ودمدمة وفرقعة، فضلا عن الجو الصاخب الذي تنشئه القبور المبعثرة والصدور المحصل ما فيها من شدة وقوة [1] وهو المشهد الثاني في السورة.

وتظهر في السورة واضحة قدرة الألفاظ المتناغمة صوتيا وإيقاعياعلى تصوير المعاني والأفكار تصويرا رائعا، تجسدها كأنها حياة متحركة تمر أمامنا، يتملاها حسنا وفكرنا وتصورنا، فضلا عن الألفاظ بجرسها وإيقاعها تساعد على رسم الصورة وإعطائها أبعادها، إذ إنها رسمت في مطلعها صورة الخيل المغيرة الماضية إلى الجهاد، فجاءت بتعبير مصور ومبرز لهذه الصورة بألفاظ عنيفة الجرس قوية الإيقاع نحو (ضبحا، قدحا، صبحا، نقعا، جمعا).

في حين أنها لجأت إلى تعبير أهدأ، وإيقاع أطول عندما انتقل السياق إلى وصف جحود الإنسان، وحبه الشديد للمال، ثم عاد الإيقاع سريعا متدافعا مرة أخرى ليناسب التعبير عن مشهد يوم القيامة والحساب، وذلك من خلال الأفعال (بعثر، حصل) ليعبر عن عنف يوم القيامة وشدته وقوة التحصيل ودقته[2] ثم ما يلبث الإيقاع المتناغم إلا أن يعود هادئا ليلائم دلالة الآية الخاتمة على مدى إحاطة علم الله عزل وجل بما تخفيه طوية الإنسان وما يستكن فيها.

[1]– صفوة التفاسير، محمد علي الصابوني، ص: 3،59.

[2]– ينظر: في ظلال القرآن، ص: 436.

البنية المقطعية والإيقاعية للسورة	المشاهد	الإيقاع	الآيات	التحليل المقطعي وتوزيعه
	المشهد الأول	إيقاع سريع قوي	والعاديات ضبحا فالموريات قدحا فالمغيرات صبحا	ولـــ / عـــا / د / يا / ت /ضب / حا ص.ح.ص /ص.ح.ح /ص.ح/ ص.ح.ح /ص.ح/ص.ح.ص /ص.ح.ح فلـــ / مـــو / ر / يا / ت /قـــد / حا ص.ح.ص /ص.ح.ح /ص.ح/ ص.ح.ح /ص.ح/ص.ح.ص /ص.ح.ح فلـــ / مـــو / غي / را / ت /صب / حا ص.ح.ص /ص.ح.ح /ص.ح/ ص.ح.ح /ص.ح/ص.ح.ص /ص.ح.ح
		إيقاع هادئ	فاثر نبه نقعا فوسطن به جمعا	فـ / أ / ثر / ن / ب / ـه / نقـ / عا ص.ح /ص.ح/ص.ح.ص/ ص.ح /ص.ح/ص.ح.ص/ص.ح.ح/ص.ح.ح فـ / و / سط / ن / ب / ـه / جمـ / عا ص.ح /ص.ح/ص.ح.ص/ ص.ح /ص.ح/ص.ح.ص/ص.ح.ح /ص.ح.ح
	المشهد الثاني	إيقاع متوسط	إن الإنسان لربه لكنود وإنه على ذلك لشهيد وإنه لحب الخير لشديد	إن / ن لـ / إن / سا / ن / ل / ربـ / ب / ـه / لكـ /نود ص.جح.ص/ص.ح.ص/ص.ح/ص.ح/ص.ح/ص.ح/ص.ح.ح/ص.ح.ح/ص.ح/ص.ح/ص.ح/ص.ح /ص.ج.ح.ص و / إن / ن / ـه / ع / لى / ذا / لـ / ك / ل /شـ / هيد ص.ح/ص.ح.ص/ص.ح/ص.ح/ص.ح/ص.ح.ح/ص.ح.ح/ص.ح/ص.ح/ص.ح/ص.ح/ص.ح / ص.ح/ص.ج.ح.ص و / إن / ن / ـه / لـ /حب / بلـ / خيـ / ر / ل /شـ / هيد ص.ج./ص.ح.ص/ص.ح./ص.ح/ص.ح/ص.ح.ح /ص.ح.ص/ص.ح.ح/ص.ح/ص.ح/ص.ح /ص.ج/ص.ح.ح.ص
	المشهد الثالث	إيقاع سريع وقوي	أفلا يعلم إذا بعثر ما في القبور وحصل ما في الصدور	أ / فـ / لا / يع / لـ / م / إ / ذا / بع /ثـ / ر / ما فلـ قـ /بور ص.ح/ص.ح/ص.ح.ح/ص.ح.ص/ص.ح/ص.ح/ص.ح/ص.ح/ص.ح/ص.ح.ص/ص.ح/ص.ح/ص.ح/ص.ح/ص.ج/ص.ح.ص. و / حصـ / صـ / ل / ما فصـ / ص / دور ص.ح/ص.ح.ص/ص.ح/ص.ح/ص.ح .ح/ص.ح/ص.ح/ص.ح.ح.ص
		إيقاع هادئ	إن ربهم بهم يومئذ لخبير	إن / ن / رب /اب / هم / ب / هم / يو /م /ئـ / ذن / لـ خـ /بير ص.ح.ص/ص.ح/ص.ح.ص/ص.ح/ ص.ح.ص/ص.ح/ص.ح.ص/ص.ح.ح/ص.ح/ص.ح/ص.ح/ص.ح/ص.ص/ص.ح /ص.ح.ح.ص

الخلاصة:

- تتكون سورة العاديات من ثلاثة مشاهد رئيسية، لكل مشهد فيها بنية مقطعية خاصة به، تحددت من خلالها دلالة كل آية داخل المشهد الواحد، وهذا التنوع في البنية المقطعية للسورة أعطى للموضوع الذي عالجته دفقا معنويا هدارا ووظائف تعبيرية عالية.
- يكون التطابق المقطعي الكامل بين آيات المشهد الواحد في السورة، مخصوصا بدلالة معينة تحدد معنى الآية، فضلا عن الاتساق التنغيمي للسورة ككل.
- تتشكل دلالات معينة مقصودة حينما يتوالى متتابعا مقطعان مفتوحان، أو مقطعان مغلقان، إذ تشير دلالة المقاطع المفتوحة إلى الانفتاح والاتساع، في حين توحي دلالة تتابع المقاطع المقفلة إلى الانغلاق والسكون والهدوء، في سياقات الحدث اللغوي.
- يشكل تتابع المقاطع القصيرة دلالة على السرعة والخفة في تتابع الأحداث، وإذا ما جاءت المقاطع القصيرة بين المقاطع الطويلة، فإنما تأتي للتخلص من توالي المقاطع الطويلة مفتوحة كانت أم مغلقة.
- تبين أن اختلاف البناء المقطعي بين النصوص يؤدي إلى اختلاف البناء الدلالي على وجه الخصوص.

الفصل الثالث

الانسجام التركيبي في النص القرآني

أولا–الإحالة

ثانيا–الحذف

ثالثا–التعريف (المحدد)

رابعا–الموصول

خامسا–التكرار

أولا–الإحالة:

مفهوم الإحالة:

لغة:

المُحَال من الكلام ما عدل به عن وجهه، وحوّله جعله محالا ، وأَحَال أتى بمُحَال : « جاء في لسان العرب ورجل مِحوَالٌ: كثير محال الكلام...ويقال أحلت الكلام أحيله إحالة إذا أفسدته . وروى ابن شميل عن الخليل بن أحمد أنّه قال : المحال الكلام لغير شيء...والحِوَالُ : كلّ شيء حال بين اثنين... حال الرّجل يحول تحوّل من موضع إلى موضع. [1]

اصطلاحا:

هي من أهم أدوات الاتساق النصي و يقصد بها " وجود عناصر لغوية لا تكتفي بذاتها من حيث التأويل و إنّما تحيل إلى عنصر آخر، لذا تسمّى عناصر محيلة مثل الضمائر و أسماء الإشارة و الأسماء الموصولة... إلخ [2] وهي كما يعرفها دي بوجراند: بأّنها " العلاقة بين العبارات من جهة وبين الأشياء والمواقف في العالم الخارجي الذي تشير إليه العبارات [3] وعرفها جون ليونز بأنها : العلاقة بين الأسماء و المسميات[4] ، وعرفها كلماير بأّنها " العلاقة القائمة بين عنصر لغوي يطلق عليه (عنصر علاقة) وضمائر يطلق عليها (صيغ الإحالة)[5]، ويقدم تنيير تصورًا خاصًا للإحالة، فالإحالة عنده " ربطٌ دلالي إضافي، لا يطابقه أي ربط تركيبي[6].

(1) لسان العرب ، ابن منظور ، تح عبد الله علي الكبير و آخرون ،دار المعارف القاهرة مصر ، ج 9 ، ص:1055 .

(2) ينظر : لسانيات النص ، محمد خطابي ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء المغرب2006 ، ط 2 ، ص:16 .

(3) روبرت دي بوجراند، النص والخطاب و الإجراء، ترجمة تمام حسا ن، عالم الكتب، القاهرة 1998 – ص:172

(4) ج .ب .براون / ج .بول، تحليل الخطاب، ترجمة محمد لطفي الزليطي ومنير التريكي، جامعة الملك فيصل.

(5) دراسات لغوية تطبيقية، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة،. 1999، ص:82 .

(6) نفسه : ص82 .

ويمكن القول إنّ الإحالة هي علاقة معنوية بين عنصر لغوي ألفاظ أو أسماء وآخر لغوي أو خارجي بحيث يتوقف تفسير الأول على الثاني بدلالة السياق أو المقام، عن طريق ألفاظ أو أدوات محددة كالضمير واسم الإشارة واسم الموصول، وتنقسم الإحالة إلى قسمين اثنين: إحالة خارجية وإحالة داخلية.

إحالة داخلية: وهي نصية تدل على الروابط بين الأنماط الموجودة في ذات النص، وهذا يبرز من خلال الوحدات والتراكيب الجملية في القرآن الكريم [1]، وتركز على العلاقات التي تتم بين أدوات الإحالة في بنية النص ويمكن أن تصنف صيغ الإحالة إلى مجموعتين، صيغ إحالة خلفية تحيل إلى عنصر تعلق في السابق، وعناصر أمامية تحيل إلى السياق اللاحق[2] بمعنى أن الإحالة الداخلية تتفرع إلى الفروع الآتية:

الإحالة السابقة تحيل إلى ما تقدم ذكره **الإحالة اللاحقة** وهي التي تحيل إلى ما يؤخر ذكره داخل النص وقد تسميان ب **الإحالة القبلية** و**الإحالة البعدية.**

أما **الإحالة الخارجية** فهي ذلك النوع الذي يوجّه المخاطب إلى شيء أو شخص في العالم الخارجي.حيث تُسهم في خلق النص باعتبارها تربط اللغة بسياق المقام) [3].

والإحالة النصية تركّز على العلاقات اللغوية في النص ذاته وقد تكون بين ضمير وكلمة أو بين كلمة وكلمة أو عبارة.

ولابد أن نشير إلى أن الإحالة مقصودة في دلالتها الواسعة، أي الإحالة بشقيها الخارجي والداخلي وتبعا لذلك فإن الضمير يقيم إما علاقة مقامية مع ما يحيل عليه إذا تعلق الأمر بما هو غير لغوي، وإما علاقة سياقية إذا تعلق الأمر بما هو لغوي.

(1) علم اللغة النصي، ص:80.

(2) أساسيات علم لغة النص: 253.

(3) نفسه: 253.

وهي تلك الألفاظ التي نعتمد عليها لتحديد المحال إليه داخل النص أو خارجه، وقد أطلق عليها هاليدي مصطلح أدوات وهي التي لا نعتمد في فهمنا لها على معناها الخاص، بل على إسنادها إلى شيء آخر [1]، وأطلق عليها روبرت د ي بو جراند الألفاظ الكنائية [2]، ووضع لها سمات، وأطلق **الأزهر الزناد** عليها العناصر مصطلح العناصر الإحالية في اللّغة وعدها من قبيل المعوضات، وأشار إلى أنّها تأتي تعويضًا عن وحدات معجمية يمكن أن نطلق عليها مصطلح العنصر الإشاري [3] ، وتشمل كل ما يشير إلى ذات أو موقع أو زمن، وتنقسم العناصر الإحالية عنده إلى:

1- الضمائر.

2- أسماء الإشارة.

وقد أشار محمد خطابي إلى أنّها عناصر تملك خاصية الإحالة، وتتوّفر كل لغة طبيعية على تلك العناصر الإحالية التي قسمها هاليدي ورقية حسن في كتابهما **الاّتساق في اللغة الإنجليزية** إلى:[4]

1- الضمائر.

2- أسماء الإشارة.

3- أدوات المقارنة.

وهي أدوات تمتلك خاصية الإحالة، وهي عناصر تحّفز المتلّقي على البحث في مكان آخر عن معناها، ومتى كان الشيء المحالُ إليه داخلَ النص؛ فإن تلك الأدوات تلعب دورًا أساسيًا في تحقيق التماسك النصي.

(1) أنظر: الإحالة في نحو النص، دراسة في الدلالة والوظيفة، أحمد عفيفي ، ص: 532 .

(2) النص والخطاب والإجراء، روبرت دي بوجراند، ص:320 .

(3) أنظر : نسيج النص، الأزهر الزناد، : ص115

(4) أنظر : لسانيات النص، ص: 18 .

1- الإحالة بالضمائر:

تعد الضمائر أكثر وسائل الربط الإحالي شيوعًا وتأثيرًا في ترابط النص القرآني، والضمير اسم جامد مبني، وبسبب بنائه لا يثّنى، ولا يجمع، فلا تلحقه علامة التثنية أو الجمع، وإّنما يدلّ بذاته وصيغته على المفرد أو المثّنى أو الجمع المذكر أو المؤّنث [1] وتقوم الضمائر في نظر علماء لسانيات النّص بدور فعال مع عناصر الإحالة الأخرى، في اتساق النّص لذا كانت لها أهمية بالغة في أبحاثهم.

وتنقسم الضمائر إلى وجودية مثل :أنا – أنت – نحن – هو – هم – هن ... إلخ وإلى ضمائر ملكية :كتابي – كتابك – كتابنا ... إلخ [2] واذا نظرنا إلى الضمائر من زاوية الاتساق، أمكن التمييز فيها بين أدوار الكلام التي تتدرج تحتها جميع الضمائر الدالة على المتكلم والمخاطب، وهي إحالة لخارج النّص بشكل نمطي، ولا تصبح إحالة داخل النّص أي اتساقية إلاّ في الكلام المستشهد به، ولا يخلو النّص من إحالة خارج النّص تستعمل فيها الضمائر المشيرة إلى الكاتب أنا، نحن أو إلى القارئ[3] بالضمائر أنت، أنتم [4] هذا بالنسبة لأدوار الكلام أما فيما يخص الضمائر التي لها دور هام في اتساق النّص، فهي التي يسميها "هاليداي " و " رقية حسن " " أدوار أخرى " وتتدرج ضمنها ضمائر الغيبة إفرادا وتثنية وجمعا (هو، هي، هم، هن، هم)، وهي تحيل قبليا بشكل نمطي إذ تقوم بربط أجزاء النّص ووصل أقسامه [5].

لذلك نعتبر أنّ إحالة ضمائر التخاطب إحالة مقامية (خارج النّص) ولا يمكن أن تكون مقالية (داخل النّص) لأنها لا تسهم في تحقيق تناسق النّص أي أنّها لا تربط لاحقا بسابق

(1) أنظر : النحو الوافي، عباس حسن ، دار المعارف،1991، ط1 ، ص:2018.

(2) لسانيات النّص، محمد خطابي، ، ص18 :

(3)الاتساق والانسجام في سورة الكهف، محمود بوستة ، ص:65 .

(4) محمد خطابي، المرجع السابق، ص1 :18 .

(5)محمود بوستة، المرجع السابق، ص : 66.

أو بعبارة أخرى لا يكون تفسيرها مقاليا، وأنّ إحالة ضمائر الغائب إحالة مقالية ولا يمكن أن تكون مقامية، وبالتالي فهي تسهم دوما في تحقيق تناسق النّص أو بعبارة أخرى يكون مفسرها مقاليا دائما، لأنّها تربط دائما لاحقا بسابق [1]، فالدور الهام في اتساق النّص بالنسبة للضمائر يكمن في ضمائر الغيبة

الآيات التي يعود فيها الضمير على المبتدأ مباشرة:

قال تعالى:﴿ **وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوۡلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ** ﴾[2]

يعود الضمير (هم) في كلمة الأولياء عائد على المبتدأ وهو (الَّذين) وقد فصل **أبو السعود** في هذه الآية فقال: "فالموصول مبتدأ، وأولياؤهم مبتدأ ثان والطاغوت خبره فالضمير (هم) قد عاد على المبتدأ (الَّذين) كي يرتبط به، ولكي يختصر الكلام فبدلاً من أن يقال: والذين كفروا أولياء الذين كفروا الطاغوت قيل: أولياؤهم. [3]

قال تعالى:﴿**وَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ غُرَفٗا تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ نِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ ٥٨** ﴾ [4]

فقد وقع الرابط في هذه الآية كما يرى الزمخشري من خلال الضمير في الفعل "لَنبوئَنّهم" إذ هو عائد على المبتدأ **الَّذي** والوجه في تعديته إلى ضمير المؤمنين وإلى الغرف إجراؤه مجرى "لننزلهم ونبوئهم... [5]

."فالزمخشري يربط الجملة الفعلية التي وقعت خبراً بالموصول الذي وقع مبتدأ، وذلك الربط عن طريق الضمير **هم** إنَّ الربط هنا قد وقع بالإحالة حيث عاد الضمير اللاحق على المبتدأ السابق عليه في الرتبة ليرتبط به ويختصر الكلام، كما أنَّ الربط بالضمير أزال اللبس

(1) أصول تحليل الخطاب، محمد الشاوش ، ج1 ، ص1 : 127.

(2) سورة البقرة الآية 257 .

(3) ينظر: إرشاد العقل السليم، أبو السعود، ج01 ، ص: 4190 .

(4) سورة العنكبوت الآية 58.

(5) ينظر: الكشاف، الزمخشري، ج03 ، ص:461 و 462 .

في المعنى قال تعالى: ﴿ **بَلَىٰۚ مَنۡ أَسۡلَمَ وَجۡهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحۡسِنٞ فَلَهُۥٓ أَجۡرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ١١٢** ﴾ [1] ففي هذه الآية أسلوب شرط حيث ترتبط جملة جوابه بجملة شرطه بالضمير في **فله** والذي يعود على الموصول المبتدأ "**من**"، فإن قلت من أسلم وجهه" كيف موقعه؟ قلت: يجوز أن يكون: بلى رداً لقولهم، ثم يقع "من أسلم" كلاماً مبتدأ، ويكون «من" متضمناً لمعنى الشرط، وجوابه فله أجره [2]".

و فائدة الربط بالضمير يقال في هذه الآية أيضاً:﴿**مَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَنُحۡيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةٗ طَيِّبَةٗۖ وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٩٧** ﴾[3] فالضمير هنا عاد في "فَلَنحيِينه " على لفظ "من" و في "ولَنجزِينهم" على معناه من الجمع([4])، إذًا الجمع في الضمائر العائدة إلى الموصول لمراعاة جانب المعنى، كما أنَّ الإفراد فيما سلف لرعاية جانب اللفظ.

قال تعالى : ﴿**مَّن يُصۡرَفۡ عَنۡهُ يَوۡمَئِذٖ فَقَدۡ رَحِمَهُۥۚ وَذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡمُبِينُ ١٦** ﴾ [5]، يجوز أن يعرب" من "مبتدأ والضمير في" عنه "عائد عليه – يقصد على" من[6]" و هذا الكلام يصلح في كلتا الحالتين سواء أعربت **من** شرطية أو أعربت موصولة، و كذا الضمير" الهاء" في **رحمه** يعود أيضاً على" من".

–قال تعالى :﴿سُورَةٌ أَنزَلۡنَٰهَا ﴾ [7] **وهي من الآيات التي وقع فيها الربط بالضمير العائد على الخبر**

---

(1) سورة البقرة الآية 112.

(2) الكشاف، الزمخشري، ج01 ، ص: 178– 4 .

(3) سورة النحل الآية 97– 2 .

(4) البحر المحيط ، أبو حيان الأندلسي ، ج05 ، ص: 34– 3 .

(5) سورة الأنعام الآية16 .

(6) تفسير أبي السعود، ج 02 ، ص181.

(7) سورة النور الآية1 .

فسورٌة :خبر مبتدأ محذوف، أي :هذه سورة، وحذف المبتدأ لأنها باعتبار كونها في شرف الذكر في حكم الحاضر المشاهد، وقوله تعالى" :أَنزلْناها "مع ما عطف عليه، لها مؤكدة لما إفادة التنكير من الفخامة من حيث الذات وبالفخامة من حيث الصفات [1] والرابط هنا بين النعت ومنعوته الضمير"

الهاء" في الفعل" أَنزلْناها "أي :إنَّ الضمير هنا عاد على الخبر الذي وقع منعوتا، وهناك إعرابات أخرى وردت في التفسير السابقِ يطول شرحها.

وكذلك من الآيات التى وقع فيها الربط بالضمير العائد على الخبر قوله تعالى :﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ ﴾[2] ،حيث إنَّ" كتاب "يعر ب خبر مبتدأ محذوف تقديره" القرآن أو السورة ...الخ "و قوله تعالى" :أَنزلْناه إلَيك "صفته [3] و هذه الصفة جاءت في شكل جملة، و لَابد أنْ يكونَ هناك رابط بين هذه النعت الجملة و منعوته النكرة، و كان هذا الرابط هو الضمير، و الذي عاد على الكتاب الذي يشغل موقع الخبر من الإعراب.

أما الآيات التي يعود فيها الربط بالضمير على ما يتصل بالمبتدأ فمنها قوله تعالى:﴿ **ٱلَّذِينَ يَسۡتَمِعُونَ ٱلۡقَوۡلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحۡسَنَهُۥٓ** ﴾ [4] ، فقد وقع الربط هنا بالضمير في" أَحسنه "و هو عائد على القَول، و كما نرى أنَّ" القَولَ "مفعول به للجمل التي تقع صلة للموصول الذي وقع مبتدأ، إذًا الربط بالضمير هنا قد عاد بالفعل على ما يتصل بالمبتدأ، و ليس المبتدأ مباشرة، و مما هو جديد بالذكر أنَّ لفظ" القَول "عام في جميع الأقوال، فعندما يقال" فَيتّبِعونَ أَحسنه "فهذا يعد تخصيصاً لعام هذا القول، كما أنه يعد ثناءً عليهم بنفوذ بصائرهم،و تمييزهم

(1) الكشاف :الزمخشري، ج 3 ، ص: 208 .

(2) سورة ص الآية29 .

(3) ينظر : تفسير أبي السعود :السابق، ج 04 ، ص:574 .

(4) سورة الزمر الآية18 .

الأحسن، فإذا سمعوا قولا يتبصروه، و قيل) و أحسن القول (القرآن و ما يرجع إليه، و قيل القول القرآن، وأحسنه ما فيه من صفح و عفو و احتمال و نحو ذلك ..[1]".

أما الآيات التى يعود فيها ضمير الربط على اسم) إن(فمثاله ا قوله تعالى: قال تعالى : ﴿**إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهۡدِيهِمۡ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمۡۖ**﴾[2]، فالموصول هنا

وقع اسما لإنّ، وجملة **آمنوا** صلته، وما بعدها معطوف على الصفة والخبر جملة يهديهم (التي تحتوي على الضمير) هم (الذي يعود على اسم) إن ...." (وأما أنَّ إضافته إلى ضمير الصالحين يقتضي أخذ الصلاح قيداً في التسبب فممنوع، لأن الضمير يعود على الذوات بقطع النظر عن الصفات "... [3]

والأمثلة كثيرة في هذا الباب نذكر منها قوله تعالى :﴿ **إِنَّ رَبَّكَ هوَ أ لَعمُ مَن يَضِلُّ عَن سَبيله** ﴾[4]

و قوله :﴿ **وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوۡلِيَآئِهِمۡ لِيُجَٰدِلُوكُمۡۖ** ﴾ [5]

و قوله :﴿**إ نِّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا دِين هُمۡ وَكَانُوا شِيَعا**﴾[6]

الآيات التى يعود فيها ضمير الربط على اسم كان

قال تعالى :﴿ مَا **كَانَ لنبِيٍّ أنَ يكونَ له أَسرَىٰ** ﴾، إذ إن الضمير" الهاء "في" لَه "يعود على اسم كان" لنبِي" ، و لو لم يعبر بالمضمر لوقع اللبس إذ أنَّ التعبير سيكون : ما كان لنبي أن يكون لنبي أسرى، و لتوهم المتلقي أنَّ النبِي الأول غير الثاني فالربط بالمضمر بدلاً من المظهر رفع هذا اللبس.

---

(1) ينظر : البحر المحيط :أبو حيان الأندلسي، ج 07 ، ص: 404 .

(2) سورة يونس الآية09 .

(3) ينظر : روح المعاني :الألوسي، ج 11 ، ص:74 .

(4) سورة الأنعام الآية121 .

(5) سورة الأنعام الآية 121.

6) سورة الأعراف الآية142 .

و كذلك في قوله تعالى: ﴿**وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ** ﴾[1] . حيث وقع الربط هنا أيضاً بالضمير الهاء "في" يكَلِّمه"، والهاء هنا أيضاً تعود على اسم كان " لبشرٍ"، وهو مجرور لفظاً مرفوع محلاً، وهذه الآية بيان لصورة تكليم الله عباده، أي ما ينبغي ولا يمكن لبشر أن يوحى إليه أحد وجوه الوحي من الإلهام أو القذف في القلب أو المنام [2] .

الآيات التي وقع فيها الربط بضمير الشأن في الجملة الاسمية

قال تعالى :﴿**إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا وَمَآ أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ ٱلسِّحْرِ ۗ وَٱللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ٧٣ إِنَّهُۥ مَن يَأْتِ رَبَّهُۥ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ٧٤** ﴾ [3]، الضمير هنا للشأن و هو اسم"إنَّ "و هذا التعديل من جهتهم و لكونه تعالى **شأنه خير و أبقى** و تحقيق له و إبطال لما ادعاه اللعين، و تصديرهما بضمير الشأن للتنبيه على فخامة مضموما، و زيادة تقرير له، أي إنَّ الشأن الخطير هذا، أي قوله تعالى **:مَن يأت رَبَّه مُجرِما** بأن مات على الكفر و المعاصي فإن له جهنم لا يموت فيها و لا يحيى. [4]

وترجع أهمية ضمير الشأن إلى: شيئين اثنين أولهما التنبيه على أهمية المعنى " المضمون "أما الثاني فهو التأكيد عليه مما يستدعي لفت الانتباه.

(1) سورة الشورى الآية51 .

(2)البحر المحيط في التفسير، أبو حيان الأندلسي، ج 07 ، ص: 50 .

(3) سورة طه، الآيتان 73 و74 .

(4) ينظر: إرشاد العقل السليم تفسير، أبي السعود، ج 03 ، ص: 605 .

ثانيا–الحذف:

مفهوم الحذف:

يقول ابن الاثير انه نوع من التأليف شريف لا يكاد يلجهُ إلا فرسان البلاغة، وذلك لعلو منزلتهِ [1] .

وعدّهُ ابن جني باباً قيماً من أبواب الشجاعة العربية [2]. وقد أشار إليه سيبويه في أكثر من موضع من (الكتاب) مبيناً أنواعه وكاشفاً عن أسبابه مؤكداً أن ذلك من سمة العرب الفصحاء في أساليبهم [3].

والحذف ملحظ نحوي دقيق المسلك لهُ سماته المتفردة التي تجعله شبيهاً بالسحر [4]. وهو اسقاط كلمة بخلف منها يقوم مقامها. والحذف عنصر هام من عناصر اتساق النص القرآني شأنه شأن العناصر الأخرى.

تطبيقات من القرآن الكريم:

ورد الحذف في قوله تعالى: **﴿ وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا لَّا تَجۡزِي نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٖ شَيۡـٔٗا وَلَا يُقۡبَلُ مِنۡهَا شَفَٰعَةٞ وَلَا يُؤۡخَذُ مِنۡهَا عَدۡلٞ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ ٤٨﴾** [5]

في هذه الآية الكريمة **حذف الصفة** فحذف عائد الصفة وهو أقل وروداً، أي لا تجزي فيه، حذف في سياق التحذير الموجه لليهود من تجاهل يوم القيامة لهذا جاءت مقيدة بشروط بأسلوب النهي، وسياق النهي والتقييد أنسب للحذف، قال الرازي: " فان قيل فأين العائد منها الى الموصوف؟ قلنا هو محذوف تقديره لا تجزي فيه ومعنى التنكير ان نفساً من الأنفس لا تجزي عن نفس غيرها من الاشياء ..." [6]

---

[1] الجامع الكبير، ص: 122 .

[2] ينظر: الخصائص: 360/2 وما بعدها .

[3] ينظر: الكتاب: 8/1 ، 111 ، و 279 ، و 144/2 .

[4] ينظر : دلائل الإعجاز، ص: 146 .

[5] سورة البقرة: الآية48.

[6] التفسير الكبير: 54/3 . وينظر: غريب القرآن: 48 .

وفي قوله تعالى: ﴿**وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ ١٣ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ ١٤ وَلَقَد تَّرَكْنَٰهَآ ءَايَةً فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ١٥**﴾ [1]

حذف الموصوف واكتفى بذكر صفاته أسلوب مناسب في سياق النص الذي يقصد الإشارة إلى مكونات الموصوف، قال الزجاج يعني المسامير التي تشد بها الألواح واحدها دسار وكل شيء أدخل في شيء بشدة فهو الدسر [2]. وذهب الزمخشري في تفسيره للآية: " أنها من الصفات التي تقوم مقام الموصوفات فتنوب منابها وتؤدي مؤداها بحيث لا يفصل بينها وبينها"[3]. إذ ذكر صفات الموصوف بأنها ذات ألواح ودسر للتنبيه على قدرة الله في تأييده لسيدنا نوح عليه السلام ونجاته وقومه من الغرق يؤيده قوله تعالى: ﴿**تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا**﴾ تنبيهاً على عناية الله به.

وورد الحذف في قوله تعالى: ﴿ **وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ١٣٢**﴾ [4]

في هذه الآية الكريمة **حذف المفعول**، قال الزجاج: وَ(وَصَّى): أبلغ من أوصى، لأن أوصى:جائز أن يكون قال لهم مرة واحدة ، ﴿ وَوَصَّى ﴾ : لا يكون إلا لمرات كثيرة[5]، وقال البقاعي: " أي لإحسان ربك إليك، وحذف المفعول ليتناول كل ما يصح إسلامه الى المسلم إليه وقصره عليه ... قالت: ﴿ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِين ﴾ ... ولعله لم يذكر الضمير لئلا يوهم الرجوع الى ربهِ ؛ وقرئ ﴿ وَوَصَّى ﴾ فهو من إيصاء الوصية وقراءة التشديد ابلغ "[6]. كما قال الزجاج.

---

[1] سورة القمر الآيات 13-14-15.

[2] ينظر معاني القرآن، الفراء، 3/106-107 .

[3] الكشاف: 4/38 .

[4] سورة البقرة الآية 132

[5] معاني القرآن: 1/192 .

[6] نظم الدرر: 2/165-166

وفي قوله تعالى: ﴿**وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرۖ كُلّٞ فِي فَلَكٖ يَسۡبَحُونَ ٣٣**﴾ **حذف المضاف إليه** بتقدير كل واحد منهم فقد علم من لفظة (**كُلٌّ**) وظرفيه (**فِي**) أن لفظ فلك عام، أي لكل منها فلكه وزيادة في تعظيم ملك الله [1] لذلك اضفى حذف المضاف إليه صفة التفخيم على تلك الأفلاك تعظيماً لملك الله.

قوله تعالى:﴿ **رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا وَرَبُّ ٱلۡمَشَٰرِقِ ٥**﴾ في هذه الآلة الكريمة **حذف المعطوف** ورد في نظم الدرر: "ولما كان السياق للإفاضة بالتلاوة وغيرهما قال رب المشارق التي تجلى كل يوم وذكرها يدل قطعاً على المغارب لأنها تختلف بها وأعاد الصفة معها تنبيهاً على وضوح دلالتها بما فيها من السياق له من الاصطفاف الدال على حسن الائتلاف"[2].

وفي قوله تعالى:﴿ **أَيَّامٗا مَّعۡدُودَٰتٖۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٖ فَعِدَّةٞ مِّنۡ أَيَّامٍ أُخَرَۚ** ﴾ **حذف المعطوف عليه** فمعنى الآية أي فافطر فعدة لأن السياق يقصد بيان التشريع في عدة الصيام وليس الإفطار ، لهذا حذف ذكر المعطوف لأنه المقصود قال البقاعي: "ففي إفهامه أنَّ مكتوب المريض والمسافر غير مكتوب الصحيح والمقيم ، فبذلك لا يحتاج الى تقدير: فافطر ؛ لأنّ المقصد معنى الكتب ويبقى ما دون الكتب على حكم تحمله ولهذا حذف المعطوف عليه لدلالة وضوحه"[3].

وفي قوله تعالى: ﴿ **أَلَّا يَسۡجُدُواْ لِلَّهِ ٱلَّذِي يُخۡرِجُ ٱلۡخَبۡءَ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَيَعۡلَمُ مَا تُخۡفُونَ وَمَا تُعۡلِنُونَ ٢٥**﴾ [4] بتقدير ألا يا هؤلاء اسجدوا . **حذف المنادى** قال الفراء: "زين "زين لهم الشيطان اعمالهم لئلا يسجدوا ثم حذفت اللام ومن قرأ بالتخفيف كان المعنى: الا يا

---

[1] ينظر : التحرير والتنوير، 60/17.

[2] نظم الدرر: 193/16.

[3] المصدر نفسه: 48/3 وينظر البحر المحيط: 25/2-26.

[4] سورة النمل الآية 24-25 .

قوم ويا مسلمون اسجدوا لله الذي خلق السموات والأرض خلافاً عليهم وحمداً لله لمكان ما هداكم لتوحيده[1].

ويرى الزمخشري أنَّ: "من قرأ بالتشديد أراد: فصدهم عن السبيل لئلا يسجدوا فحذف الجار (من ان) ويجوز ان تكون (لا) مزيدة ويكون المعنى: فهم لا يهتدون الى ان يسجدوا ومن قرأ بالتخفيف فهو ألاّ يسجدوا..."[2].

يحذف المصدر في قوله تعالى:﴿ **وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ فِي ٱلْقُرْءَانِۚ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَٰنًا كَبِيرًا ٦٠**﴾ [3] بتقدير وما ﴿ **يَزِيدُهُمْ** ﴾التخويف ﴿**الا طُغْيَانا**﴾ً للاشارة الى تعنتهم، واصرارهم على الطغيان **فالمصدر** المحذوف هو التخويف وقد حذف للتأكيد على ذلك الموقف قال البقاعي: "ونخوفهم ... أي الكافرين منهم التخويف حال التخويف ، فما بعده من ازمنة الاستقبال أجدر بالزيادة وحُذِفَ لسياق الحال"[4]. وامثلته كثيرة.

أما فيما يخص حذف الحروف **فمنها:**

حذف الهمزة: وتحذف إذا أمكن تعويضها نطقاً استدلالا بالسياق وإذا دلت عليها القرائن اللفظية أو المعنوية ومنه قوله تعالى: ﴿**قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيداً وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ**﴾ [5]

ومنه قوله تعالى: ﴿**إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ٦**﴾ [6]

حذف حرف الجر في غير موضع من تفسيره ومنه قوله تعالى: ﴿**وَلا تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَه**﴾ [7] إذ جاء النفي ليؤكد امتناع حصول العزم والنية السابقة

---

[1] ينظر: معاني القرآن،290/2.

[2] الكشاف: 361/3.

[3] سورة الاسراء الآية 60.

[4] نظم الدرر،459/11 .

[5] سورة الشعراء الآية 18 –19.

[6] سورة البقرة الآية6 .

[7] سورة البقرة الآية235.

لعقد النكاح للتنبيه على امتناعه أصلا ، فحذف حرف الجر ليقتصر النهي على الاسم بعده من أجل تأكيده.

ومنه قوله تعالى: **﴿او جَاءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَنْ يُقَاتِلُوكُمْ ﴾(1)** بتقدير عن أن يقاتلونكم لأجل دينهم[2]. ومعنى **﴿حَصِرَتْ﴾** ضاقت وكل من ضاق صدره بأمر فقد حصر.

حذف الواو: ويحذف بحسب السياق وفي قوله تعالى:**﴿ وَيَمْحُ ٱللَّهُ ٱلْبَٰطِلَ وَيُحِقُّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦٓ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ٢٤﴾**[3] اذ حذفت الواو منه وهي لام الفعل علامة على سرعة الحق وتأكيداً وبشارة لمحو الباطل وإحقاق الحق.

ومن حذف الواو أيضاً قوله تعالى:**﴿ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ﴾** [4]

حذف الياء في قوله تعالى: **﴿يَوْمَ يَأْتِ لا تَكَلَّمُ نَفْسٌ الا بِإِذْنِهِ (5)** ومنه قوله تعالى: **﴿لِيُنْذِرَ يَوْمَ التَّلاقِ﴾** [6] ، والآيات كثيرة يطول شرحها.

---

(1) سورة النساء الآية90.

(2) سورة القمر الآية 6.

(3) سورة الشورى الآية 24.

(4) سورة هود الآية 105.

(5) سورة غافر الآية 15 .

(6) سورة الشورى الآية 24.

ثالثا-المحدد (التعريف):

مفهوم المحدد (التعريف)

أل المعرفة وأنواعها:

تعد "**أل** "المعرفة رابطا من روابط الجملة العربية، وأداة هامة من أدوات اتساق النصوص، وهي في بنيتها تلحق بالاسم فتكسبه تعريفا يحمل تحديدا للاسم المعرف بعد أن كان نكرة شائعة، فهي أداة تحول الاسم من الشيوع والنكرة إلى التحديد والتعريف والتعيين وقد اختلف النحويون في حرف التعريف يقول ابن عقيل في شرحه" الرجل "ونحوه، فقال الخليل : المعرف هو"أل"، وقال سيبويه :هو"اللام" وحدها، فالهمزة عند الخليل همزة قطع، وعند سيبويه همزة وصل اجتلبت للنطق بالساكن[1]

و**تنقسم هذه الأداة** إلى قسمين رئيسين، كل قسم يندرج تحته ثلاثة أنواع، **عهدية** وتضم العهد الذهني، العهد الحضوري، العهد الذّكْري ، ومثال ذلك قوله تعالى: قوله تعالى :**(ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشۡكَوٰةٖ فِيهَا مِصۡبَاحٌۖ ٱلۡمِصۡبَاحُ فِي زُجَاجَةٍۖ)**[2]

و**جنسية** وهي تضم: جنس مطلق، جنس مقيد، جنس استغراقي.

ومثال **ذلك** قوله تعالى :ونهى ٱلنفس عنِ ٱلهَوىٰ وقوله تعالى: وخلق الإنسان ضعيفًا.

وهناك أقسام أخرى لهذه الأداة رأيت أن أتجاوز ذكرها لأنها لا تملك خاصية الربط الهامة التي يملكها هذان القسمان، يقول تمام حسان:" إن أل تربط إذا كانت للجنس النسبي أو للعهد الذكْري، ولكنها لا تربط إذا كانت للجنس المطلق أو للعهد الحضوري أو الذهني، لإشارتها في هذه الأنواع الثلاثة الأخيرة إلى حقيقة لا تشير إلى كيان آخر، ولا إلى ما سبق

1 – شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك : ابن عقيل ، ص: 56.

2 – سورة النور الآية35 .

ذكره، أما النوعان اللذان يربطان ما في السياق فهما في قوة الضمير الغائب كما اتضح من الأمثلة السابقة. [1]

الفرق بين" أل "المعرفة و"أل "الموصولة:

أل الموصولة :هي اسم موصول تختص بالدخول على اسم الفاعل واسم المفعول[2]، **تحتاج** إلى صلة وهي نوع واحد دال على الموصولية [3] وهي الصفة الصريحة، وهي على كل حال تدخل ضمن أسماء الموصول، أو الأسماء عامة أما **أل المعرفة** فهي أداة لتعريف تدخل على أي اسم نكرة لتكسبه التعريف لا تختص بنوع معين من الكلمات مثل الموصولة، لا تحتاج إلى صلة، بل تحتاج إلى نكرة تعرفها، وهي على كل حال تدخل ضمن الحروف.

بعض تطبيقات الأداة من القرآن الكريم:

قال تعالى:﴿**كَمَا أَرۡسَلۡنَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ رَسُولٗا ١٥ فَعَصَىٰ فِرۡعَوۡنُ ٱلرَّسُولَ** ﴾ [4]

جاءت" أل "المعرفة رابطة وهي تدل على العهد الذكرى الذي عاد على مذكور سابق وهو"رسولا "والذي جاء نكرة، ثم جاء" الرسول "معرفة لهذه النكرة رابطا لها وهذه" أل" نائبة عن الضمير إذ المعنى :إنا أرسلنا إلى فرعون رسولا فعصاه فرعون

.لكن النظم الكريم قد آثر التعبير بأل المعرفة بدلا من الضمير لتعظيم شأن هذا الرسول المرسل وتحقير أمر عصيانه و التجرؤ عليه، وفي هذا يقول الزمخشري" :فإن قلت لمَ نكّر الرسول "ثم عرف قلت :لأنه أراد: أرسلنا إلى فرعون بعض الرسل فلما أعاده و هو معهود الذكر أدخل لام التعريف إشارة إلى مذكور بعينه "[5].

1 – البيان في روائع القرآن، تمام حسان ، ص:130 .

2 – مغني اللبيب، ابن هشام الأنصاري ، ص:60 .

3 – النحو المصفّى، محمد عيد، مكتبة الشباب، القاهرة، ط1، 1975 م، ص: 178 .

4 – الزمخشري :الكشاف، ج4 ، ص:641 .

5 – ينظر :إرشاد العقل السليم، أبو السعود، ج5 ، ص:414 .

ويقول أبو السعود" الرسول "المذكور الذي أرسلناه إليه، فالتعريف للعهد الذكرى، ومحل الكاف النصب على أنها صفة لمصدر محذوف أي إنا أرسلنا إليكم رسولا فعصيتموه كما يعرب عنه قوله تعالى" :شاهد عليكم "إرسالا كائنا كما أرسلنا إلى فرعون رسولا فعصاه "1 .

قال تعالى :﴿**ٱلۡحَجُّ أَشۡهُرٞ مَّعۡلُومَٰتٞۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلۡحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي ٱلۡحَجِّۗ وَمَا تَفۡعَلُواْ مِنۡ خَيۡرٖ يَعۡلَمۡهُ ٱللَّهُۗ وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيۡرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقۡوَىٰۖ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ١٩٧**) 2.

ربطت" أل "المعرفة التي في" الحج "الثالث بين" من "الموصولة وبين نكرا" حج"، وكما قلت إنّ" أل "معاقبة بالضمير والمعنى ... :فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج يقول أبو السعود" :في الحج "أي في أيامه والإظهار في مقام الإضمار لإظهار كمال الاعتناء بشأنه، والإشعار بعلة الحكم، فإن زيارة البيت المعظم والتقرب بها إلى الله عز وجل من موجبات ترك الأمور المذكورة، وإيثار النفي للمبالغة في النهي والدلالة على ذلك حقيق بأن لا يكون، فإن كان منكرا مستقبحا في نفسه ففي تضاعيف الحج أقبح. [3]

ويقول تعالى في موضع آخر:

(شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٖ مِّنَ ٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡفُرۡقَانِۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهۡرَ فَلۡيَصُمۡهُۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٖ فَعِدَّةٞ مِّنۡ أَيَّامٍ أُخَرَۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلۡيُسۡرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلۡعُسۡرَ وَلِتُكۡمِلُواْ ٱلۡعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمۡ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ١٨٥)[4]

وقع الربط هنا بأل المعرفة على العهد الذكْري، وذلك لأن مصحوبا قد ذكر في بداية الكلام ولقد عادت" أل "على شهر رمضان، والمعنى شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن فمن شهده فليصمه، فالنظم الكريم فضل التعبير **بأل** المعرفة لأجل التعظيم والتفخيم لهذا الشهر الكريم، ويقول أبو حيان ما يؤيد ذلك" :الألف واللام في الشهر للعهد، يعني به شهر رمضان

1 – روح المعاني، الألوسي، ج 29 ، ص:135 .

2 – سورة البقرة الآية197 .

3 – ينظر : إرشاد العقل السليم :أبو السعود، ج1 ، ص: 159 .

4 – سورة البقرة الآية 185.

ولذلك ينوب عنه الضمير، ولوجاء :فمن شهده منكم فليصمه لكان صحيحا، وإنما أبرزه للتنويه به والتعظيم له" [1]

قال تعالى :﴿ **إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنَادَوۡنَ لَمَقۡتُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُ مِن مَّقۡتِكُمۡ أَنفُسَكُمۡ إِذۡ تُدۡعَوۡنَ إِلَى ٱلۡإِيمَٰنِ فَتَكۡفُرُونَ ١٠ قَالُواْ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثۡنَتَيۡنِ وَأَحۡيَيۡتَنَا ٱثۡنَتَيۡنِ فَٱعۡتَرَفۡنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلۡ إِلَىٰ خُرُوجٖ مِّن سَبِيلٖ ١١ ذَٰلِكُم بِأَنَّهُۥٓ إِذَا دُعِيَ ٱللَّهُ وَحۡدَهُۥ كَفَرۡتُمۡ وَإِن يُشۡرَكۡ بِهِۦ تُؤۡمِنُواْۚ فَٱلۡحُكۡمُ لِلَّهِ ٱلۡعَلِيِّ ٱلۡكَبِيرِ ١٢ هُوَ ٱلَّذِي يُرِيكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ رِزۡقٗاۚ وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ ١٣ فَٱدۡعُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡكَٰفِرُونَ ١٤ رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلۡعَرۡشِ يُلۡقِي ٱلرُّوحَ مِنۡ أَمۡرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ لِيُنذِرَ يَوۡمَ ٱلتَّلَاقِ ١٥ يَوۡمَ هُم بَٰرِزُونَۖ لَا يَخۡفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنۡهُمۡ شَيۡءٞۚ لِّمَنِ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَۖ لِلَّهِ ٱلۡوَٰحِدِ ٱلۡقَهَّارِ ١٦ ٱلۡيَوۡمَ تُجۡزَىٰ كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا كَسَبَتۡۚ لَا ظُلۡمَ ٱلۡيَوۡمَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ١٧ وَأَنذِرۡهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡأٓزِفَةِ إِذِ ٱلۡقُلُوبُ لَدَى ٱلۡحَنَاجِرِ كَٰظِمِينَۚ مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ حَمِيمٖ وَلَا شَفِيعٖ يُطَاعُ ١٨** ﴾ [2]

أل المعرفة "هنا جنسية تفيد الجنس المقيد ووقع الربط في" القلوب – الحناجر "والتي عادت على مرجعها" الذين كفروا".

يقول الطاهر بن عاشور: أل "في القلوب والحناجر عوض عن المضاف إليه وأصله :إذ قلوبهم لدى حناجرهم وبواسطة أل عوض تعريف الإضافة بتعريف العهد وهو رأي نحاة الكوفة، والبصريون يقدرون إذ القلوب منهم والحناجر منهم، والمعنى :إذ قلوب المشركين لدى حناجرهم... ومثله قوله تعالى :وإذا زاغَت الأبصار وبلَغت القُلوب الحَناجِر. [3]

ويقول الله تعالى في موضع آخر :﴿**سَأُلۡقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعۡبَ فَٱضۡرِبُواْ فَوۡقَ ٱلۡأَعۡنَاقِ وَٱضۡرِبُواْ مِنۡهُمۡ كُلَّ بَنَانٖ ١٢** ﴾[4]

---

1 – ينظر : إرشاد العقل السليم، أبو السعود، ج1 ، ص:159 .

1– سورة غافر، الآيات من 10–18.

3 – ينظر :التحرير والتنوير :الطاهر بن عاشور، ج11 ، ص: 114 .

4 – سورة الأنفال الآية12 .

هنا أل المعرفة عادت على مرجعها" الذين كفروا فعبرت عن الجنس المقيد وهو هنا ليس للإطلاق بل هو مقيد بأعناق الكافرين فقط، ولقد عبر القرآن بأل المعرفة وذلك لترهيب الكافرين وإثارة الرعب والخوف في قلوبهم.

وفيي هذا يقول الطاهر بن عاشور" :الأعناق :أعناق المشركين وهو بين من السياق ... والمراد: بعض الجنس بالقرينة للجنس أو عوض عن المضاف إليه بقرينة قوله بعد" اضربوا منهم كل بنان" والبنان هو الإصبع أو طرفه وإضافة" كل" إليه لاستغراق أصحابها، وإنما خصت الأعناق والبنان لأن ضرب الأعناق إتلاف لأجساد المشركين، وضرب البنان يبطل صلاحية المضروب للقتل، لأن تناول السلاح إنما يكون بالأصابع، ومن ثم كُثر في كلامهم الاستغناء بذكر ما تتناوله اليد وما تتناوله الأصابع عن ذكر السيف.[1]

ويقول تعالى في موضع آخر:

(مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ رِجَالٞ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيۡهِۖ فَمِنۡهُم مَّن قَضَىٰ نَحۡبَهُۥ وَمِنۡهُم مَّن يَنتَظِرُۖ وَمَا بَدَّلُواْ تَبۡدِيلٗا ٢٣) [2]

جاءت" أل "المعرفة هنا رابطة لكلمة" الساعة "الأولى وهي دالة على العهد الذكْرى لأن ذكر" الساعة "قد أعيد وكان في أول الكلام إذ المعنى :يسألك الناس عن الساعة ... وما يدريك لعلها تكون قريبا، ولا يتأثر المعنى، يقول الألوسي " :والإظهار في موطن الإضمار للتهويل وزيادة التقرير وتأكيد استقلال الجملة". [3]

وهناك نماذج عديدة يطول شرحها فقد وردت الأداة في الجمل الفعلية في قوله تعالى :

(وَأَمَّا مَنۡ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفۡسَ عَنِ ٱلۡهَوَىٰ ٤٠)[4]

---

1 – التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ج3 ، ص:283 .

2 – سورة الأحزاب الآية 23.

3 – ينظر :أبو السعود :ج4 ، ص:434.

4 – سورة النازعات الآية 40 .

وفي قوله تعالى :(**كَمَآ أَرۡسَلۡنَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ رَسُولٗا ١٥ فَعَصَىٰ فِرۡعَوۡنُ ٱلرَّسُولَ فَأَخَذۡنَٰهُ أَخۡذٗا وَبِيلٗا ١٦**) [1] وفي قوله تعالى :(**فَٱضۡرِبُواْ فَوۡقَ ٱلۡأَعۡنَاقِ وَ ٱضۡرِبُواْ مِنۡهُمۡ كُلَّ بَنَانٍ**)[2]

وفي قوله تعالى :﴿**وَإِذِ زَاغَتِ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلۡقُلُوبُ ٱلۡحَنَاجِرَ**)[3]

أما ورودها في الجملة الاسمية فكان على النحو التالي:

قال تعالى: (**ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشۡكَوٰةٖ فِيهَا مِصۡبَاحٌۖ ٱلۡمِصۡبَاحُ فِي زُجَاجَةٍۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوۡكَبٞ دُرِّيّٞ**)[4] وفي قوله: (**فَإِنَّ ٱلۡجَحِيمَ هِيَ ٱلۡمَأۡوَىٰ ٣٩**) [5]

وفي قوله: (**فَإِنَّ ٱلۡجَنَّةَ هِيَ ٱلۡمَأۡوَىٰ ٤١**) [6]

---

1 – سورة المزمل الآية15 .

2 – سورة الأنفال الآية12 .

3 – سورة المزمل الآية15 .

4 – سورة النور الآية35 .

5 – سورة النازعات الآية39 .

6 – سورة النازعات الآية41 .

رابعا–الموصول:

مفهوم الاسم الموصول:

قال تعالى :(**يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِيٓ أُوفِ بِعَهۡدِكُمۡ وَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ ٤٠**)[1]

ربط هنا الموصول الذي بين نعمتي (الموصوف) وجملة الصلة أنعمت، وذلك تجنبا للوقوع في الانفصال، إذ المعنى في غير القرآن : يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي" وتنتهي الجملة ثم تبدأ جملة جديدة" نعمتي أنعمت بها عليكم"، فإعادة الذكر تؤدي إلى انفصال الجملتين، كما لم تربط بالضمير لأنه قد يحدث ركاكة في هذا الأسلوب إذ المعنى :اذكروا نعمتي هي أنعمت بها عليكم لذا عبر القرآن باسم الموصول لأنه الربط الأنسب.

وفي قوله تعالى: (**وَٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقۡتُلُونَ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَلَا يَزۡنُونَۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ يَلۡقَ أَثَامٗا ٦٨**)[2]

وقع الموصول رابطا بين النعت والمنعوت، إذ المعنى :ولا يقتلون النفس المحرمة، ولم يعبر النظم بإعادة الذكر للتخلص من الانفصال والتطويل والإبهام الذي يضيفه الضمير على المعنى المراد.

وقال تعالى :(**وَإِذۡ قُلۡتُمۡ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤۡمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهۡرَةٗ فَأَخَذَتۡكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمۡ تَنظُرُونَ ٥٥ ثُمَّ بَعَثۡنَٰكُم مِّنۢ بَعۡدِ مَوۡتِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ٥٦ وَظَلَّلۡنَا عَلَيۡكُمُ ٱلۡغَمَامَ وَأَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ ٱلۡمَنَّ وَٱلسَّلۡوَىٰۖ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡۚ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ٥٧ وَإِذۡ قُلۡنَا ٱدۡخُلُواْ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةَ فَكُلُواْ مِنۡهَا حَيۡثُ شِئۡتُمۡ رَغَدٗا وَٱدۡخُلُواْ ٱلۡبَابَ سُجَّدٗا وَقُولُواْ حِطَّةٞ نَّغۡفِرۡ لَكُمۡ خَطَٰيَٰكُمۡۚ وَسَنَزِيدُ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٥٨**)[3]

---

1 – سورة البقرة الآية 40.

2 – سورة الفرقان الآية 68.

3 – سورة البقرة، الآيات من 55 إلى58 .

وهنا ربط الموصول بين مرجعه **الذين ظلموا** وبين صلته **ظلموا**، يقول أبو السعود " : وإنما وضع الموصول موضع الضمير العائد إلى الموصول الأول للتعليل والمبالغة في الذم والتقريع بأنهم بما فعلوا قد ظلموا أنفسهم بتعريضها لسخط الله تعالى.

ويقول أبو حيان :ووضع الظاهر – الموصول–موضع الضمير إشعار بالعلة، وكأنه قيل :فبدلوا، ولكنه أظهره تنبيها على علة التبديل وهو الظلم، أي لولا ظلمهم ما بدلوا والمبدل به محذوف، والتقدير: فبدل الذين ظلموا بقولهم حطة. [1]

ويقول الله تعالى:(**إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجۡرَ مَنۡ أَحۡسَنَ عَمَلًا ٣٠**)[2]

في هذه الآية الكريمة الموصول **من** هو الرابط وصلتها أحسن عملا ولقد عاد الموصول من على **الذين آمنوا وعملوا الصالحات** كالضمير تماما، وفي هذه الآية ربطت من بين اسم **إن** الذين آمنوا وصلتها **أحسن عملا**، إذ المعنى :الذين آمنوا وعملوا الصالحات محسنون للعمل فاسم الموصول قد وصل صلته إلى مرجع كي تنعتها بنعت الإحسان.

يقول الألوسي ... :أو الرابط الاسم الظاهر الذي هو في المبتدأ في المعنى على ما ذهب إليه الأخفش من جعله رابطا، فإن من أحسن عملا في الحقيقة هم الذين آمنوا وعملوا الصالحات واعترض بأنه يأباه تنكير) عملا (لأنه للتقليل، وأجيب بأنه غير متعين لذلك إذا النكرة قد تعم في الإثبات ومقام المدح شاهد صدق ".[3]

ويقول تعالى في آية أخرى :(**فَلَمَّا رَأَوۡهُ زُلۡفَةٗ سِيٓـَٔتۡ وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَقِيلَ هَٰذَا ٱلَّذِي كُنتُم بِهِۦ تَدَّعُونَ ٢٧ قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِنۡ أَهۡلَكَنِيَ ٱللَّهُ وَمَن مَّعِيَ أَوۡ رَحِمَنَا فَمَن يُجِيرُ ٱلۡكَٰفِرِينَ مِنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ٢٨**)[4]

---

1 – ينظر البحر المحيط في التفسير :أبو حيان الأندلسي، ج1 ، ص: 224

2 – سورة الكهف الآية 30.

3 – البحر المحيط في التفسير، أبو حيان الأندلسي، ج7 ، ص:18

4 – سورة الملك الآية 27 و28 .

في هذه الآية ربطت أل الموصولة بين الذين كفروا وهو عائدها أو مرجعها وبين صلتها **كافرين** إذ المعنى فلما رأوه زلفة سيئت وجوه الذين كفروا ... فمن يجير الذين كفروا من عذاب أليم فمن يجيركم من عذاب أليم، وهذا المعنى يدل على صحة الربط بالموصول.

وذلك لأن الموصول قد صلح للمعاقبة بإعادة الذكر وهي الأصل وكذا بالضمير وهو نائب عنها دون أي خلل في السياق أو المعنى، إذن المربوط الأول هو) الذين كفروا(والمربوط الثاني هو الصلة) كافرين (والرابط بينهما الموصول.

يقول أبو السعود:" أي لا ينجيكم منه أحد متنا أو بقينا، ووضع الكافرين موضع ضميرهم للتسجيل عليهم بالكفر والتعليل نفى الإنجاء به .[1]

ويقول الله تعالى في موضع آخر:(**وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ ٤٢ فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُواْ وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ٤٣ فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ٤٤ فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ٤٥** [2]

في هذه الآية ربط الموصول بين مرجعه **أمم** أو القوم وبين صلته **ظلموا**، ودليل صحة هذا الربط هو إمكانية استبدال هذا الموصول بالضمير ويصبح المعنى :فقطع دابرهم ولقد عبر بالموصول بدلا من الضمير للتعليل.

يقول أبو حيان الأندلسي:" والمعنى أنه قطع دابرهم عن طريق استئصالهم بالهلاك ونبه على سبب الاستئصال بذكر الوصف الذي هو الظلم وهو هنا الكفر، والدابر هو التابع لشيء من خلفه "[3] وقد عبر القرآن بالموصول بالذات لتحقيق معنى التعليل لقطع دابر هؤلاء الناس، وهكذا وقع الربط عن طريق الموصول .

---

1 – إرشاد العقل السليم، أبو السعود ،ج5 ، ص368 .

2 – سورة الأنعام الآيات من 42 إلى45 .

3 – البحر المحيط في التفسير، أبو حيان الأندلسي، ج4 ، ص:131 .

ويقول تعالى :(**قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِيَ إِلَّا فِرَارًا ٦ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا ٧ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ٨ ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ٩ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ١٠ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ١١ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا ١٢ مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ١٣ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ١٤ أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا ١٥ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا ١٦ وَاللَّهُ أَنْبَتَكُم مِّنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ١٧ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ١٨ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا ١٩ لِّتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ٢٠ قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا ٢١ وَمَكَرُوا مَكْرًا كُبَّارًا ٢٢ وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ٢٣ وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا ۖ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا ٢٤**) [1]

في هذه الآيات الكريمات ربط الموصول أل بين مرجعه **قومي** وصلته **ظالمين**، هذه الصلة وصفت قوم نوح بالظلم لما فعلوه مع رسولهم، ولقد صح هذا الربط لصحة معاقبة الموصول بالضمير إذ يصبح المعنى: ربي إني دعوت قومي ليلا ونهارا فلم يزدهم دعائي إلا فرارا ... فلا تزدهم إلا ضلالا يقول الألوسي :أي فأخذلْهم ولا تزدهم، وفي العدول إلى الظالمين إشعار باستحقاقهم الدعاء عليهم"[2]

ويقول تعالى:(**وَأَنذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا أَخِّرْنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ الرُّسُلَ ۗ أَوَلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ ٤٤**) [3].

أي فيقولون والرابط هنا الموصول" الذين "الذي ربط الناس وجملة الصلة" ظلموا."

ربط (الموصول) الذي بين مرجع الناس (وصلته) ظلموا(ولقد صح هذا الربط لصحة

1 – سورة نوح الآيات 05 .

2 – روح المعاني، الألوسي ، ج 29 ، ص:98 .

3 – سورة إبراهيم الآية 44.

معاقبة الضمير للموصول، أي :فيقولون والمعنى في غير القرآن دون وجود الموصول وأنذر الناس يوم يأتيهم العذاب فيقول الظالمون من الناس ربنا أخرنا... ، وكما هو واضح أن صلة الموصول جاءت بمثابة الوصف لهذا الصنف من الناس وجاء الموصول مجرد وصلة بين الموصوف وصفته، وعن استعمال الموصول دون غيره.

يقول أبو السعود" :والعدول عنه – يقصد العدول عن الضمير –إلى ما عليه النظم الكريم للتسجيل عليه بالظلم والإشعار بعلية ما لقوه من الشدة وهو بسبب ظلمهم، وإيثار النظم الكريم الموصول الذين على صيغة الفاعل للإيذان بأن الظلم في جملة كاف في الإفضاء إلى ما ذكر من الأهوال من غير الحاجة إلى الاستمرار عليه كما ينبئ عنه صيغة الفاعل ، وعلى تقدير كون المراد بالناس من يعم المسلمين أيضا، فالمعنى الذين ظلموا منهم وهم كفار، أو يقول :كل ظالم بالشرك أو التكذيب من المنذرين وغيرهم من الأمم الخالية، فإن إتيان العذاب يعمهم كما يشعر بذلك وعدهم باتباع الرسل. [1]

وهناك العديد من الآيات التي ورد الربط فيها بالموصول آثرت أن أذكرها دون شرح منها:

قوله تعالى:(**إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجۡرَ مَنۡ أَحۡسَنَ عَمَلٗا ٣٠**)[2]

أي أجرهم، والربط هنا الموصول" من " الذي ربط بين الذين آمنوا وجملة الصلة "أحسن عملا"

وقوله تعالى :﴿ **أُحِلَّ لَكُمۡ صَيۡدُ ٱلۡبَحۡرِ وَطَعَامُهُۥ مَتَٰعٗا لَّكُمۡ وَلِلسَّيَّارَةِۖ وَحُرِّمَ عَلَيۡكُمۡ صَيۡدُ ٱلۡبَرِّ مَا دُمۡتُمۡ حُرُمٗاۗ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِيٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ٩٦** ﴾. [3]

1 – إرشاد العقل السليم، أبو السعود، ج3 ، ص:276 .

2 – سورة الكهف الآية30.

3 – سورة المائدة الآية 96.

وقوله تعالى :﴿ **وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي ٱلسَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ ١٦٣** ﴾ [1]

أي] واسألهم عن القرية[،] القرية كانت حاضرة البحر، أو القرية حاضرة البحر.

وقوله تعالى:﴿ **قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِي لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلْأُمِّيِّ ٱلَّذِي يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ١٥٨** ﴾ [2]

أي فآمنوا بالله ورسوله النبي الأمي

وقوله تعالى :﴿**إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ٢٢**﴾ [3]

أي : إن شر الدواب عند الله الصم البكم[،] الصم البكم لا يعقلون، أو الصم البكم غير العقلاء.

وقوله تعالى :﴿**وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِي كُنَّا فِيهَا وَٱلْعِيرَ ٱلَّتِيٓ أَقْبَلْنَا فِيهَا ۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ٨٢** ﴾[4]

أي اسأل القرية القرية التي كنا فيها، أي القرية الكائن فيها، أو الممكن فيها

وقوله تعالى :﴿ **إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۖ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ٣** ﴾[5]

أي إن ربكم الله، ... الله خلق السموات والأرض... أوالله خالق السموات.

---

1 – سورة الأعراف الآية163 .

2 – سورة الأعراف الآية158 .

3 – سورة الأنفال الآية22 .

4 – سورة يوسف الآية82 .

5 – سورة يونس الآية03 .

وقوله تعالى :﴿ **إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِيٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ ٥٢**﴾ [1]، **أي ما هذه التماثيل ، التماثيل أنتم لها عاكفون، أوالتماثيل المعكوف لها.**

وقوله تعالى :﴿ **فَإِذَا ٱسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلْفُلْكِ فَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي نَجَّىٰنَا مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ٢٨** ﴾ [2]

أي فقل الحمد لله ، الله نجانا من القوم الظالمين ، الله منجينا من القوم الظالمين.

وقوله تعالى ﴿**وَلُوطًا ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِي كَانَت تَّعْمَلُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ إِنَّهُمْ كَانُواْ قَوْمَ سَوْءٍ فَٰسِقِينَ ٧٤** ﴾ 3 أي من القرية التي تعمل الخبائث (أي القرية العاملة للخبائث، أو هي تعمل الخبائث).

وقوله تعالى :﴿ **وَوَٱلَّتِيٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَٰهَا وَٱبْنَهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ٩١** ﴾[4] أي تجري بأمره إلى الأرض، الأرض التي باركنا فيها أو المبارك فيها.

قال تعالى:﴿ **وَنَجَّيْنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِي بَٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَٰلَمِينَ ٧١** ﴾[5]

أي ونجيناه ولوطا إلى الأرض، الأرض باركنا فيها، أو المبارك فيها.

وقوله تعالى :﴿ **إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ٱلَّذِي جَعَلْنَٰهُ لِلنَّاسِ سَوَآءً ٱلْعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍۭ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ٢٥** ﴾[6] أي هذا] هذا يومكم[،] يومكم كنتم توعدون [أي يومكم الموعود.

---

1 – سورة الأنبياء الآية 52.

2 – سورة المؤمنون الآية28 .

3 – سورة الأنبياء الآية74 .

4 – سورة الأنبياء الآية91 .

5 – سورة الأنبياء الآية71 .

6 – سورة الحج الآية52 .

خامسا–التكرار:

التكرار لغة:

ورد في كتاب التعريفات أن التكرار: عبارة عن الإتيان بشيء مرة بعد أخرى[1].

وورد في اللسان أنه: مصدر من كرر يكرر تكرارًا، والكَرُّ: الرُّجُوعُ، يُقَالُ: كَرَّه وكَرَّ بِنَفْسِهِ، يَتَعَدَّى وَلَا يَتَعَدَّى، والكَرُّ: مَصْدَرُ كَرَّ عَلَيْهِ يَكُرُّ كَرًّا وكُرورًا وتَكْرارًا: عَطَفَ، وكَرَّ عَنْهُ: رَجَعَ، وكَرَّ عَلَى الْعَدُوِّ يَكُرُّ، وَرَجُلٌ كَرَّارٌ ومِكَرٌّ، وَكَذَلِكَ الْفَرَسُ، وكَرَّرَ الشَّيْءَ وكَرْكَره: أَعاده مَرَّةً بَعْدَ أُخرى، وَيُقَالُ: كَرَّرْتُ عَلَيْهِ الْحَدِيثَ وكَرْكَرْتُه إِذا رَدَّدْتهُ عَلَيْهِ، وكَرْكَرْتُه عَنْ كَذَا كَرْكَرةً إِذا رَدَدْته، والكَرُّ: الرُّجُوعُ عَلَى الشَّيْءِ، وَمِنْهُ التَّكْرارُ[2].

التَّكرار اصطلاحًا:

التكرار في الاصطلاح: تكرار كلمة أو جملة أكثر من مرة لمعانٍ متعددة؛ كالتوكيد، والتهويل، والتعظيم، وغيرها[3].

وهو أن يكرر المتكلم اللفظة الواحدة باللفظ والمعنى، والمراد بذلك تأكيد الوصف، أو المدح، أو الذم، أو التهويل، أو الوعيد، أو الإنكار، أو التوبيخ، أو الاستبعاد، أو الغرض من الأغراض[4].

وهو ذكر الشيء ثانيًا بعد ذكره أولاً، وكثرته بذكره ثالثًا، والمراد بالكثرة ما فوق الواحد، وإنما شرط الكثرة؛ لأن التكرار بلا كثرة لا يخل بالفصاحة، وإلا قبح التوكيد اللفظي[5].

---

[1]– التعريفات، الشريف الجرجاني ، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى 1983م، ج1، ص:65.

[2]– لسان العرب، ابن منظور ، دار صادر – بيروت، الطبعة: الثالثة – 1414 هـ، ج5، ص:135.

[3]– معجم المصطلحات البلاغية، المؤلف: أحمد مطلوب، مطبعة المجمع العلمي العراقي، ج 2.

[4]– خزانة الأدب وغاية الأرب، المؤلف: ابن حجة الحموي، تقي الدين أبو بكر بن علي بن عبدالله الحموي الأزراري (المتوفى: 837 هـ)، المحقق: عصام شقيو، الناشر: دار ومكتبة الهلال – بيروت، دار البحار – بيروت، الطبعة: 2004م، ج1، ص:326.

[5]– المنهاج الواضح للبلاغة، حامد عوني ، المكتبة الأزهرية للتراث، ج3، ص:46.

تطبيقات من القرآن الكريم:

كما تحدث" محمد صبحي الفقي "عن الدور الفعال الذي يلعبه التكرار في تماسك النص إذ يعتبره ظاهرة تتسم بها اللّغات عامة واللّغة العربية خاصة، كما أبرز مستوياته حيث أنّه لا يتحقق على مستوى واحد، بل على مستويات شتى نذكر منها :تكرار الحرف، الكلمة، الفقرات، القصص أو المواقف، كما هو واقع في القرآن الكريم [1]

ويعتبر الإحالة التكرارية هي الإحالة بالعودة، وتتمثل في تكرار لفظ أو عدد من الألفاظ في بداية كلّ جملة من جمل النص، لأجل التأكيد

يقسم التكرار إلى أقسام عدة:

1- **من حيث اللفظ والمعنى:** إلى قسمين

أ: أحدهما: يوجد في اللفظ والمعنى نحو ((قولك لمن تستدعيه : أسرع أسرع ، فان المعنى مردد واللفظ واحد))[(12)]

ب: والآخر: يوجد في المعنى دون اللفظ: نحو، اطعني ولا تعصني ، فان الأمر بالطاعة نهي عن المعصية [(13)] . ومنه قصص الأنبياء، وما عانوه من أقوامهم ... وذكر صفات الجنة ونعيمها والترغيب فيها، والنار وجحيمها والتحذير منها ... وهو شائع في القران الكريم.

2-**من حيث الفائدة وغير الفائدة:** إلى قسمين

أ: التكرار المفيد: وهو الذي يأتي في الكلام تأكيدا له، وتشييدا من أمره، للعناية بالشيء الذي كررت فيه كلامك، للمبالغة في مدحه أو في ذمه، أو غير ذلك

[1]- علم اللّغة النصي بين النظرية والتطبيق، صبحي إبراهيم الفقي ، الجزء الثاني، دار قباء للطباعة والنشر، ط 01 ، القاهرة، 2000، ص: 17.

والتكرار في القران الكريم هو من التكرار المفيد وليس بإطناب، لان هناك فرقا بين الإطناب وبين التكرار لفائدة، لذا قيل: (إن كل تكرير يأتي لفائدة فهو إطناب، وليس كل إطناب تكريرا يأتي لفائدة) فبين التكرار والاطناب علاقة عموم وخصوص.

ب: التكرار غير المفيد: وهو الذي لا يأتي في الكلام إلا عيا وخطلا ولغوا من غير حاجة إليه ، أو يكون وجوده أو عدمه سواءً ، لأنه لا يأتي إلا بمعنى واحد فقط نحو قول المتنبي : ولم أر مثل جيراني ومثلي لمثلي عند مثلهم مقام [15] من ذلك قيل في التكرير لغير فائدة ((انه جزء من التطويل ، وهو اخص منه ، فيقال حينئذ : إن كل تكرير يأتي لغير فائدة تطويل ، وليس كل تطويل تكريراً يأتي لغير فائدة))[16]

3- من حيث الاتصال والانفصال: إلى قسمين

قسَّم علماء اللغة التكرار الوارد في القرآن إلى نوعين:

أحدهما: تكرار اللفظ والمعنى، وتكرار المعنى دون اللفظ.

فأما تكرار اللفظ والمعنى فهو ما تكرر فيه اللفظ دون اختلاف في المعنى، وقد جاء على وجهين : موصول ، ومفصول .

أما الموصول: فقد جاء على وجوه متعددة:

- إما تكرار كلمات في سياق الآية، مثل قوله تعالى: هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ ٣٦﴾[1]

-وإما في آخر الآية وأول التي بعدها ، مثل قوله تعالى :وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِـَٔانِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَاْ ١٥ قَوَارِيرَاْ مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا [2]

[1] – سورة المؤمنون الآية 36.

[2] – سورة الانسان الآية 14-15.

– وإما في أواخرها ، مثل قوله تعالى كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلۡأَرۡضُ دَكّٗا دَكّٗا ٢١ [1]

– وإما تكرر الآية بعد الآية مباشرة ، مثل قوله تعالى فَإِنَّ مَعَ ٱلۡعُسۡرِ يُسۡرًا ٥ إِنَّ مَعَ ٱلۡعُسۡرِ يُسۡرٗا ٦ [2] ، وهذا النوع من التكرار تتكرر فيه الكلمات والجمل والحروف متصلة دون انفصال ، في آية واحدة أو في آيتين متواليتين .ففي قوله هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ تكررت كلمة . هيهات . مرتين .

وفي قوله تعالى: أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ٤ ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ٣٥ تكررت جملة أولى لك فأولى مرتين

وفي قوله تعالى: ((وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالزُّبُرِ وَبِالْكِتَابِ الْمُنِيرِ تكرر حرف . الباء . ثلاث مرات في قوله تعالى بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالزُّبُرِ وَبِالْكِتَابِ الْمُنِيرِ

وأما المفصول : فيأتي على صورتين : إما تكرار في السورة نفسها ، وإما تكرار في القرآن كله .

مثال التكرار في السورة نفسها : تكرر قوله تعالى : وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ١٠٤

في سورة " الشعراء " 8 مرات ، وتكرر قوله تعالى: وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ١٥

في سورة " المرسلات " 10 مرات ، وتكرر قوله تعالى: فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ١٦ في سورة " الرحمن " 31 مرة .و في قوله تعالى: ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ٢ الذي تكرر مرتين في القران الكريم : في سورة البقرة : الآية (255) . وفي سورة آل عمران : الآية (2)

[1] – الفجر الآية 21.

[2] – الانشراح الآية 5–6.

ومثال التكرار في القرآن كله : تكرر قوله تعالى: وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلۡوَعۡدُ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ٤٨ 6 مرات : في " يونس " (48) و "الأنبياء" (38) و " النمل " (71) و "سبأ" (29) و " يس " (48) و " الملك " (25) ، وتكرر قوله تعالى : يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلۡكُفَّارَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱغۡلُظۡ عَلَيۡهِمۡۚ مرتين: في" التوبة "(73) و" التحريم "(9).

وما يجب الإشارة إليه أن التكرار لا يتحقق على مستوى واحد، بل على مستويات شتى نذكر منها: تكرار الحرف، الكلمة، الفقرات، القصص أو المواقف، كما هو واقع في القرآن الكريم، كما يجب أن لانغفل شيئا مهما ألا وهو دلالات هذا التكرار في كل المستويات اللغوية الصوتية منها والتركيبة، فللتكرار في القرآن كما قال العلماء غايات بحسب السياقات والمواقف فمثلا:يأتي التكرار في القران الكريم إذا طال الفصل من الكلام لـ((إحضار اللفظ ليرتبط به المتعلق ولا يلتبس لبعد المتعلق أما مجردا عن رابط ، كما في قوله تعالى:

ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾

وأما مع رابطة كما في قوله تعالى:**(لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ)**[121]) إذ (كرر ، تحسبن لطول الكلام ليعلم انه يراد الأول)[123]

وفي قوله تعالى ((وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ))[124]

وفي قوله تعالى ((وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ))[125] فقد تكرر (إن ربك) مجردا عن الرابط في النحل (110) .

وتكرر (فلا تحسبن) و (تطردهم) و (فلما جاءهم) مع الفاء الرابطة في آل عمران (88) وفي الإنعام (52) وفي البقرة (89) وجاء التكرار . لطول الكلام . في قوله تعالى إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَٰجِدِينَ ٤ [126] إذ كرر لفظ الرؤية لما طال الكلام تجديدا لذكره[127] .

وقد يرد التكرار للتفخيم والتهويل شائع في القران الكريم ، كما في قوله تعالى:

ٱلْحَآقَّةُ ١ مَا ٱلْحَآقَّةُ ٢ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحَآقَّةُ ٣ وفي قوله تعالى ((لِيَوْمِ الْفَصْلِ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الْفَصْلِ)) وفي قوله تعالى وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَآئِبِينَ ١٦ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ١٧ ثُمَّ مَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ وفي قوله كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ ٧ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سِجِّينٌ ٨ كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ وفي قوله تعالى كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ ١٨ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ ١٩ وفي قوله تعالى وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ ١ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ ٢ وفي قوله تعالى فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ ١١ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ ١٢ وفي قوله تعالى إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِي لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ١ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ٢ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ٣

– وقد يرد التكرار للإنذار والترهيب كما في سورة المرسلات تكرر قوله تعالى (وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ٢٤ عشر مرات [71] للإنذار والترهيب والتهديد والوعيد

وفي سورة القمر خرج التكرار للإنذار والترهيب والتنكيل . إذ تكرر قوله تعالى ((فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ)) ست مرات اقترن قوله تعالى: ((وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ)) بأربع [75] منها وتكرر قوله تعالى: ((فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ)) أربع [76] مرات وتكرر قوله تعالى ((فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ)) مرتين [77]

ويخرج التكرار ، في القران الكريم ، إلى دلالات أخرى منها التقرير والتأكيد ، ولا ريب في أن الكلام إذا تكرر تقرر إذ إن ((التكرار لم يكن في الأصل إلا وسيلة لإعطاء العبارة زيادة في القوة))[20]

ومثاله قوله تعالى كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ٣ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ٤ [21] جاء التكرار تأكيدا للردع والإنذار والزجر، وهو قبل ذلك تأكيد وتقرير

والتكرار في قوله تعالى إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ٥ [28] ، كرر (إياك) لقطع الاشتراك ، لان المعنى لا يستقيم . على التوحيد . لو اجتزأ بـ(إياك) الأولى فيما لو قال ((إياك نعبد ونستعين)) . لذا ((كرر إياك ولم يقتصر على ذكره مرة كما اقتصر على ذكر احد المفعولين في (ما ودعك ربك وما قلى) ... لان في التقديم فائدة ، وهي قطع الاشتراك))[29] ولو لم يكرر (إياك) لوقع الفعل نستعين على مفعول مبهم ، قد يراد به الله . جل وعلا .

وفي قوله تعالى:((الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ * وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ * وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ * وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ * وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ))[33] كرر الضمير (هو) وذكره قبل . يهدين ، يطعمني ، يسقين ، يشفين . لقطع الاشتراك

وقد يرد التكرار للتنبيه كما في قوله تعالى: ((وَقَالَ الَّذِي آَمَنَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ * يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ))[39] كرر فيه النداء في (يا قوم) مرتين زيادة في التنبيه .

كما يرد التكرار للتعجب و التعجيب، كما في قوله تعالى أَرَءَيْتَ ٱلَّذِي يَنْهَىٰ ٩ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ ١٠ أَرَءَيْتَ إِن كَانَ عَلَى ٱلْهُدَىٰٓ ١١ [45] كرر (أرأيت) ثلاث مرات .

ويرد أيضا للتحدي، ففي قوله تعالى فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ٣ ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ [48] كرر (ارجع البصر) ثلاث مرات للتحدي .

وقد يرد التكرار للتوضيح والتعيين ، ففي قوله تعالى: ((وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ * أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَاذِبًا وَكَذَلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءُ عَمَلِهِ وَصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ))[83] كرر (

أسباب) للتوضيح و التعيين إذ كانت مبهمة في قوله (لعلي ابلغ الأسباب) فعندما كررها أوضحها وبينها وعينها بإضافتها إلى السماوات في قوله تعالى (أسباب السماوات)[84] .

وفي قوله تعالى ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ كرر . الصراط للتوضيح والتبيين والتفسير بعدما .

ويرد التكرار للتعظيم والاهتمام كما في قوله تعالى ((لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ * وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ))[88] كرر (بهذا البلد) تعظيما له .

ويرد التكرار في القرآن الكريم لاختلاف المعنى في اللفظ المكرر، نحو قوله تعالى وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلۡمِيزَانَ ٧ أَلَّا تَطۡغَوۡاْ فِي ٱلۡمِيزَانِ ٨ [112] إذ كرر (الميزان) ثلاث مرات ، فصرح ولم يضمر ليكون كل واحد قائما بنفسه ، غير محتاج إلى الأول .

وفي قوله تعالى وَإِذۡ قَالَتِ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرۡيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصۡطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٤٢ آل عمران42 كرر فعل الاصطفاء مرتين.

وقد يرد التكرار رعاية لفواصل الآي : ففي قوله تعالى يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ أَفۡتِنَا فِي سَبۡعِ بَقَرَٰتٍ سِمَانٖ يَأۡكُلُهُنَّ سَبۡعٌ عِجَافٞ وَسَبۡعِ سُنۢبُلَٰتٍ خُضۡرٖ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٖ لَّعَلِّيٓ أَرۡجِعُ إِلَى ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَعۡلَمُونَ ٤٦ يوسف46 كرر (لعل) رعاية لفواصل الآي.

وما نخلص إليه في نهاية هذا الفصل أننا تناولنا مختلف أنواع الاتساق النحوي أي الإحالة والاستبدال والحذف والوصل، وهي ظواهر اتساقية نحوية لأنها تستند في استعمالها على أقسام منتهية، كما هو الحال بالنسبة للإحالة والاستبدال والوصل، أو على البنية التركيبية كما هو الحال بالنسبة للاستبدال والحذف.

ويرى هاليداي ورقية حسن أن أمرها يسهل مقارنة بالاتساق المعجمي ، ففي حالة الاتساق النحوي تكون العملية واضحة نسبيا، إذ تفترض الإحالة مثلا أو الاستبدال أو الوصل بعض العناصر المماثلة.

حين يتعلق الأمر بالاتساق المعجمي، خاصة في عنصر(التكرار) فإن المسألة تتجاوز حدود التعامل مع مجموعة محدودة من العناصر، ولكن كل المعجم يكون قابلا للاستعمال ومن ثم فهو يتميز بالتنوع والاتساع ولا يتحكم في المسألة حينئذ إلا ما يختاره المتكلم . فالمعجم من ناحية التعريف يتميز بخاصية الانفتاح. كما رأينا في مسألة التكرار.

الفصل الرابع

الانسجام الدلالي
للنص القرآني

أولا– الدلالة والبناء الدلالي للقرآن الكريم

ثانيا– أدوات الانسجام الدلالي في القرآن

أولا – الدلالة والبناء الدلالي للقرآن الكريم:

علم الدلالة علم فسيح الأرجاء، متداخل الأجزاء، متسع العلاقات مع المستويات اللسانية الأخرى، زيادة على علاقاته بعلوم ومعارف انسانية كثيرة، شديدة الاشتباك معه في الموضوع.[1]

والفكرة الأساسية في البحث اللساني بكامله تدور حول كيفية بناء الدلالة في اللغة، فلا معنى للبحث في الصوت والصرف والتركيب بمعزل عنها، وبسبب هذه المكانة ذاتها كان تعريف الدلالة من أصعب التعريفات. [2]

ولعل السبب الذي جعل مسألة التعريف صعبة مرتبط بمعالجة المعنى في اللغة – في غالب الأحيان بعيدا عن الاستعمال الحقيقي للغة، أي خارج سلوك التواصل، ونعني هنا بسلوك التواصل تجلي اللغة في النصوص ، وقد أبانت الابحاث الدلالية في كثير من الاحيان عبقرية اللغة في تصنيف الاشياء وربطها بأسمائها، وغلب على هذا التصنيف المنطق العام للغة، متناسية في اغلب الاحوال أن الأداء هو المهم في دراسة اللغة، وليس هناك أداء واقعي للمعنى إلا ما هو داخل بنية النص الذي هو ضرورة اجتماعية .

ويحاول هذا الفصل الذي كثيرا ما تتجاهله الدراسات الاكاديمية التي تجعل من النصوص ميدانا تجريبيا لها ، فتقدمها بطريقة لا تمسك ببنية النص اللغوية، مبتعدة عن تتبع بناء الدلالة في النص بوصفها بنية تقوم على العلاقات المعنوية باستغلال سيرورة مجموعة من الأطر الدلالية التي تضمن انسجامه ، يحاول أن يستدرك ذلك الخلل باحثا في النص القرآني عن كيفية بناء الدلالي وفقا للعلاقات المنطقية التي يترابط بها هذا النص المعجز .

1– علم الدلالة التطبيقي في التراث العربي، هادي نهر، دار الأمل للنشر والتوزيع ، الأردن ، ط1، 2007، ص: 17.

2 – ينظر: المرجع والدلالة في الفكر اللساني الحديث، تودوروف وأخرون، ترجمة وتعليق عبد القادر قنيني، دار افريقيا الشرق ، المغرب، 200م، ص: 23.

1-المستوى الدلالي في اللسانيات:

للسانيات الحديثة الفضل الكبير في إرساء مناهج البحث في علم الدلالة ووضع أصوله، حتى أصبح علماً قائماً بذاته، بعد أن كانت تقاسمه علوم شتى، وقد بدأ البحث الدلالي في العصر الحديث بمنهج وصفي، يعاين جزئيات الظاهرة اللسانية معاينة وصفية تعتمد طريقة الملاحظة والتحليل الاستنتاج، ثم تطور إلى مرحلة التنظير والتقعيد، التي تعتمد على المعيارية، من خلال بلورة التراكمات المعرفية، وبناء هيكل نظري لهذا الميدان.

وكانت البداية في العصر الحديث مع اعلان **ميشال بريال** ميلاد علم يختص بالمعنى في اللغة وهو علم الدلالة الذي سيسد فراغا في الدراسات اللسانية التي كانت تهتم بالجانب الشكلي للغة في أصواتها وكلماتها وتراكيبها فقط هذا الفراغ المتمثل بالجانب الدلالي المغيب لصعوبته وتعقيده، يقول في ذلك :«إن الدراسة التي ندعو إليها القارئ هي من نوع حديث للغاية بحيث لم تسم بعد، نعم، لقد اهتم معظم اللسانيين بجسم وشكل الكلمات وما انتبهوا قط إلى القوانين التي تنظم تغير المعاني وانتقاء العبارات الجديدة والوقوف على تاريخ ميلادها ووفاتها، وبما أن هذه الدراسة تستحق اسما خاصا بها فإننا نطلق عليها اسم علم الدلالة Sémantique »[1]، ويكون بريال بهذا الاعلان أول من وجه الاهتمام إلى دراسة الدلالة في العصر الحديث.

لكن ما دعا إليه **بريال** لم يحض بالشهرة، قبل محاولة الانجليزيين أوجدن وريتشاردز (I.A.Richards) (C.K.Orgdon) اللذين نالا شهرة واسعة في الدراسة اللسانية عند إصدار كتابهما عام 1923 تحت اسم" **معنى المعنى**" وفيه ناقش الباحثان « ماهية المعنى من حيث هو عمل ناتج عن اتحاد وجهي الدلالة أي الدال والمدلول»[2] .

1 – علم الدلالة:أصوله ومباحثه في التراث العربي، ص:117 .

2 – نفسه، ص: 118

منذ صدور كتاب "**معنى المعنى**" خصص علم الدلالة مباحثه للصورة المفهومية، باعتبار أن لا علاقة مباشرة بين الاسم ومسماه، إنما العلاقة المباشرة تربط الدال بالمحتوى الفكري الذي في الذهن، معنى ذلك أن الدلالة « تدرس المعاني التي يمكن أن يعبر عنها من خلال البنى الصوتية والتركيبية » [1] ؛ بعبارة أدق يمكن القول «إن علم الدلالة يعني بظواهر مجردة هي الصورة المفهومية»[2] الناتجة عن الجانب الشكلي للغة في الاستعمال.

ولقد بدأت العقبات تظهر أمام البحوث الدلالية عندما ركز الدرس الدلالي الحديث على البحث في ماهية الصورة المفهومية، أينما استحالت الإحاطة بما يشكل العالم المفهومي للمتكلم، وتقعيد استعماله وفهمه للدلالة، ثم أن الحديث عن البنى التي تتحكم في إنتاج الدلالة من وجهة نظر **مجردة**، يبقى بعيد التحقيق، ويبقى علم الدلالة متجها نحو السمات المنطقية، النفسية والتاريخية للظواهر أكثر من اتجاهه نحو عللها اللسانية.[3]

ولا شك أن البحث الدلالي ظل يدور في هذا الفلك منذ زمن طويل ولم يخرج عن ذلك، إلا فيما قام به كاتر وفودر الذين اتجها بالبحث الدلالي بعيدا عندما تناولاه من ناحية تفاعل مركبات الحدث الكلامي، بل إنهما طرحا إشكالية أساسية تتمحور حول تخصيص العلاقة التي يمكن إقامتها بين صورة الجملة ودلالتها في لغة معينة في غياب النحو، إذ قد تصل العملية التواصلية التي تضطلع بأمر نقل الدلالة إلى مستوى من التعقيد لا يمكن للنحو أن يشرح فيه ذلك، لأن علم الدلالة من وجهة نظر هذين العالمين يتناول قدرة المتكلم على إرسال وفهم الجمل الجديدة في ميدان يعجز عن شرحها النحو[4] .

وعلى الرغم اختلاف الآراء حول ماهية العملية الدلالية، فإن البحث الدلالي أخذ مسارات جديدة بعد وقوع التأكيد على أن اللغة هي نظام تتظافر فيه جملة من الأنظمة

---

1 – الدلالة اللغوية عند العرب، عبد الكريم مجاهد ، ط دار الضياء– عمان1985، ص:90.

2 – نفسه، ص: 92

3 – ينظر ، الدلالة اللغوية عند العرب، ص:115.

4 – علم اللغة العام، توفيق محمد شاهين، مكتبة وهبة، القاهرة، 1980 ، ص: 70.

الفرعية كنظام، البنى الصوتية، البنى الصرفية، البنى التركيبية، والبنى الدلالية، ضمن نسق كلي يطلق عليه البنية اللسانية، يقول عن ذلك ميشال زكريا :« فهو مستوى من مستويات الوصف اللغوي، ويتناول كل ما يتعلق بالدلالة أو بالمعنى فيبحث مثلاً في تطور معنى الكلمة ويقارن بين الحقول الدلالية المختلفة»[1].

يضاف إلى ذلك أن العوالم الدلالية التي تتمظهر في هذه البنية هي ذات طبيعة اجتماعية يقول جورج مونان :«يجب أن نفهم بالبنية الدلالية ذلك الشكل العام لنظام العوالم الدلالي – المعطى– أو الممكن، ذي الطبيعة الاجتماعية »[2] .

حاول اللسانيون الكشف عن هذه البنية وتحديد معالمها وسماتها المتحولة « من تجميع العينات وتنظيمها أو دراسة لغة خاصة أو الخصائص العامة لكثير من اللغات أو كل اللغات إلى دراسة الأنساق التي توجد فعلاً في الدماغ وتساهم في تفسير الظواهر الملاحظة »[3]، بعدما كان البحث الدلالي مهتما بالجانب التركيبي الشكلي في اللسانيات السوسيرية[4]، كما يمكن الاشارة إلى أن اللسانيات التوليدية قد أغفلت في بحوثها الأولى الجانب الدلالي، ولم تعر له اهتماما إلا بعد تلك الإسهامات التي تقدم بها كاتر وفودور، والتي أعادا الاعتبار فيها إلى الوظيفة الدلالية للتركيب.

اتجه علم الدلالة في العصر الحديث إلى استجماع مباحثه وبناء جهازه المفاهيمي الذي يعالج به القضايا فبرزت إلى السطح مصطلحات كثيرة مثل الاقتراض والترادف والتضاد والدال والمدلول والمعنى والوحدة الدلالية والحقول الدلالية والدلالة المركزية والدلالة الهامشية وغيرها، بعضها قديم وبعضها حديث، إلا أنها مصطلحات لا تزال في حاجة إلى

1- انظر: علم الدلالة العربي، فايز الداية، النظرية والتطبيق، ط:2 دار الفكر – دمشق 1996، ص:80.

2 – علم اللغة العام في القرن العشرين، جورج مونان، ترجمة: نجيب غزاوي، سلسلة الكتب العلمية – سوريا، 1982 م

3 – المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث: رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1982، ص: 49

4 – محاضرات في الألسنة العامة، فردينان دوسوسير، ترجمة: يوسف غازي، مجيد النصر، المؤسسة الجزائرية للطباعة، الجزائر ، 1986 م.ص: 14.

تنظيم، وعلم الدلالة في حاجة أيضا إلى تحديد موضوعه بدقة يقول جون لاينز « وعلى كل حال فإن عدم تبلور نظرية متسقة لعلم الدلالة لحد الآن لا يعني أنه لم يحرز أي تقدم في الدراسة النظرية للمعنى »[1].

ومن بين هذه المصطلحات حاجة إلى التنضيد مصطلح الوحدة الدلالية وهو مصطلح لا يمكن الاستغناء عنه في هذا العلم بل هو محدد موضوع علم الدلالة.

2 –الوحدة الدلالية: الكلمة، الجملة، النص

كثر الحديث في الادبيات اللسانية عن مصطلح الوحدة الدلالية مقابلا للوحدة الصوتية وارتبطت بوحدة التركيب الأساسية التي تستثمرها اللغة في التواصل، وقد استقر الأمر طويلا – كما سبقت الاشارة – على أن الجملة هي وحدة التفاهم والتخاطب بين الباث والمتلقي، وهي وحدة الإفصاح فيما يجري بين الفرد ونفسه[2]، لأنها وبحسب اعتقاد كثير من اللسانيين المحدثين الوحدة الدلالية الرئيسة[3]، ولم يبحث مستوى أعلى من الجملة في التواصل إلا حديثا مع لسانيات النص، لكن إعادة هيكلة علم الدلالة وفق المنظور النصي لم يتحقق بعد.

أطلقت مجموعة من التسميات للدلالة على هذه الفكرة منها مصطلح الوحدة الدلالية، **semantic unit** و بعضهم قد أطلق مصطلحا آخر وهو السيميم **sememe** [4]، ولعل المصطلح الثاني أكثر تعلقا بالسيمياء، أما الأول فهو أقرب إلى البحث في علم الدلالة واللسانيات، ولا تتعلق المشكلة هنا بالتسمية بقدر تعلقها بحدود الوحدة الدلالية .

حيث أشار أحمد مختار عمر إلى أن وجهة نظر العلماء اختلفت حول تعريف الوحدة الدلالية « فمنهم من قال: إنها الوحدة الصغرى للمعنى، ومنهم من قال : إنها

1 – علم الدلالة، جون لاينز، تر، مجيد عبد الحليم الماشطة وآخرين، ، جامعة البصرة ، 1980، ص: 12،13.

2 – دور الكلمة في اللغة، ستيفن أولمان ترجمة: كمال محمد بشر ، مكتبة الشباب ،القاهرة ، 1975 ص: 111.

3 – علم الدلالة ، فرانك بالمر ، ترجمة : مجيد عبد الحليم الماشطة ، الجامعة المستنصرية ، 1985 ، ص :46.

4 – علم الدلالة، أحمد مختار عمر، ص: 31.

تجمع من الملامح التمييزية، ومنهم من قال : إنها أى امتداد من الكلام يعكس تبايناً دلالياً »[1] ويظهر هذا الحديث زئبقية « مفهوم الوحدة الدلالية وأنه ليس مقصورًا على الكلمة المفردة »[2].

ورغم أن الكثير من اللسانيين قد « جعلوا الكلمة المفردة أصغر عنصر يؤدى معنى متميزا أو هى الوحدة الصغرى للمعنى » [3]، فإن الكلمة بوصفها الحامل الأساسي للدلالة تتحمل أعباء قد لا تطيقها في المجال التواصلي، لا سيما وأن البحوث النصية قد طغت على المجال اللساني، حينما ثبت أن الجملة لا تستطيع تحمل أعباء الدلالة التواصلية، فكيف بالكلمة أن تقوم بذلك؟ وهذا الأمر مرجعه إلى اشكالية الحدود الخاصة بالوحدة الأساسية في الدلالة ومدى مصداقيتها في التعبير عن حركية المعنى في اللغة.

وقد حاول البعض في هذا الصدد تقسيم الوحدة الدلالية إلى أقسام مثلما فعل نيدا Nida الذي جعلها اربعة وهي[4] :

- الكلمة المفردة
- أكبر من كلمة أي **تركيب**
- أصغر من كلمة مورفيم متصل أي **وحدة صرفية.**
- أصغر من مورفيم صوت مفرد أي **وحدة صوتية**

فالكلمة المفردة تعد كما سبق «أهم الوحدات الدلالية لأنها تشكل أهم مستوى أساسى للوحدات الدلالية حتى عدها بعضهم الوحدة الدلالية الصغرى» [5]، **وقد أهلها لهذا الأمر** وضعها فى المعجم و، كونها وحدة صرفية حرة **free morpheme**‘ ثم من حيث

1 – علم الدلالة، أحمد مختار عمر ، ص: 32 .

2 – دراسات فى علم اللغة، مصطفى إبراهيم عبد الله ، دار الشروق ، لبنان، ط1، 1995 م، ص:11.

3 – فرانك بالمر، علم 1985، ص: 86.

4 – علم الدلالة، أحمد مختار عمر، ص: 32 ، دراسات فى علم اللغة، ص: 18.

5 – نفسه، ص: 34.

دلالتها، واخيرا من حيث علاقتها بغيرها من الكلمات [1]، مع الاشارة إلى أن الكلمات ليست جميعها متساوية فى الإشارة إلى الدلالة من حيث الامتلاء[2] فهناك كلمات دالة بذاتها وكلمات فارغة الدلالة .[3]

وقد أشار **بالمر** إلى أن النوع الثانى «يسند إلى النحو لأنها تكتسب دلالتها بتركيبها النحوى مع غيرها» [4] أي أن تحقق دلالتها مرهون بارتباط الكلمة بكلمات أخرى أو بجملة أخرى، ولهذا فالنظر الدلالي في هذه الألفاظ حين تأتى مفردة معزولة عن سياقهالا يكون مجديا، لأنها تكتسب دلالتها في البنية اللغوية الفعلية .[5]

أما التركيب فيؤكد اللسانيون في مجال النحو على أن الجملة هي «أهم وحدات المعنى، بل ويعتبرها بعضهم أهم من الكلمة نفسها، وعند هؤلاء لا يوجد معنى منفصل للكلمة وإنما معناها فى الجملة التى ترد فيها »[6]، ورغم أنهم منطقية طرحهم القائل إن «كل تعبير مكون من وحدات صوتية ووحدات صرفية وكلمات، وعلاقات نحوية، ولكل عنصر من هذه العناصر دلالته ومفهومه الخارجى، وذلك باستثناء الوحدات الصوتية، ودلالة الجملة هى مجموع هذه الدلالات التى تنسب لأجزائها، ومجموع بعض الآثار المترتبة على وجود هذه الدلالة المختلفة بعضها إلى جوار بعض»[7] ، إلا أن الدراسات لم ترق بها إلى مصاف مصاف الدراسة الدقيقة كوحدة دلالية في علم الدلالة، لاسيما في معالجة النصوص الفعلية .

1 – دارسات فى علم اللغة ، ص: 23 .

2 – مدخل إلى علم الدلالة، بالمر، ص: 80.

3 – نفسه ، ص:81.

4 – نفسه، ص: 83.

5 – علم الدلالة، أحمد مختار عمر ، ص: 33.

6 – نفسه، ص: 34

7 – دراسات فى علم اللغة، ص: 29 .

أما النوع الثالث أي الوحدة الصرفية المقيدة المتمثلة في الوحدات « التى تعد أقل من الكلمة وتتمثل فى المورفيم المتصل ويشمل ذلك السوابق واللواحق » [1] مثل الواو فى الدلالة على الجمع فى" **كتبوا**"، فإذا ما نظر إليها من جانب المبنى، كانت النظرة خاصة بموضوع علم الصرف، أما إذا نظرنا من الجانب الدلالى فنجعلها وحدة دلالية .[2]، فرغم احتوائها على جانب من القصدية في الدلالة إلا أنها لا ترقى إلى أن تكون محددا للدلالة اللغوية لا سيما أنها متعلقة بالقيود التي تلحق أصول الكلمات.

أما النوع الرابع أي الوحدة الصوتية، التي اعتبر بعض الباحثين في إطارها الصوت وحدة دلالية مستقلة وذلك استنادا إلى الصفات التمييزية الفارقة بين الاصوات، لأن أصوات اللغة يحكمها التغاير، ومن خلال التغاير تتجلى الدلالة.[3] فإنها لا ترقى إلى التمثيل الدلالي الدلالي لافتقارها إلى المعنى بعيدا عن السياق اللغوي، ولا يمكن اعتبارها وحدة دلالية لسببين الأول أن دلالة الوحدة الصوتية وما تتميز به من مجموع الصفات الأدائية التى تؤدى من خلالها هى دلالة داخل المجموعة الصوتية التى تنتمى إليها، حسب تصنيف الوحدات الصوتية فى النظام الصوتى، وليس لهذا النوع من الدلالة مقابل فى الواقع الخارجى أما السبب الثانى هو دلالة الوحدة لا تسمح بإقامة علاقة ما من العلاقات الدلالية بينها وبين غيرها وهى السمة الرئيسية فى تميز الوحدة الدلالية[4] .

فالوحدة الصوتية على هذا الاساس ذات أثر فى الدلالة، وهذا لا يمكن إنكاره مطلقا ولكن أن نعتبر الصوت وحدة دلالية مستقلة لها كيانها فهذا فيه الكثير من المبالغة.

---

1 – علم الدلالة، أحمد مختار عمر، ص: 35.

2 – ينظر، التحليل الدلالى للجملة العربية، عبد الرحمن ايوب، المجلة العربية للعلوم الانسانية ، الكويت، مج 3، ع 10، 1983 ، ص: 100.

3 – دراسات فى علم اللغة، ص 21.

4 – نفسه، ص 21

مع انتشار البحث النصي اصبح شائعا أن النص هو «الوحدة الدلالية الكبرى، أو الوحدة الدلالية الأساسية للمعنى اللغوى »[1] وليس النص مجرد تسلسل للعناصر إنما يلزمه أن يكون« فى مجمله متسما بسمات التماسك والترابط على المستويين البنوى والدلالى» [2].

كما وجب على علم الدلالة أن يطور مباحثه في إطار فكرة النص، بوصفه النموذج البشري الاساس في استعمال اللغة، وعلى هذه المباحث أن تتخصص في تناول العلاقات المعنوية الضامنة لانسجام النص وانبناء دلالته.

رغم منطقية الرأي الذاهب إلى كون النص وحدة التواصل الدلالية، فإن الدراسات في هذا المجال لا تزال عاجزة عن بناء نظرة، واضحة تبين فيها صلاحية هذا الرأي.

3 –البناء الدلالي للقرآن:

ما دام هدف هذا الفصل هو البحث في كيفية انبناء دلالة النص القرآني من خلال الأدوات الضامنة لانسجام النص في المستوى الدلالي الذي هو مرتبط في الاساس بالعلاقات المنطقية التي تتجاوز الشكل المرئي، فإننا نقر منذ البداية أن سبل الوصول إلى الهدف معقَّدٌ للغاية، لأن علم الدلالة لم يوفر الأدوات اللازمة في هذا الاطار، وما توفر منها يفتقر إلى التناغم والانسجام، و ما نمتلكه عن العلم عددٌ من النظريات المختلفة في توصيف للمعنى[3]. المفتقرة إلى التطبيقات النصية الدقيقة، يضاف إلى ذلك نوعية النص الذي ندرسه والذي يتطلب الحيطة والحذر من تقرير ناتج الدلالات وكيفيات انبناء المعنى؛ حذر الخلط بين سيكولوجيا الانسان في الانتاج والتلقي والاعجاز الذي جاء به النص الكريم.

وعليه فإن جوهر التحليل الدلالي من هذا المنطلق سيقتصر على الدراسة التحليلية للادوات التي يستخدمها القرآن الكريم لبناء الدلالة الكلية للنص، حيث تستمدّ معانيها المحدّدة

1 – علم الدلالة، أحمد مختار عمر، ص: 50.

2 – دراسات فى علم اللغة، مصطفى إبراهيم عبد الله، ص: 33 .

3 – الله والانسان في القرآن علم دلالة الرؤية القرآنية للعالم، توشيهيكو ايزوتسو، تر : هلال محمد الجهاد ، المنظمة العربية للترجمة ، بيروت ط1، 2007، ص: 29

على نحو دقيق من جملة نظام العلاقات مع التي تؤلِّف بين أجزائها في مجموعاتٍ متنوّعة، كبيرة وصغيرة، مرتبطا كل منها بالأخرى بطرائق مختلفة، لتؤلّف في النهاية كُلاً منظّماً شبكةً غايةً في التعقيد والتركيب من الترابطات المفهوميّة[1].

1 – الله والإنسان، ص:32.

ثانيا-أدوات الانسجام الدلالي للقرآن:

يستخدم القرآن الكريم مجموعة من الأدوات والوسائل التي تتجاوز في عمومها الجانب الشكلي للغة إلى العلاقات المعنوية التي هي من خصوصيات البنية الكلية للنص، وهذه الأدوات تؤطر انسجامه في المستوى الدلالي، وتعمل كموجهات لعقل المتلقي إلى الدلالة النصية، وبعض هذه الأدوات تناولتها علوم القرآن كأصول الفقه في مباحث مستقلة مثل العموم والخصوص والاجمال والتفصيل، والمناسبة، وكان القصد في علوم القرآن بيان الحكم الشرعي ولم تقصد بيان انسجام النص من ناحية الدلالة، ولم تكن هناك اشارة واضحة إلى الانسجام والالتحام إلا في قضية التناسب بين أجزاء القرآن الكريم من آيات وسور، مع أن الثقافة العربية الاسلامية آمنت ضمنا بالانسجام في هذا النص وقد استغل البحث هذه المباحث باعتبارها وسائل دلالية لتأطير المعنى حتى يتمكن الذهن الانساني من بناء الدلالة بناء سليما متوافقا مع متطلبات الخطاب . كما استغل البحث مبحثا دلاليا أساسيا من لسانيات النص يتناول البنية الكلية للنص انطلاقا من فكرة البنية الكبرى والبنى الصغرى.

من هذا المنطلق يكون العموم والخصوص والاجمال والتفصيل والتناسب والبنية الكبرى الادوات الضامنة لانسحام النص القرآني وبنائه في تناسق معجز.

1-مفهوم العموم والخصوص:

إن المتتبع لنصوص القرآن الكريم يجدها تتميز بطابع العموم والشمول، حيث وردت في صور صيغ عامة وألفاظ كلية، لأن الغرض منها حمل المكلفين على العمل بها دون استثناء، لتشمل كل من يفهم الخطاب، وجعل الشارع العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، ذلك أنّ الخطاب التكليفي وإن كان عاما في الأصل إلاّ أنّه قد تخرج منه بعض الصور لأسباب معينة، وهذا ما يعرف بالتّخصيص مراعاة لأحوال الناس.

ولم يخرج من كَتَبَ في موضوع العموم والخصوص في الدراسات القرآنية من ربقة علم أصول الفقه فصار الحديث في هذا الموضوع نسخة مكررة عمّا هو موجود في كتب أصول الفقه إلاّ في القليل النادر.

1 -1-مفهوم العموم:

- تعريف العام:

- **العام لغة:** هو الشمول، يقال: عمّهم الأمر يعمّهم أي: شملهم[1]، مثل﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ﴾ [2].

- العام اصطلاحا:

- عند المتكلمين: «هو اللفظ المستغرق لجميع ما يصلح له حسب وضع واحد»[3]، وقد استحسن الإمام الشّوكاني هذا التّعريف، لكن بزيادة قيد "دفعة" فيصبح التّعريف كالآتي: «هو اللفظ المستغرق لجميع ما يصلح له حسب وضع واحد دفعة» وفائدة هذا القيد لإخراج المشترك، فإنّه لا يعمّ ما دلّ عليه دفعة واحدة[4].

- وعرّفه الغزالي (ت505هـ) بقوله: «العام عبارة عن اللّفظ الدّال من وجهة واحدة لى شيئين فصاعدا، مثل "الرّجال" و "المشركين" ... ونظائره»[5].

إلاّ أنّه يوجد فرق بين العام والعموم، فالعام هو اللفظ المستغرق أي **المتناول** جميع ما يصلح له بوضع واحد، بينما العموم هو **تناول** اللفظ جميع ما يصلح له بوضع واحد، فالعموم مصدر والعام اسم فاعل مشتق من هذا المصدر، هما متغايران لأنّ المصدر والفعل غير اسم الفاعل، ومن هنا يظهر الإنكار على بعض الأصوليين في قولهم: العموم هو

1 – لسان العرب: ابن منظور،ج2، دار المعارف، دط، دت، ص: 1173.

2 – سورة الانفطار الآية 13.

3 – المحصول في علم الأصول، الرازي ، ج1، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1 ، ص:353.

4 – أثر القواعد الأصولية اللغوية في استنباط أحكام القرآن، عبد الكريم حامدي: ، دار ابن حزم، بيروت، ط1، 2008، ص:112.

5 – المستصفى من علم الأصول: أبو حامد الغزالي، تح: أحمد زكي حمّاد، دط، دت، ص:422.

اللفظ...إلخ فإنْ قيل: أراد بالمصدر اسم الفاعل، قلنا استعماله فيه مجاز، ولا ضرورة لارتكابه مع إمكان الحقيقة[1].

إلا المهم في هذا السياق هو أن التعميم وسيلة دلالية تستغرق ما تحتها من مشمولاتها في النص القرآني كله من بدايته إلى نهايته ينظم ورود المعنى في هذا الاطارويجعل المتلقي يتجه بفهمه إلى أن الدلالة المقصودة مطلقة عامة لا مقيدة مخصوصة. وللعموم الفاظ وأدوات تؤطر المعنى في هذا الاتجاه بحثتها علوم الشريعة بالتفصيل.

1-2-ألفاظ العموم:

ذكر الأصوليون للعموم ألفاظا تدلّ بصيغتها وبمعناها على الشّمول، وهي:

أ - ما دلّ على العموم بمادته، مثل: كل، وجميع، وكافة، وقاطبة، وعامة، كقوله تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ [2]، أو تابعه[3] نحو قول الله تعالى: ﴿ فَسَجَدَ الْمَلائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾[4]

ب- الجمع المعرّف بالألف واللّام:

ومثاله قوله تعالى:﴿ فَآتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ **الْآخِرَةِ** وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [5]، فـالْمُحْسِنِينَ، جمع معرف بالألف واللام، يفيد بعمومه شمول الثّواب لكلّ محسن، وقوله تعالى: ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾ [6]. جمع معرّف بالألف واللام، يفيد بعمومه شمول البغض والكراهية.

1 - إتحاف الأنام بتخصيص العام، محمد إبراهيم الحفناوي ، دار الحديث، القاهرة، ط1، 1997، ص:23.

2 - سورة الرحمن الآية 26.

3 - السيوطي: الإتقان في علوم القرآن، تح: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة ناشرون، بيروت،ط1، 2008، ص352.

4 - سورة الحجر الآية 30.

5 - سورة آل عمران الآية148.

6 - سورة آل عمران الآية 32.

ج – الجمع المعرّف بالإضافة:

ومثاله في كتاب الله: ﴿ يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ ﴾[1] ، فـ ﴿أَوْلَادِكُمْ ﴾جمع مضاف، يفيد بعمومه ميراث: كل ولد ذكر أو أنثى، إلا ما أخرجه الدليل كالولد الكافر والولد القاتل.

د – الأسماء الموصولة: (من، ما، الذين، اللّاتي)[2]، ونحو ذلك:

كقوله تعالى: ﴿ وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَاءَ ذَٰلِكُمْ ﴾[3]، فـ "ما" اسم موصول، يفيد بعمومه إباحة كل النساء غير المحرّمات بسبب نسب، أو رضاع، أو مصاهرة.

وكذلك قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا ۖ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ ۗ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [4]، فـ "الذين" اسم موصول، يفيد بعمومه وجوب عدة الوفاة على كل امرأة توفّي عنها زوجها.

هـ – أسماء الشرط: (من، ما، أي، أين، حيث)

ومثاله، قوله تعالى:﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ﴾[5].

"**من**" اسم شرط، يفيد بعمومه وجوب الصيام على كل حاضر مقيم مكلف قادر.

وقوله صلى الله عليه وسلم: «**أيّـما** امرأة نكحت بغير إذن وليّها فنكاحها باطل» أخرجه الترمذي في سننه، تفيد "أي" بعمومها أنّ كلّ نكاح تمّ بغير ولي باطل.

---

1 – سورة النساء، الآية: 11.

2 – أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، ابنهشام، تح: محمد محي الدين عبد الحميد،ج1، منشورات المكتبة العصرية، بيروت، دط، دت، ص: 139.

3 – سورة النساء، الآية: 24.

4 – سورة البقرة، الآية: 234.

5 – سورة البقرة، الآية: 185.

و – أسماء الاستفهام: (أيّ، من، ما، متى)

ومثاله في كتاب الله: ﴿أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ ۚ ﴾[1]، وقوله: ﴿مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ ۗ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ﴾ [2]، فـ "متى" استفهام عام عن وقت مجيء النصر.

ز – الأسماء الموصولة: (من، ما، الذين، اللائي) ونحو ذلك

وفي القرآن الكريم كثير من الشواهد منها، قوله تعالى: ﴿ وَاللَّائِي يَئِسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ إِنِ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ﴾[3]، فـ " اللائي" اسم موصول يفيد بعمومه وجوب العدّة على كل امرأة لا تحيض بسبب كبر أو صغر.

ح – النكرة في سياق النفي، أو النهي، أو الشرط، أو الاستفهام الإنكاري: سواء كان النفي أو النهي بـ (أما، ليس، لا)[4].

ومثال **النكرة الواقعة في سياق النفي،** قوله صلى الله عليه وسلم:«لا صيام لمن لم يبيّت الصيام من الليل »[5].

وفي **النكرة الواقعة في سياق النهي،** قوله تعالى: ﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِ ۖ ﴾[6] فقوله: "لا تصل" و "لا تقم" فعل مضارع وقع في سياق النهي، يفيد يفيد بعمومه النهي عن الصلاة على المنافقين.

وفي سياق الشرط[7]، قوله تعالى وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ﴾.[8]

---

1 – سورة الإسراء، الآية: 110.

2 – سورة البقرة، الآية: 214.

3 – سورة الطلاق، الآية: 04.

4 – أثر القواعد الأصولية اللغوية في استنباط أحكام القرآن، عبد الكريم حامدي، ص:122.

5 – سنن أبي داود، أبو داود، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، ج2، دط، دت، دار الفكر، بيروت، ص: 329.

6 – سورة التوبة، الآية :84

7 – الإتقان في علوم القرآن، السيوطي ، ص:452.

8 – سورة التوبة، الآية:06.

1-3-معيار العموم:

إن الميزان الذي نعرف به أن اللفظ عام أولا، هو جواز الاستثناء منه، فكل ما جاز الاستثناء منه، كان عاماً، وما لا يجوز الاستثناء منه فليس بعام. وذلك كما في قوله تعالى : ﴿ إن الإنسان لفي خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ فإن الاستثناء في الآية دلنا على أن كلمة (الإنسان) عامة، وهي اسم جنس حلّي بالألف واللام، إذا لو لم تكن عامة لما جاز الاستثناء منها، أو بالأحرى لولا الاستثناء لكان كل إنسان في خسر، سواء أكان مؤمناً أم كافراً، وهذا هو العموم ولذلك جاء الاستثناء لإخراج المؤمن من الخسار . وهذا معنى قولهم: (معيار العموم الاستثناء)[1].

أ- الجمع المنكر:

وبهذه القاعدة عرفنا أن الجمع المنكر ليس بعام، إذ نص النحاة على عدم جواز الاستثناء في قولنا: (جاء رجال إلا زيداً) ولو كان عاماً لجاز الاستثناء منه على القاعدة في معيار العموم[2].

ب- العام المسوق لغرض:

العام إذا سيق لغرض، كالمدح، والذم وغير ذلك، فهل يعتد بعمومه، ويعمل به، بناء على مقتضى الصيغة؟، أم لا يعمل به، لغرض المدح أو الذم الذي سيق من أجله، ويكون هذا قرينة تصرفه عن العموم؟

الجمهور على أنه إذا سيق لغرض كالمدح والذم، يبقى على عمومه، ولا يكون المدح أو الذم صارفاً للصيغة عن عمومها.

وذلك كقوله تعالى: ﴿ **إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ (13) وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ** ﴾ [3] وقوله تعالى: تعالى:

---

1 – نهاية السول شرح منهاج الوصول، البيضاوي ، ج2، عالم الكتب، دط، دت، ص:68 .

2 – المحصول في علم الأصول، الرازي ، ج2، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1983، ص: 614 .

3 – الانفطار، الآية: 13-14.

﴿ **وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلاَ يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ**﴾ [1] .

فالأبرار، جمع حلى بالألف واللام، فأفاد العموم، وهو شامل لكل بار، وكونه سيق للمدح لا يصرف الصيغة عن مدلوله، وكذلك الفجار، وكونه سيق للذم لا يخرج الصيغة عن مدلولها.

وهذا كله إن لم يعارضه عام آخر، فإن عارضه، لم يعم فيما عورض فيه، وهذا كقوله تعالى: ﴿ **وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ (5) إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ** ﴾ [2] . فظاهر هذه الآية وقد سيقت لمدح المؤمنين يعم الأختين بملك اليمين إذا جمع بينهما، إلا أن هذا معارض بعموم آخر، وهو قوله تعالى: ﴿ **وأن تجمعوا بين الأختين إلا ما قد سلف** ﴾ فإنه حرَّم الجمع بين الأختين، ولو كانتا مملوكتين، ولذلك حمل عموم الأول على ما إذا لم تكونا أختين[3] .

جـ - الخطاب الخاص بالنبي (ص) :

إذا ورد الخطاب خاصاً بالنبي (ص)، نحو قوله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ** ﴾ [4]، وقوله تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ .قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا** ﴾[5] فالأصح انه لا يتناول أمته (ص) وأنه خاص به، إلا إذا قامت القرينة على إرادة دخول أمته في خطابه (ص)، وذلك كقوله تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ** ﴾ [6] فإن القرائن دلت على دخول أمته (ص) في خطابه، وأنها يجب عليها ما يجب عليه .

---

1 – التوبة،الآية: 34 .

2 – المؤمنون، الآية 5–6.

3 – المعتمد في أصول الفقه، شرح العمد للقاضي عبد الجبار، محمد بن علي بن الطيب ، ج1، دار الفكر، دمشق، ط1، 1964، ص:302 .

4 – الاحزاب، الآية :1 .

5 – المزمل، الآية :1–2.

6 – الطلاق، الآية: 1.

وعلى العكس من ذلك إذا قامت القرينة لتدل على أنه لا يراد من الخطاب رسول الله، وإنما المراد أمته، فإنه في هذه الحالة تكون الأمة هي المكلفة، وإن كان الخطاب موجهاً إليه، وذلك كقوله تعالى: ﴿ **لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ** ﴾ [1].

إذن فخطاب النبي (ص) حال الواحد بخصوصه، بحكم مسألة من المسائل، لا يتعداه إلى غيره على الأصح[2] .

د- خطاب الناس يشمل رسول الله (ص):

إذا ورد الخطاب من الشارع إلى الناس، نحو قوله تعالى:﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ** ﴾[3] فإنه يشمل رسول الله (ص)، لأنه ممن يتناوله اللفظ لغة لعمومه، وليس بآمر، ولا مبلغ، بل الآمر الله، والمبلغ جبريل.

وسواء في ذلك اقترن اللفظ بـ (قل) أو لم يقترن، لأن لفظ (قل) مختص بالرسول (ص) من جهة أمره بتبليغ غيره، وكأن معناه : بلغني من أمر ربي كذا، فاسمعوه وأطيعوه، والذي بلغه في نفسه عام، فلا يغيره أمر مختص بالرسول (ص) في التبليغ .

وكما أن الخطاب بـ (يا أيها الناس) يشمل النبي (ص) لعمومه، فإنه يشمل العبد الرقيق والكافر لدخولهما في عموم الناس.

وهذا الكلام فيمن كان حاضراً وقت الخطاب، وأما من لم يكن حاضراً، وإنما جاء بعد الخاطبين فإن الخطاب لا يتناوله، لأنه لا يقال للمعدوم الذي لم يوجد يا أيها الناس.

وإذا كان هذا الخطاب لا يتناول الصبي والمجنون، مع وجودهما، لقصورهما عن الخطاب، فالمعدوم أولى بأن لا يتناوله هذا الخطاب.

---

1 – الزمر، الآية :65.

2 – البرهان في أصول الفقه، الجويني ، ج1، دار الأنصار، القاهرة، ط2، 1400هـ، ص:367 .

3 – الحجرات، الآية: 13.

ولا يعترض على هذا بأنهم مكلفون بالشريعة، كمن كلف في الصدر الأول على السواء، لأنّ تكليفهم إنما ثبت بدليل آخر، كالإجماع والقياس، لا بنفس الصيغة[1].

هـ-عموم جمع المذكر السّالم للنّساء:

إذا ورد الخطاب بلفظ يختص الذكور، ويمتاز عن الإناث بعلامة، كالمسلمين في جمع المذكر السالم، فإنه لا يشمل النساء ولا يدخلن فيه ظاهراً على الأصح عند الجمهور.

لأن الله تعالى عطفهن على الذكور في القرآن الكريم فقال:﴿ **إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ**﴾[2] و العطف يقتضي المغايرة.

وأما دخولهن في معظم التكاليف التي وردت بمثل هذه الصيغة إنما هو بالقرينة، وهي أن اللفظ بهذه الصيغة ورد تغليباً للذكور لا لاختصاص الحكم بهم دون النساء، فهذه القرينة هي التي أدخلتهن وليس الصيغة.

وهذا الكلام إنما هو في الجمع الذي يوجد فيه وصف يناسب الإناث كالمسلمين، إذ وصف الإسلام يناسب الإناث كالذكور، وأما ما ليس فيه هذا الوصف، فإنه لا يشملهن قطعاً، ولا خلاف فيه، وذلك كالزيدون مثلا.

وكذلك لا خلاف في عدم دخولهن في اسم الجمع كالقوم، وجمع المذكر المكسر كالرجال[3].

1-4-أقسام العام:

أ-عام يراد به العموم لفظا: وهو العام الذي صحبته قرينة تنفي احتمال تخصيصه، وهو قليل جدا، إذ الأصل في العموم أن يقبل التخصيص. مثل قوله تعالى:﴿وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ۚ كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ [4]، فقوله: "دابّة

1 – البرهان في أصول الفقه، الجويني ص: 365 .

2 – الأحزاب، الآية: 35.

3 – أثر القواعد الأصولية اللغوية في استنباط أحكام القرآن، عبد الكريم حامدي ، ص: 122.

4 – سورة هود، الآية:06.

" نكرة في سياق النّفي تعمّ جميع ما يدبّ على الأرض من إنسان و حيوان و نبات، وهذه الحقيقة لا تتبدل ولا تتخصص ؛ لأنها سنة إلهية أبدية[1].

قال القاضي البلقيني عن هذا النوع: "ومثاله عزيز، إذ ما من عام إلا ويتخيل فيه التخصيص" إلا أن الزركشي قال: "وهو كثير في القرآن".

وقد جمع السيوطي بينهما بأن مراد البلقيني: أنه عزيز في الأحكام الفرعية، ومراد الزركشي: أنه كثير في غير الأحكام الفرعية، ومثال هذا النوع: قوله تعالى:﴿**وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ** ﴾ [2]؛ فالعموم هنا لا يمكن تخصيص[3].

ب-عام يراد به الخصوص قطعا: وهو العام الذي صحبته قرينة تنفي احتمال بقائه على عمومه، وتبين أنّ المراد منه بعض أفراده

جـ-العام المراد به الخصوص: وهو العام الذي صحبته قرينة تنفي احتمال بقائه على عمومه، وتبين أنّ المراد منه بعض أفراده. أو وهو ما دل لفظه على العموم ودلت القرينة على الخصوص، كقوله تعالى:﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ ﴾[4]" والمراد بالناس: عبد الله بن سلام؛ فالآية دعوة لليهود إلى أن يؤمنوا كما آمن عبد الله بن سلام -رضي الله عنه، وقد كان يهوديًّا، ثم إن الناس لم يؤمنوا كلهم؛ فدلت القرينة على وجوب حمله على فئة منهم.

ومن أمثلته أيضًا: قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ ﴾[5] قال الزركشي: "وعمومه يقتضي دخول جميع الناس في اللفظين جميعًا، والمراد بعضهم؛ لأن القائلين غير المقول لهم، والمراد بالأول نعيم بن مسعود، والثاني: أبو سفيان وأصحابه" قال الفارسي: ومما يقوى أن المراد بالناس في قوله: ﴿إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ﴾

1- أثر القواعد الأصولية اللغوية في استنباط أحكام القرآن، عبد الكريم حامدي ، ص: 123.

2 - النساء، الآية: 176.

3 - ينظر، الإتقان في علوم القرآن، السيوطي ، ص: 453.

4 - البقرة، الآية: 13.

5- آل عمران، الآية: 173.

واحد، قوله: ﴿**إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ**﴾ [1]؛ فوقعت الإشارة بقوله: ﴿ذَٰلِكُمُ﴾ إلى واحد بعينه، ولو كان المعنى به جمعًا لقال: إنما أولئكم الشياطين، فهذه دلالة ظاهرة في اللفظ، وإنما وصف نعيم بأنه الناس؛ لقيامه مقام كثير في تثبيطه المؤمنين عن ملاقاة أبي سفيان.

ومن أمثلته: قوله﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾[2]، والمراد بالناس هنا: رسول الله –صلى الله عليه وسلم، لجمعه ما في الناس من الخصال الحميدة.

ومنها:﴿**فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ** ﴾[3]، المراد بالملائكة: جبريل عليه السلام[4].

د – العام الذي يدخله التخصيص: وهو الذي يمكن تخصيصه، ولعل هذا النوع هو أشهر أنواع العموم، والذي ينصرف إليه الذهن عند إطلاق العموم، وهو ميدان الخلاف بين العلماء في تخصيصه أو بقائه على عمومه، ويسمّى العام المخصوص وهو الذي دلّ على خروج بعض الأفراد منه، وأمثلته في القرآن كثيرة؛ منها: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ ﴾[5] ؛ فلفظ: أَحَدَكُمُ يفيد يفيد العموم وخصص بقوله: ﴿ إِن تَرَكَ خَيْرًا﴾.

2–مفهوم الخصوص:

مثل العموم يعد الخصوص وسيلة أخرى لبث المعنى في النص القرآني وتأطيره حتى ينتبه المتلقي إلى خصوصية هذا الخاص، ودلالاته أكثر جلبا للانتباه من العام تجعل هذا المتلقى أكثر حرصا وتثبتا نظرا للاستثناءات التي وردت فيها مما يجعل كتلة المعنى التي

1 – آل عمران، الآية: 175.

2 – النساء، الآية: 54.

3 – آل عمران، الآية: 39.

4 – الإتقان في علوم القرآن، السيوطي: ص 454.

5 – البقرة، الآية: 180.

تأتي بها منفردة خاصة وفريدة من نوعها أمرا أو نهيا أو تحذيرا.أي تخصيصا.مما جعل علماء الشريعة أكثر اهتماما بهذا الأمر وأولوا كل عنايتهم لإخراج العام من الخاص حتى يستقيم التعبد.

وقواعد الخصوص في تأطير الدلالة في النص القرآني هي ما يقابل قواعد العموم، وإذا كان العام يدل على العموم والشمول، فإنّ الخاص يدل على الانفراد وانقطاع المشاركة.

والخاص أنواع منه: " الأمر، والنهي، والمطلق، والمقيد "وكلها صيغ وألفاظ تدل على أحكام خاصة نزل بها القرآن تشريعا للناس كافة.

2-1-تعريف الخاص:

في اللغة: الخاص يأتي بمعنى الانفراد، يقال: " خصه بالشيء يخصه خصا أي: أفرده به دون غيره، ويقال: اختص فلان بالأمر وتخصص به إذا انفرد"[1].

أما في الاصطلاح: "هو لفظ وضع لمعنى واحد على الانفراد وانقطاع المشاركة"[2].

ومثال ذلك، قوله تعالى:﴿ **لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ الْأَيْمَانَ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أيام**﴾ [3].

– قوله تعالى:﴿**عَشَرَةِ مَسَاكِينَ**﴾ فلفظ: "عشرة" عدد خاص يراد به معنى معينا وهو إطعام عشرة مساكين لا يزيدون ولا ينقصون.

– قوله:﴿فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أيام﴾ فلفظ "ثلاثة" عدد خاص، يراد به معنى معينا وهو صوم ثلاثة أيام لا يزاد عنها ولا ينقص.

1 – لسان العرب، ابن منظور، ج2، ص1173

2 – الإحكام في أصول الأحكام، الآمدي، ج2، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1983، ص: 289.

3 – المائدة، الآية: 89.

– قوله: "أو" لفظ خاص، وهو حرف يفيد التخيير بين الإطعام والكسوة، وعتق الرقبة، فبأيّ هذه الثلاثة كفّر عن يمينه فقد برأت ذمته[1].

2-2-قواعد الخاص:

الخاص في كلام الشارع، يرد تارة في صورة صيغة أمر، وتارة في صورة صيغة نهي، وتارة في صورة ألفاظ مطلقة أو مقيدة، وعليه فالأمر والنهي، والمطلق والمقيد تندرج ضمن الخاص[2].

أ-قاعدة الأمر:

الأمر هو طلب الفعل بطريق الاستعلاء[3]، **وهو** الذي يدل على الوجوب إلا بقرينة[4]. **و** صيغة الأمر دالّة على معان كثيرة ذكرها الأصوليون، منها: الوجوب: **كقوله تعالى:**﴿**وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ**﴾ [5]، فبالنظر في هذه الآية يتبين أنّ الأمر حقيقة في دلالته على الوجوب لغة وشرعا أمّا في اللغة فلا يتبادر عند إطلاق هذه الصيغة إلاّ الوجوب، والتبادر هذا هو الذي يميز بين حقيقة اللفظ من مجازه، لأن المجاز لا يفهم إلا بعلامة وقرينة كما هو واضح في المعاني والبيان، أمّا في الشرع فإنّ الأمر للوجوب ولا يصرفه عن ذلك إلا قرينة صحيحة[6].

وبالنظر إلى كثير من الأدلة يتبين أن الأمر ليس كله للوجوب، فإذا وجدت القرينة التي تصرفه عن الوجوب، خرج إلى أغراض أخرى.

---

1 – أثر القواعد الأصولية في استنباط أحكام القرآن، عبد الكريم حامدي، ص: 173-175.

2 – علم أصول الفقه، عبد الوهاب خلاف، دار القلم، الكويت، ط2، 1988، ص:191.

3 – الإحكام في أصول الأحكام، الآمدي، ج2، ص: 289.

4 – المصفى في أصول الفقه، أحمد بن محمد علي الوزير ، دار الفكر المعاصر، بيروت، دار الفكر، سورية، ط1، 1996، ص:423.

5 – الآية : 56.

6 – المصفى في أصول الفقه، أحمد بن محمد علي الوزير ، ص425.

ب-قاعدة النهي:

النهي خلاف الأمر، وهو طلب كفّ عن فعل على جهة الاستعلاء، وصيغته لا تفعل[1]. ويرد النّهي في كلام الشارع دالا على التحريم حقيقة[2]، كقوله تعالى:﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا﴾[3] .

أما مجازا فله معان عديدة منها: **كالكراهة: نحو:** ﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا﴾ [4]، و**الدعاء: نحو:** ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا ﴾[5] و**الاحتقار: نحو:** ﴿لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ ﴾[6]، **واليأس: نحو:** ﴿لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ﴾[7] **وبيان العاقبة: نحو:** ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا ﴾ .[8]

ج-قاعدة المطلق والمقيد:

- **المطلق:** «هو ما دل على شائع في جنسه"[9]. وهو اللفظ الدال على الماهية بلا قيد»[10]، فمتى وجد دليل على تقييد المطلق صير إليه، وإلا فلا، بل يبقى المطلق على إطلاقه، والمقيد على تقييده؛ لأنّ الله تعالى خاطبنا بلغة العرب، **والضابط** في ذلك أن الله تعالى إذا حكم في شيء بصفة أو شرط، ثم ورد حكم آخر مطلقا، نُظر: فإن لم يكن له أصل يُرد إليه إلا ذلك الحكم المقيد وجب تقييده به، وإن كان له أصل يرد إليه غيره لم يكن رده إلى أحدهما بأولى من الآخر.

1 - ينظر، الإتقان في علوم القرآن، السيوطي، ص:582.

2 - نفسه ، ص582.

3 - الإسراء، الآية: 32.

4 - الإسراء، الآية: 37.

5 - آل عمران، الآية: 8.

6 - الحجر، الآية: 77.

7 - التوبة، الآية: 66.

8 - آل عمران، الآية: 169.

9 - إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، الشوكاني، دار الفكر، بيروت، دط، دت، ص: 164.

10 - سلاسل الذهب، الزركشي، تح: محمد المختار الشنقيطي، ط2، 2002، ص:280.

قال السيوطي: عن الأول، مثل اشتراط العدالة في الشهود على الرجعة والفراق والوصية في قوله تعالى:﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾[1] ، ومن أمثلة المطلق الباقي على إطلاقه قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۗ﴾[2] .

فقوله: ﴿ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۗ﴾ يفيد وجوب قضاء ما أفطره المريض والمسافر، من غير قيد يقيّد التتابع، فيجوز صومها متتابعة ومتفرقة لإطلاق النّص، ولأنه لم يرد دليل يقيّد هذا الإطلاق، كما يجوز صومها على الفور أو التراخي[3].

ثانيا: المقيّد: ما دل على الحقيقة بقيد كقول تعالى:﴿ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ ۖ﴾[4]، القيد هو﴿ مُؤْمِنَةٍ﴾، هذا الوصف قيّدها، فلو قلت: أعتق الرقبة المؤمنة، كان هذا تخصيصا؛ لأنه إذا ورد القيد على العام فسمّه تخصيصا، وإذا ورد على مطلق فسمّه تقييدا، فإذا قلت: أعتق الرقبة المؤمنة فهذا قيد، وإذا قلت : لا تعتق رقبة كافرة، فهذا تخصيص؛ لأنّ النكرة بعد النهي للعموم، وعلى هذا يكون واردا على عام، فسمّه تخصيصا[5].

د–قاعدة حمل المطلق على المقيد:

– اتحاد المطلق والمقيد في الحكم والسبب مع الإطلاق والتقييد في الحكم:

في هذه الحالة يحمل المطلق على المقيد باتفاق الأصوليين.

ومثاله عند الأحناف: تقييد صوم كفارة اليمين بالتتابع، حيث ورد الصوم في الآية مطلقا غير مقيد بالتتابع، في قوله تعالى:﴿**فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ** أَيَّامٍ ۚ ذَٰلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ **إِذَا حَلَفْتُمْ**﴾[6] وقيد بقراءة ابن مسعود رضي الله عنه بزيادة "متتابعات" وهي قراءة مشهورة يجوز

1 – المائدة، الآية: 106.

2 – البقرة، الآية: 185.

3 – أثر القواعد الأصولية في استنباط أحكام القرآن، عبد الكريم حامدي ، ص: 206.

4 – النساء، الآية: 92.

5 – شرح الأصول من علم الأصول، العثيمين، دار ابن الجوزي، ط4، 1434، ص:328.

6 – المائدة، الآية: 89.

تقييد مطلق الكتاب بها؛ لاتحاد الحكم وهو الصيام واتحاد السبب وهو الحنث، والإطلاق والتقييد في الحكم وهو الصيام، وعليه لا يصح صوم الكفارة إلا متتابعا[1].

أما الجمهور فلم يحملوا المطلق على المقيد في هذا المثال، لأنهم لا يحتجون بالقراءة غير المتواترة[2].

3 –اتحاد المطلق والمقيد في الحكم مع الإطلاق والتقييد في السبب:

وفيه رأيان:

الأول: لا يحمل المطلق على المقيد، وبه قال الحنفية، **ومثاله:** عن ابن عمر رضي الله عنه أن رسول الله (ص) فرض زكاة الفطر من رمضان على الناس صاعا من تمر أو صاعا من شعير على كل حر وعبد ذكر أو أنثى من المسلمين[3]. فقد وردت زكاة الفطر مقيدة بأن يكون من تؤدي عنه مسلما، وهذا المثال اتحد الحكم وهو وجوب زكاة الفطر، واتحد السبب الموجب للحكم، وهو ولاية من تجب عليه النفقة، والإطلاق والتقييد في السبب[4].

الثاني: يحمل المطلق على المقيد عند الجمهور، فأوجبوا الزكاة على النفس المسلمة دون الكافرة[5] وحجتهم في ذلك التعارض الحاصل بين المطلق والمقيد

– اختلاف المطلق والمقيد في الحكم والسبب معا:

لا خلاف في أنه لا يحمل المطلق على المقيد في هذه الصورة عند الجمهور، مثاله: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا ﴾[6]، فالأيدي في هذه الآية مطلقة، أما في قوله تعالى:

1 – ينظر، المصفى في أصول الفقه، أحمد بن محمد علي الوزير، ص:644.

2 – أثر القواعد الأصولية في استنباط أحكام القرآن، عبد الكريم حامدي، ص:209.

3 – الصحيح (137/2) كتاب الزكاة، البخاري.

4 – أثر القواعد الأصولية في استنباط أحكام القرآن، عبد الكريم حامدي، ص:211.

5 – بداية المجتهد ونهاية المقتصد، ابن رشد الحفيد: ، ج1، دار الفكر، دط، دت، ص: 204.

6 – المائدة، الآية: 38.

تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ﴾[1]، فهي مقيدة بالمرفقين، لكن لا يحمل المطلق على المقيد لاختلاف الحكم واختلاف السبب.

4-اتحاد المطلق والمقيد في الحكم مع اختلاف السبب:

وفيه ثلاثة أقول:

- يحمل المطلق على المقيد إلا إذا كانت هناك علة جامعة، واحتجوا في عدم حمل المطلق على المقيد بأن الأصل في اختلاف الأسباب اختلاف الأحكام، فاتحاد الحكم لا يكفي لحمل المطلق على المقيد، بل لا بد من مراعاة الأسباب، لأن السبب علة الحكم.

- يحمل المطلق على المقيد لفظا.

- يحمل المطلق على المقيد قياسا، إذا وجد جامع مشترك بين المطلق والمقيد وإلا لا يحمل[2].

5 -اختلاف المطلق والمقيد في الحكم مع اتحاد السبب:

هذه الصورة جرى فيها الخلاف بحيث لا يحمل المطلق على المقيد، أو يحمل عليه لفظا أو قياسا، ولم يجر فيها أي خلاف عند الأحناف والحنابلة، وحكى البعض الاتفاق في هذه الصورة بعدم حمل المطلق على المقيد[3].

ومثال هذه الصورة قوله تعالى:﴿**فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ** وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ﴾ وفي آية التيمم قوله: ﴿**فامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم** ﴾ فأيدي مطلقة في التيمم مقيدة في الوضوء بقوله إِلَى ﴿إِلَى الْمَرَافِقِ﴾ فلا نحمل آية التيمم على آية الوضوء، لأن الحكم مختلف.

أما القائلون بعدم الحمل في هذه الصورة، لم يوجبوا المسح إلى المرفقين، لعدم التعارض بين النصين، فيجري المطلق على إطلاقه، والمقيد على تقييده[4].

---

1 - المائدة، الآية: 6.

2 - ينظر: أثر القواعد الأصولية في استنباط أحكام القرآن ، الكريم حامدي، ص: 212-214.

3- نفسه ، ص:216.

4 - نفسه، ص: 216.

ب-الإجمال والتفصيل:

من وسائل بناء المعنى في القرآن الكريم الاجمال والتفصيل وهو الاتيان بالفكرة العامة للمضمون حتى يتمكن الذهن من استيعاب الدلالة ثم توالي ادراج الجزئيات المكونة لها؛ وهو امر يشبه إلى حد بعيد ما تحدثت عنه فكرة الجشتلت من أن المتلقى يفهم الشكل الكلي ثم يدرج الجزئيلات في هذا الكل.

5-1 -المجمل:

أ-تعريف المجمل:

في **اللغة:** المبهم، ويطلق على المجموع، قال الفيومي:« أجملت الشيء إجمالا: جمعته من غير تفصيل»[1].

أما **اصطلاحا:** فقد عرفه الغزالي (ت505هـ): «المجمل هو اللفظ الصالح لأحد معنيين، الذي لا يتعين معناه لا بوضع في اللغة، ولا بعرف الاستعمال»[2].

وعرفه ابن شهاب الدين الشافعي بقوله: «المجمل هو قول أو فعل له دلالة غير واضحة»[3]

وهذا تعريف جامع مانع وقد سلم من الاعتراضات.

بمعنى أن المجمل لا يفهم المراد منه تفصيلا لتعدد معانيه، لذلك لا يعرف إلا ببيان، فله معنى مقصود من الشارع ولكنه خفي.

ب-أقسام المجمل: ينقسم المجمل إلى أقسام ثلاثة:

- **القسم الأول:** مجمل بين معانيه الحقيقة التي وضع اللفظ لكل منها، وذلك مثل لفظ: "**قرء**"

1 – المصباح المنير، الفيومي، تح :يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية، بيروت، ط3، 1998، ص:110.

2 – المستصفى من علم الأصول، الغزالي، ص:356.

3 – أثر الإجمال والبيان في الفقه الإسلامي، الحفناوي، دار الصفاء للطباعة والنشر، المنصورة ، ط1، 1992، ص:13.

في قوله تعالى:﴿**وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ** ۚ﴾[1]، فإنه متردد بين الطهر والحيض، ولم تقم قرينة على المراد، ولذلك اختلف الفقهاء فيه.

- **القسم الثاني:** مجمل بين أفراد حقيقة واحدة معلومة، والمراد فرد معين من أفرادها، مع عدم وجود قرينة على تعيين هذا الفرد المعين، وذلك مثل لفظ: "**بقرة**" في قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُواْ **بَقَرَةً**﴾ [2]، فإن لفظ "**بقرة**" موضوع لحقيقة واحدة، ولها أفراد والمراد واحد منها معين.
- **القسم الثالث:** مجمل بين مجازاته، وذلك إذا انتفت الحقيقة، أي: ثبت عدم إرادتها، وتكافأت المجازات، أي: لم يترجح بعضها على بعض[3].

جـ-أسباب الإجمال:

لا شك أن للإجمال أسبابا كثيرة، ذكر منها العلماء ما يلي:

- **الاشتراك اللفظي:** أي وضع اللفظ لعدة حقائق بأوضاع محتلفة مع عدم وجود قرينة تُعيّن المراد منها، من أمثلة ذلك: **قول الله تعالى:**﴿ إِلاَّ أَنْ يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَ الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ﴾[4]، فإن الذي بيده عقد النكاح موضوع: للزوج و الولي، وعليه فهو مشترك بينهما وفي **قول الله تعالى:** ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ ﴾، أي: إذا أقبل أو إذا أدبر، فهذان لا يتنافيان إذ من الممكن أن الله يقسم به حال إقباله وحال إدباره؛ لأن كلاّ منهما من آيات الله عزوجل.
- **التردد في مرجع الضمير:** إذا تقدمه أمران، أو أمور يصلح لكل واحد منها، **ومثال ذلك:**
- **التردد في مرجع الصفة:** مثل قولنا: "خالد طبيب ماهر"، فيحتمل عود "ماهر" على ذات خالد، ويحتمل أن يعود على وصفه المذكور وهو " طبيب"، ولا شك أن المعنى متفاوت باعتبار الاحتمالين، أي قد يكون ماهرا في الطب، أو أن مهارته في غير الطب.

---

1 – البقرة، الآية: 227.

2 – البقرة، الآية: 67.

3 – أثر الإجمال والبيان في الفقه الإسلامي، الحفناوي، ص: 17-18.

4 – البقرة، الآية: 237.

- **العام إذا خص بمجهول:** نحو: " **اقتلوا المشركين إلا بعضهم**"، لأن العام إذا خص بمجهول صار الباقي محتملا فكان مجملا، أو خص بمستثنى وصفة مجهولين نحو:﴿ أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الأَنْعَامِ إِلا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ ﴾[1] فإن "ما يتلى" قبل نزوله مجهول، وذلك بجعل ما أُحل من البهيمة غير معلوم فكان مجملا يحتاج إلى بيان.

أما مثال ما خص بصفة مجهولة: لفظ "محصنين" في قوله:﴿وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَاءَ ذَٰلِكُمْ أَن تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُم مُّحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ ﴾[2] ، فإن تقييد الحل بالإحصان مع الجهل بما هو الإحصان، يوجب الإجمال فيما أُحل[3].

5-2-التفصيل:

أ-تعريف التفصيل:

التفصيل لغة: تدل على تمييز الشيء عن الشيء وإبانته عنه[4]، وهذا التعريف يقترب كثيرا من المعنى الاصطلاحي الذي هو: تمييز المعاني بعضها من بعض بالبيان عما فيها[5] .

ومن خلال التعريفات المختلفة للبلاغيين والنحويين والأصوليين والمفسرين فإن مفهوم التفصيل يتداخل بكثرة مع مفاهيم متاخمة له من حيث المفهوم كالتفسير والبيان والمفسرروغيرهم.

1 - المائدة، الآية: 1.

2 - النساء، الآية: 24.

3 - ينظر: أثر الإجمال والبيان في الفقه الإسلامي، الحفناوي، ص: 20-22.

4 - مقاييس اللغة، ابن فارس: ، ج4، مؤسسة بدرا للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 1979، ص:505.

5 - الطبري: جامع الطبري، ج4، ص:180.

2-أقسام التفصيل:

فالتفصيل هو ما يرد لإزالة اختلاط المعاني المبهمة في الجمل لتبيينها للمتلقي، **وهو قسمان:**

أ -التفصيل الفرادي:

وهو عملية إيضاح ما أبهمه المجمل بالنص على إحدى محتملاته المستوعبة فيه واضح كالتمييز أو البدل، ومثاله في القرآن قوله: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ ﴾[1]، فلفظتا " سنة" و " عاما" قد وردتا تفصيلا إفراديا، لأنهما لفظتان مفردتان مفصلتان للعددين المجملين (ألف) و (خمسين).

ب -التفصيل التركيبي:

وهو تركيب لغوي في بنية الخطاب يقوم بمهمة إزالة شبهة المجمل لتوارد المعاني فيه دون ترجيح ويكون إما مصدر بأداة تفصيل وإما مجردا منها، نحو: ﴿قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا ﴾[2]. فلفظ "مددا" تمييز مفصل لمفرد مجمل قبلها "بمثله".

جـ -التفصيل بعد الإجمال:﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ ۚ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴾[3].

فعادة العرب أنهم كانوا يؤثرون الأقوياء والأشداء بالأموال، وحرمان الضعفاء، وإبقائهم عالة على أشدائهم حتى يكونوا في مقادتهم... وأخص الناس بذلك النساء فإنهن يجدن ضعفا من أنفسهن، ويخشين عار الضيعة... ولكن هذه الآية كالمقدمة جاءت بإجمال الحق والنصيب

1 – العنكبوت، الآية: 14.

2 – الكهف، الآية: 109.

3 – النساء، الآية: 7.

في الميراث، وتلاه تفصيله، لقصد تهيئة النفوس ... لتسكن النفوس إليها بالتدرج[1]، فجاءت الآيات بعدها بالتفصيل (الآيات رقم 11 وما بعدها).

3 -أهمية التفصيل بعد الإجمال:

لا يمكن فهم الخطاب القرآني بعيدا عن السياقات التي تدور حولها المعاني، وبعيدا عن فهم أسباب النزول، والناسخ والمنسوخ والمطلق والمقيد والإجمال والتفصيل..وبهذه الحيثيات يكتمل الفهم وتتضح المعاني والمقاصد، ومثال ذلك: ﴿ قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزِّينَةِ وَأَن يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى59 فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ أَتَىٰ60 قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَىٰ 61 فَتَنَازَعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ وَأَسَرُّوا النَّجْوَىٰ 62 قَالُوا إِنْ هَٰذَانِ لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَىٰ فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ ائْتُوا صَفًّا وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنِ اسْتَعْلَى ﴾ [2].

وفي سورة الأعراف يظهر كيف دعا فرعون الناس لمشاهدة الأحداث، قال ﴿قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ (109) يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ (110) قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ (111) يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ (112) وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوا إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ (113) قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ (114) قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ (115) قَالَ أَلْقُوا فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ (116) وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ (117) فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (118) فَغُلِبُوا هُنَالِكَ وَانْقَلَبُوا صَاغِرِينَ (119) وَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ ﴾ الأعراف: 109-120.

فبجمع أحداث القصة في عديد الآيات والسور يتجلى المقصد العام منها، وتتضح المعالم وتفصل ما أجمل منها.

1 - تفسير التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ج4، ص:247-249.

2 - طه، الآية : 59-64.

أ-أنواع التفصيل بعد الإجمال:

قد يأتي التفصيل لما أجمل في القرآن الكريم بعد الآية مباشرة ليوضحها، أو في السورة نفسها بعيدا عن الآية المجملة، أو في غيرها من السور، ومنها:

- **التفصيل بعد الإجمال في السورة نفسها: كقوله تبارك وتعالى:** ﴿ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴾[1] هذا إجمال لقصة الهدد مع سليمان عليه السلام، والآيات التي بعدها فيها تفصيل لهذا النبأ اليقين، **فقال تعالى:** ﴿ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ (22 انِّي وَجَدتُّ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ **(23)** ۞ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ **(24)** أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ **(25)** اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ۩ ﴾[2] إذن النبأ اليقين هو أن ملكة سبأ وقومها يعبدون الشمس من دون الله تعالى، وأنها ذات قوة وسلطة.

- **التفصيل بعد الإجمال في السورة نفسها لكنه بعيد عن موضع الأجمال:**

وهذا الفاصل من الآيات قد يكون في نفس الموضوع أو غيره، **مثل قوله تعالى:** ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ **الْكَهْفِ** وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا ﴾[3]، وهذا إجمال بليغ لقصة طويلة لأصحاب الكهف، ثم جاء التفصيل بعد الآية السادسة عشر (16)، بداية بعبادة الله ونبذ الأوثان إلى نهايتها.

- **التفصيل بعد الإجمال في سورة أخرى:**

والذي يربط هذه الآيات ببعضها من حيث تفصيل المجمل، إنما هي المعاني التي تصب في مقصد واحد، كقوله تعالى:﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنذَرِينَ **(173)** إِنَّ فِي ذَٰلِكَ

1 - النمل، الآية: 22.

2 - النمل، الآية: 22-26.

3 - الكهف، الآية: 9.

لَآيَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ **(174)** وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾[1] ، والمطر هو الماء الذي يسقط من السحاب على الأرض.. وفي قصتهم المعلومة للمشركين آية[2]، ولكن هذا المطر جاء تفصيله في سورة الحجر، في قوله تعالى:﴿ فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ(**74**) إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ﴾[3] فإذن المطر لم يكن ماء ساقطا من السماء، بل هو حجارة من سجيل، يقوا ابن عاشور: ... وقيل هو مقذوفات براكين في بلادهم أثارها زلزال الخسف[4] .

جـ-المناسبة والتناسب:

لعل التناسب من بين المباحث المتوافقة توافقا كليا مع الدراسات اللسانية النصية الحديثة للالتقائها بقضية الترتيب في المضامين من ناحية، وحديثها المباشر عن الانسحام في النص القرآني. هي العلم الذي يبحث « في العلاقات بين أجزاء النص، دون تفرقة بين ظاهر النص وباطنه أو سطحه surface texte وعلمه texte world، فالتناسب هنا يشمل الأمرين معا ».[5]

يقول أحد الباحثين في هذا الشأن: « و على ذلك يمكن القول : إن المناسبة سبيل النص إلى الانسجام، بها تستقيم الرسالة، ويعلو أثرها ويكثف إيحاؤها . ولذا نجدها تستحوذ على اهتمام المفسرين على تنوعهم واختلافهم مدارس وعصورا».[6]

وبالفعل فقد اجتهد المفسرون في البحث عن العلاقات التي تحقق التناسب، أو

1 – الشعراء، الآية: 173-175.

2 – تفسير التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور ، ج19، ص:181-182.

3 – الحجر، الآية: 74-75.

4 – تفسير التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ج19، ص181.

5 – النص والخطاب في علوم القرآن، ص: 38.

6 – النص والخطاب، ص: 43.

بالأحرى تؤكده بين الايات والسور[1]، ولعل تأكيد الباحثين العرب في مجال لسانيات النص على دور التفاسير في بحث النص الدلالة القوية على ذلك.

بل « لقد كان بمقدور " علم المناسبة "– لو أحسن الانصات إليه – أن يطور نظرا قادرا على تقديم الفروض أو المبادئ العامة التي تستوعب كثيرا من الخطابات المختلفة، قد يجادل البعض حول قدرة هذا الجهد على الارتفاع إلى تخوم النظرية الكلية، ولكن ما لاجدال حوله هو أن هذا الجهد يؤكد– قاطعا– أهمية التناسب في التداول الجمالي الخالص، وفي التداول المعيشي على سواء؛ وما كان ذلك إلا لأن التناسب مقوم نصي تحرص عليه كل رسالة لديها ما تقوله أو ما تحرص عليه كل رسالة لديها ما تقوله، أو ما تحرص على أن تقوله »[2]، قدم إذن مبحث المناسبة للدرس النصي منظومة علائقية التقى فيها الجزئي بالكلي والدلالي مع الصوتي .

1–مفهوم المناسبة:

المناسبة في اللغة: المقاربة وفلان يناسب فلانا أي: يقرب منه ويشاكله ومنه النسيب الذي هو القريب المتصل كالأخوين وابن العم[3].

أما الاصطلاح: كما قال السيوطي: « و مرجعها في الآيات ونحوها إلى معنى رابط بينها عام وخاص، عقلي أو حسي أو خيالي أو غير ذلك من أنواع العلاقات، أو التلازم الذهني، كالسبب والمسبب والعلة والمعلول والنظيرين والضدين ونحوه»[4].

وعرفها البقاعي: «علم مناسبات القرآن علم تعرف به علل ترتيب أجزائه، وهو سر البلاغة لأدائه إلى تحقيق مطابقة المعاني لما اقتضاه الحال»[5].

---

1 – النص والخطاب، ص: 42.

2 – نفسه ، ص: 80.

3 – البرهان في علوم القرآن، الزركشي، ص: 36.

4 – السيوطي: الإتقان في علوم القرآن، ص:631.

5 – البقاعي: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ج1، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، دط، دت، ص6.

تلاحظ من التعريفات السابقة للمناسبة أمورا هي:

أ-الاتصال الوثيق بين التناسب والبلاغة، إذ هو سر البلاغة كما ذكر البقاعي.

ب-إن علم التناسب ينظر إلى "النظام" أي الرابط بين أجزاء السورة جميعها، بل يمتد إلى القرآن كله، ومن تمام بلاغة القرآن أن يُتعامل معه باعتباره وحدة واحدة.

2-فائدة علم المناسبة:

ذكر صاحب البرهان أن فائدة المناسبة جعل أجزاء الكلام بعضها آخذا بأعناق بعض فيقوى بذلك الارتباط، ويصير التأليف حاله حال البناء المحكم المتلائم الأجزاء.

وقد علق السيوطي على هذا الكلام فقال:" فنقول: ذِكر الآية بعد الأخرى:

إما أن يكون ظاهر الارتباط، لتعلق الكلم بعضه ببعض وعدم تمامه بالأولى، فواضح. وكذلك إذا كانت الثانية للأولى على وجه التأكيد أو التفسير أو الاعتراض أو البدل، وهذا القسم لا كلام فيه.

وإما ألا يظهر الارتباط، بل يظهر أن كل جملة مستقلة عن الأخرى، وأنها خلاف النوع المبدوء به أو أن تكون معطوفة على الأولى بحرف من حروف العطف المشرِّكة في الحكم أو لا، فإن **كانت معطوفة:** فلا بد أن يكون بينهما جهة جامعة، على ما سبق تقسيمه، كقوله تعالى: ﴿ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ﴾[1]، للتضاد بين الولوج والخروج والنزول والعروج، وشبه التضاد بين السماء والأرض، فإن **لم تكن معطوفة:** فلا بد من دعامة تؤذن باتصال الكلام؛ وهي قرائن معنوية تؤذن بالربط[2].

1 - الحديد، الآية: 4.

2 - الإتقان في علوم القرآن، السيوطي، ص:631.

3-المزج اللفظي والمعنوي:

3-1-المزج اللفظي:

وهي التي تكون معطوفة وبينهما جهة جامعة، **فمثلا** قد تأتي الجملة معطوفة على ما قبلها ويشكل وجه الارتباط، فتحتاج إلى شرح ونذكر من ذلك صورا يلتحق بها ما هو في معناها، فمنها قوله تعالى:﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا ﴾[1]

قد يقال: أي ارتباط بين أحكام الأهلة وبين حكم إتيان البيوت؟ والجواب من وجوه:

أحدها: كأنه قيل لهم عند سؤالهم عن الحكمة في تمام الأهلة ونقصانها معلوم أن كل ما يفعله الله فيه حكمة ظاهرة ومصلحة لعباده، فدعوا السؤال عنه وانظروا في واحدة تفعلونها أنتم مما ليس من البر في شيء وأنتم تحسبونها برا.

الثاني: أنه من باب الاستطراد أنها مواقيت للحج وكان هذا من أفعالهم في الحج، ففي الحديث الصحيح: «أن ناسا من الأنصار كانوا إذا أحرموا لم يدخل أحد منهم حائطا ولا دارا ولا فسطاطا من باب، فإذا كان من أهل المدر نقب نقبا في ظهر بيته منه يخل ويخرج، أو يتخذ سلما يصعد به وإن كان من أهل الوبر خرج من خلف الخباء، فقيل لهم ليس البر بتحرجكم من دخول الباب، لكن البر بر من اتقى ما حرم الله...»[2].

الثالث: أنه من قبيل التمثيل لما هم عليه من تعكيسهم في سؤالهم، وأن مثلهم كمثل من يترك بابا ويدخل من ظهر البيت، فقيل لهم: ليس البر ما أنتم عليه من تعكيس الأسئلة، ولكن البر من اتقى[3].

وبهذا يظهر اشتمال القرآن العظيم على النوع المسمى **بالتخلص**، ومن أمثله: قوله تعالى:﴿ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ **(17)** وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ**(18)** وَإِلَى

1 – البقرة، الآية: 189.

2 – الصحيح، البخاري، (1803).

3 – ينظر: البرهان في علوم القرآن، الزركشي، ص:40-41.

الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ(**19**) وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴾ [1]، فإنه يقال: ما وجه الجمع بين الإبل والسماء والجبال والأرض، في هذه الآية. والجواب:

أنه جمع بينهما على مجرى الإلف والعادة بالنسبة لأهل الوبر، فإن كل انتفاعهم في معايشهم من الإبل، فتكون عنايتهم مصروفة إليها ولا يحصل إلا بأن ترعى وتشرب، وذلك المطر وهو سبب تقلب وجوههم في السماء، ثم لا بد من مأوى يؤويهم وحصن يتخصنون بهن ولا شيء في ذلك كالجبال، ثم لا غنى لهم لتعذر طول مكثهم في منزل عن التنقل من أرض إلأى سواها، فإذا نظر البدوي في خياله وجد صورة هذه الأشياء حاضرة فيه على الترتيب المذكور[2].

3-2-المزج المعنوي:

للمزج المعنوي أسباب وهي التالية:

أ-**التنظير***: فإن إلحاق النظير بنظيره من شأن العقلاء، **كقوله:** ﴿ كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِن بَيْتِكَ بِالْحَقِّ﴾ [3]**عقب قوله:** ﴿ **أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا** ﴾ [4]فإنه تعالى أمر رسوله أن يمضي لأمره في الغنائم على كره من الصحابة، كما مضى أمره في خروجه من بيته لطلب العير أو للقتال وهم كارهون، إذن فهو تنبيه حال بحال، وهو متصل بما قبله، هذا الحال كحال ما أخرجك ربك من بيتك بالحق، ووجه الشبه هو كراهية المؤمنين في بادئ الأمر لما هو وخير لهم في الواقع[5].

---

1 – الغاشية، الآية : ص 17-20.

2 – ينظر: البرهان في علوم القرآن، الزركشي، ، ص: 43-44.

* – هو مطابقة بين شيئين فأكثر، وبين ما يخالف وما يوافق.

3 – الأنفال، الآية :5.

4 – الأنفال، الآية:74 .

5 – تفسير التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ج9، ص264-265.

ب-المضادة: كقوله تعالى:﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾[1]، فإن أول السورة كان حديثا عن القرآن، وأن من شأنه الهداية للقوم الموصوفين بالإيمان، فلما أكمل وصف المؤمنين عقّب بحديث الكافرين؛ فبينهما جامع وهمي بالتضاد من هذا الوجه، وحكمته التشويق والثبوت على الأول، كما قيل: وبضدها تتبين الأشياء.

فإن قيل: هذا جامع بعيد؛ لأن كونه حديثا عن المؤمنين بالعَرَض لا بالذات، والمقصود بالذات، الذي هو مساق الكلام إنما هو الحديث عن القرآن، لأنه مفتتح القول.

قيل: لا يشترط في الجامع ذلك، بل يكفي التعلق على أيّ وجه كان، ويكفي في وجه الربط ما ذكرنا؛ لأن القصد تأكيد أمر القرآن والعمل به.

الاستطراد: نحو:﴿ يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ذَٰلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴾[2]، "وهذه الآية واردة على سبيل الاستطراد عقيب ذكر بدو السوآت، وخصف الورق عليها، إظهار للمنة فيما خلق من اللباس، ولما في العري وكشف العورة من المهانة والفضيحة، وإشعارا بأن التستر باب عظيم من أبواب التقوى"[3].

ويقرب من الاستطراد – حتى لا يكادان يفترقان- حسن التخلص*، وقد ذكرت مثالا على ذلك في الصفحة السابقة، ويقرب من حسن التخلص، **الانتقال من حديث إلى آخر** تنشيطا للسامع مفصولا بهذا، كقوله تعالى: ﴿ هَٰذَا ذِكْرٌ ۚ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ ﴾ [4]، فإن هذا القرآن نوع من الذكر، لما انتهى من ذكر الأنبياء وهو نوع من التنزيل أراد أن يذكر نوعا آخر وهو ذكر الجنة وأهلها، فقال: ﴿ هَٰذَا ذِكْرٌ ۚ ﴾ فأكد تلك الإخبارات باسم الإشارة، ثم

---

1 – البقرة، الآية:6.

2 – الأعراف، الآية: 26.

3 – الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، الزمخشري ، تح: عادل أحمد عبد الجواد و علي محمد عوض ، ج2، مكتبة العبيكان، الرياض، ط1، 1998، ص:435.

* – التخلص: هو أن ينتقل مما ابتدئ به الكلام إلى المقصود على وجه سهل يختلسه اختلاسا، دقيق المعنى؛ بحيث لا يشعر السامع بالانتقال من المعنى الأول إلا وقد وقع عليه الثاني، لشدة الالتئام بينهما. يرجع: السيوطي: الإتقان في علوم القرآن، ص:632.

4 – ص، الآية: 49.

لما فرغ قال: ﴿هَٰذَا ۚ وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ لَشَرَّ مَآبٍ ﴾[1] ، فذكر النار وأهلها[2]، قال **ابن الأثير**: " هذا في هذا المقام من الفصل الذي هو أحسن من الوصل، وهي علاقة أكيدة بين الخروج من كلام إلى آخر.

وقد ذكر السيوطي قاعدة مهمة فقال: «قال بعض المتأخرين: الأمر الكلي المفيد لعرفان مناسبات الآيات في جميع القرآن هو : أن تنظر إلى الغرض الذي سِيقت له السورة، وتنظر ما يحتاج إليه ذلك الغرض من المقدمات، وتنظر إلى مراتب تلك المقدمات في القرب والبعد من المطلوب وتنظر عند انجرار الكلام في المقدمات إلى ما يستتبعه من استشراف نفس السامع إلى الأحكام أو اللزوم التابعة له، التي تقتضي البلاغة شفاء الغليل بدفع عناء الاستشراف إلى الوقوف عليها، فهذا هو الأمر الكلي المهيمن على حكم الربط بين جميع أجزاء القـرآن، فإذا عقلــته تبين لك وجه النظم مفصلا بين كل آية وآية في كل سورة، وسورة»[3].

4-أنواع المناسبات:

أ-في السورة الواحدة:

يوجد بين آيات السورة الواحدة من التناسق والانسجام ما يوحي بوجود علاقة مناسبة بينها وكذا وجود التعالق بين آيّ السورة فيما يتعلق بوجوه الارتباط، كذكر آيات الرحمة بعد آيات العذاب، وآيات الترغيب بعد آيات الترهيب، ومثال ذلك قول الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا **فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا** كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ **الْآيَاتِ** لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ .[4]

1 – ص، الآية: 55.

2 – البرهان في علوم القرآن، الزركشي: ، ص: 48.

3 – الإتقان في علوم القرآن السيوطي، ص:633-634.

4 – يونس، الآية: 24.

هذه الآيات تحدثت عن الحياة الدنيا في سرعة زوالها وفنائها بعد أن حذر الغافلين عن الميل إلى الدنيا والتمسك بها بما ضرب لهم من المثل في الآية، فناسب أن يذكر في الآيات التي جاءت بعدها مباشرة الحديث عن الآخرة والترغيب لها بوصف حال المحسنين والمسيئين فيها[1]، وهذه الآيات التي بعدها هي قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَىٰ دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ 25 **لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا** الْحُسْنى وَزِيادَةٌ وَلا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلا ذِلَّةٌ أُولئِكَ أَصْحابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيها خالِدُونَ﴾[2]

ب -**المناسبة بين فاتحة السورة وخاتمتها:**

جاء في بداية سورة يونس قوله تعالى:﴿ الر ۚ تِلْكَ **آيَاتُ** الْكِتَابِ الْحَكِيمِ **(1)** أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ ۗ قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَٰذَا لَسَاحِرٌ مُّبِينٌ ﴾[3].

وجاء في ختامها قوله:﴿قُلْ يا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جاءَكُمُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنِ اهْتَدى فَإِنَّما يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّما يَضِلُّ عَلَيْها وَما أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ ﴾[4].

في بداية السورة ذكر الإنذار والتبشير وكلامهما مقصود لأهله، وفي الخاتمة ذكرهم بجزاء من اهتدى ومن ضل لأن النبي (ص) جاءهم بالحق.

ففي البداية وعظ وفي النهاية تذكير ختمه بأمره (ص) بما يفعله في نفسه أجابوا أو لم يجيبوا[5]، وهكذا كما الشيخ صاحب التحرير والتنوير: "يتناسب البدء والختام في الإنذار للمشركين والتبشير للمؤمنين، وإنكار الشرك وإثبات رسالته (ص)".

1 – التحرير والتنوير: الطاهر بن عاشور ، ج11، ص:87.

2 – يونس، الآية: 25–26.

3 – يونس، الآية: 1–2.

4 – يونس، الآية: 108.

5 – نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، البقاعي، ج9، ص:220.

ب-بين السور:

- **المناسبة بين أول السورة وخاتمة ما قبلها:**

ومثال ذلك مابين أول سورة البقرة وخاتمة الفاتحة: يقول البقاعي: " وأما مناسبة ما بعد الفاتحة فهو أنه لما أخبر سبحانه وتعالى أن عباده المخلصين سألوا في الفاتحة هداية الصراط المستقيم الذي هو غير طريق الهالكين، أرشدهم في أول التي تليها إلى أن الهدى المسؤول إنما هو في هذا الكتاب، وبين لهم صفات الفريقين الممنوحين بالهداية حثا على التخلق بها والممنوعين منها زجرا عن قربها، فكان ذلك من أعظم المناسبات لتعقيب الفاتحة بالبقرة[1].

مثال آخر: قوله تعالى:﴿ **فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ** ﴾ يوجد مناسبة بين الختام سورة الفيل وبداية سورة قريش، قال تعالى: ﴿ **لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ** ﴾ قال الأخفش: اتصالها بها من باب: قول الله تعالى:

﴿ فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ﴾[2]

- **مناسبة مضمون كل سورة لما قبلها:**

مثل ما يذكر بين سورتي البقرة وآل عمران: فسورة البقرة ذكرت الطوائف الثلاث والتي جاءت مجملة في سورة الفاتحة وهم: المنعم عليها، والمغضوب عليهم والضالون، وسورة البقرة ذكرت بشيء من التفصيل الطائفتين الأوليتين، وأما الطائفة الثالثة فجاء ذكر تفاصيلها في سورة آل عمران، فوافق شرح ما في الفاتحة ما جاء في البقرة وأكملتها آل عمران.

1 – التحرير والتنوير: الطاهر بن عاشور ، ج11، ص77.

2 – القصص، الآية: 8.

الفصل الخامس

البنى الكبرى والصغرى للنص القرآني

أولا– البنية الكبرى للنص القرآني

ثانيا– البنية الكبرى وتوحيد الألوهية

ثالثا– البنى الصغرى في النص القرآني

أولا- البنية الكبرى للنص القرآني:

لقد سبق وأن أشرنا إلى أن سعى اللسانيين النصيين إلى تجاوز عتبة الجملة كان نقلة نوعية وواسعة نحو تفسير وتقعيد أفضل لعمل اللغة باتفاق المحدثين على اختلافهم فعرفوا النص تأسيسا على ذلك بأنه «محكوم بوحدة كلية واضحة، بحيث يتألف من صيغ وجمل متراصة منسجمة ومتوالية»[1]، ولا شك أن هذا التجاوز عمل مهم في التفكير على مستوى إدراك الظاهر اللسانية في علاقاتها الصحيحة بالإدراك البشري، الذي يتصرف وفق مخططات تضمن له الحفاظ على المعلومات في الذاكرة وفق مبدأ الجزء والكل.

هذا الأمر سبب في تطوير نظري من رؤية الأجزاء في إطارها الكلي الشامل، وهذا لن يكون دون أن تبحث العلاقات بين الأجزاء المختلفة، أي أن تكون العلاقات بين الوحدات المختلفة للنص هي مناط البحث، وعند هذه النقطة نكون ضمن فلسفة الادراك الشمولي الجشطلت، التي تؤكد أن الكل ليس فقط حصيلة الأجزاء، لكنه ينطوي على ما في الأجزاء وزيادة[2]، وعلى هذا فلا يكفي أن نتوقف إزاء ما في النص من مفردات وجمل « فالوقوف عند هذه الوحدات بمستواها اللغوي الصرف لن يسهم في الكشف عن الخواص النوعية البنيوية المميزة للنص».[3]

اصبحت بذلك الأجزاء التي تملك بنية كلية تتلاحم في اطارها أو ما سمي بنية كبرى أو ما يمكن الاصطلاح عليها بمصطلح نص من الوجهة النظرية لعلم النص[4].

وعليه فإن «كل نص لا بد أن يتضمن بنية شاملة تؤطر مفاتيح النص ومغاليقه وتحدد

---

[1] – مصطلحا الخطاب والنص ، الدلالة في الثقافة العربية، فاتح ازيوان، مجلة كتلبات معاصرة ع70، مجاد 18، بيروت 2008، ص: 97.

[2] – الكتاب ص: 19.

[3] – بلاغة الخطاب وعلم النص، صلاح فضل ، سلسلة عالم المعرفة ، الكويت أغسطس، 1992، ص:253.

[4] – نفسه، ص: 256.

المستوى الأول والأخير له»[1] لأن النص الفاقد للبنية هو في الأصل نص رخو ومتكسر، ووظيفة البنية تكمن بالدرجة الأولى في قتل رخاوة النص والحد من مياعته، وشد مفاصله وجبر وحداته وذلك لتؤسس الهيكل الستاتيكي للنص، ولا تقتصر البنية الكبرى على ذلك، إذ أن البنية تمتلك طاقة تفسيرية للموضوع المعطى وتتيح لنا أن نفهم شمولية الظاهرة الابداعية التي يعبر عنها وبها الكاتب لأنها تلعب دورا رئيسيا في المعالجة الإدراكية للنص، إن البنية الكبرى تأخذ حيزا هاما لها في ذاكرة القارئ، فالتفاصيل تهمل والجزئيات تنسى والبنية الكبرى وحدها تقاوم النسيان . [2]

كما يتضمن النص عدة بنى، وفي هذه الحالة نضطر إلى فرز للبنى فتتكشف كتلتان، واحدة خارجية شمولية إطارية تمثل البنية الكبرى وأخرى داخلية تمثل البنى الصغرى[3] تمتاز البنية الكبرى منها بالشمولية وبنسبة التحكم في نسيج النص، أما الصغرى فتمتاز بطابعها المحدود وبنسبة تحكمها في بعض المتتاليات النصية[4]

لكن البنية الكبرى سواء كانت هناك بنى صغرى أم لا، تمتاز بطبيعة شمولية وبطابع كلي وبأبعاد إطارية[5] وهي بنية دلالية، ولا تختلف البنية الكبرى عن البنى الصغرى من الناحية الشكلية فهي تتكون أساسا من قضايا، ومن ثم فإن مفهوم البنية الكبرى مفهوم نسبي، فهو يميز بنية ذات طبيعة عامة بالنظر إلى أبنية خاصة على مستوى آخر[6]

ومن هذا الأساس يمكن أن ينتقل التحليل من مستوى تحليل المقاطع الجملية إلى مستوى أعم وأشمل ترتيبا ونظما هو مستوى البنيات الشاملة، وموضوع النص هو ما اصطلح على

---

[1] – بنية النص الكبرى، صبحي الطعان، مجلة عالم الفكر ، ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، دولة الكويت ، مج 23 العددان الأول والثاني 1994، ص: 436.

[2] – نفسه، ص: 439.

[3] – نفسه ، ص: 436.

[4] –نفسه، ص: 436.

[5] – نفسه، ص: 437.

[6] – أنظر: علم النص فان دايك، ص : 75.

تسميته بالموضوعة أو التيمة والمفهوم النظري الذي يستخدم لوصف هذا المعنى الشامل هو مفهوم البنية الكبرى وتحمل هذه الأخيرة الدلالة الشاملة للنص.[1]

ويرى فان ديك أن مستخدمي اللغة في استطاعتهم أن يستنبطوا تيمات النص أو يقدموا اختصارات له بناء على قواعد عرفية هي القواعد الكبرى وتتمثل هذه القواعد الكبرى في الحذف والاختيار والتعميم والتركيب أو الادماج.[2]

ولذلك فالقواعد الكبرى السابقة تميز ما هو رئيسي وما هو ثانوي في النص، وترتبط بمفهوم الإطار، وفي الكثير من الأحيان يتفق القراء حول أهم ثيمات النص، لكن قد يختلفون حول نص ما، نظرا لأن لكل قارئ في كل فترة معارف وآراء، ومواقف واهتمامات ومهام وأهداف.[3]

ولهذا فالدور الأساس للبنية الكبرى في النص هو تحقيق الانسجام الكلي على مستوى الدلالة ويظهر ذلك بجلاء في رد فعل القارئ أو المستمع وعدم قبوله للنص الذي يفتقر إلى بنية كلية تجمع شتاته، وتوحد مقاطعه.

ولعل هذا الأمر جعل لسانيات النص تهتم بكيفية فهم النص، وتأويله وكيفية اختزان المعلومات النصية في الذاكرة، وكيفية ربط المتلقي بين قضايا النص والإدراك الاجتماعي.

ويولي فان ديك اهتماما كبيرا بالجانب الدلالي والبنية الكبرى، لأنها تبرز عددا ضخما من السمات النصية، كما أن الكلمات لا تظهر وظائفها، بشكل جلي إلا من خلال العلاقات الدلالية الخاصة بمركب ما.[4]

وعليه من أجل ربط المعلومات بعضها ببعض، لا بد من إيجاد قضية كبرى أو عدة قضايا تتماسك دلاليا مما يحقق انسجامها في بنية واحدة أن « جملة المعنى بالنسبة للمفهوم تدرك

---

[1] – فان دايك وعلم النص، عبد القادر بوزيدة ، مجلة اللغة والأدب ،ع11، الجزائر ، ماي 1997، ص: 23.

[2] – نفسه، ص:80-81.

[3] – نفسه، ص: 94.

[4] – علم النص مدخل متداخل التخصصات، فان دايك، ترجمة حسن يعيد بحيري، ص: 46.

بالوقوف عند مركز ضبطه في شبكة ما، ثم النظر إلى خارج المركز على طول ارتباطاته العلائقية في هذه المساحة المعلومية ».[1]

ولما كان تحليل المعنى إلى وحدات صغرى لا يخلو من نقائص وتناول المعنى من وجهة السمات لن يحل حلا سريعا لذلك سيكون من المفيد النظر إلى الاتجاه المعاكس: فبدل الاعتماد على التجزئة يكون الاهتمام بالانسجام[2] والانسجام كما سبق لا يمكن أن يكون مظهرا واحد للنص بل مجموعة من المظاهر في البنية اللغوية[3]

فالانسجام لا يتوقف عند حدود المستوى الدلالي بل يتجلى في جميع مستويات اللغة الصوتي والصرفي والتركيبي والدلالي، لسانيات النص تقوم على تحليل كل المستويات دون الفصل بينها.

أ –البنية الكبرى وانسجام النص القرآني:

لا تكتمل ملامح المستوى الدلالي للنص القرآني إلا بالتوقف عند البنية الكبرى للقرآن، الأمر الذي يكشف عن مفهوم نصي غاية في التطور، فالقرآن ينظر إليه بوصفه نصا كاملا، لأنه كما ينهض على بعد لغوي ظاهر، ينهض على بعد معنوي باطن مما يثبت له انسجامه الكلي.

فوجب بذلك استيعاب النسق القرآني جملة، وليس فقط الوقوف على الجزئيات فيما عساها أن تحمل من محتوى معنوي، فهناك علاقات لا يمكن أن تكتشف إلا من خلال المعنى الكلي من خلال أنماط التجاور والتقابل وعبر الانتقال بين مواضع ومواضع، أو من خلال متابعة إيقاعات النص في حركاته. فبقدر استيعاب النظرة الكلية وبقدر التمكن من جوهر الوحدة التي ينطوي عليها النظم القرآني، في معناه ومقصده وليس فقط في شكله وبنيانه، بقدر ما يأتي الفهم للقرآن وافيا نافذا شاملا، يحمل دلالات توجيهية عملية.

---

[1] – علم النص مدخل متداخل التخصصات، فان دايك ، ص: 184.

[2] – النص والخطاب والاجراء، دي بوجراند ، ص: 179.

[3] – نفسه، ص: 96 .

ومن غير شك تنطلق الدراسات الاسلامية حول القرآن، ليس فقط من التسليم بانسجام آياته وتناغم سوره أو افتراض ذلك، ولكنها تؤمن بذلك وتعتقده، وإذا كان انسجام نص ما ينهض – ضرورة – على منظومة من العلاقات المفهومية التي يمكن ادراكها بين جزئياته وكلياته، فمن الضروري – ونحن إزاء نص معجز في الأساس بنظمه – أن يكون كل دال فيه منسجما مع ما يجاوره مناسبا له، بما يفضي إلى تناسب كل سورة في ذاتها أولا وفي موقعها الذي حددته علاقتها بالسورة التي تسبقها والتي تعقبها ثانيا، هذا يعني أننا إزاء بناء متكامل متناسب الوحدات متناغمها؛ الأول فيه ما كان يجب أن يكون أولا، وهذا الفرض يشمل كافة العناصر والوحدات التي يضمها النص، وهو ما يؤول إلى بنية كلية، مشدود أولها إلى آخرها، ومردود آخرها على أولها.[1]

والانطلاق من وحدة النص القرآني الكريم مصدرا وموضوعا، والقول بتماسك النص الكريم وانسجام مضمونه وفقا لمراد الله الذي تعهده بالحفظ على هذا النحو الذي ترتبت فيه الآيات والسور؛ الترتيب الذي اقتضى تماسك كل دال مع ما يليه وما يسبقه من دوال يؤكده السيوطي في قوله: «فإذا ترتبت اللفظة من القرآن علم بإحاطته أي لفظة تصلح أن تلي وتبين المعنى بعد المعنى؛ ثم كذلك من أول القرآن إلى آخره».[2]

ويذهب الزرقاني في الاتجاه نفسه عندما قال: «أن القرآن الكريم تقرأه من أوله إلى آخره فإذا هو محكم السرد، دقيق السبك، متين الأسلوب، قوي الاتصال، آخذ بعصه برقاب بعض في سوره وآياته وجمله، يجري دم الاعجاز فيه كله من ألفه إلى يائه كأنه سبيكة واحدة، ولا يكاد يوجد بين أجزائه تفكك ولا تخاذل، كأنه حلقة مفرغة أو كأنه سمط وحيد، وعقد فريد، يأخذ بالأبصار: نظمت حروفه وكلماته، ونسقت جمله وآياته، وجاء آخره مساوقا لأوله وبدا أوله مواتيا لآخره».[3]

---

[1] – الكتاب، ص: 29.

[2] – معترك الأقران، ص: 28.

[3] – مناهل العرفان في علوم القرآن، الزرقاني ، ج1، ص: 35.

ولما كان الادراك الكلي هو الذي جعل المتلقي يدرك البنية الكلية للنص من خلال العلاقات التي تشكل النص وتؤكد انسجام عالمه وتماسك أجزائه في إطار هذه البنية، لا سيما، إذا تعلق الأمر بنص عقدي تعبدي من لوازمه القراءة والتأمل ومن خصائصه الكونية والانسجام مع الكون يناسب بعضه البعض الأخر يقول السيوطي في هذا الشأن : «الأمر الكلي المفيد لعرفان مناسبة الآيات في جميع القرآن هو أنك تنظر إلى الغرض الذي سيقت له السورة، وتنظر ما يحتاج إليه الغرض من المقدمات، وتنظر إلى مراتب تلك المقدمات في القرب والبعد من المطلوب، وتنظر عند انجرار الكلام في مقدمات إلى ما تستتبعه من استشراف نفس السامع إلى الاحكام واللوازم التابعة له التي تقتضي البلاغة شفاء الغليل بدفع عناء الاستشراف إلى الوقوف عليها ؛ فهذا الأمر الكلي المعين على حكم الربط بين جميع أجزاء القرآن، فإذا فعلته بين لك وجه النظم مفصلا بين آية وآية في كل سورة وسورة »[1]

يقول عبد الله دراز عن انسجام القرءان المجيد : «أجل إنك لتقرأ السورة الطويلة المنجمة يحسبها الجاهل أضغاثا من المعاني حشيت حشوا، وأوزاعا من المباني جمعت عفوا؛ فإذا هي لو تدبرت بنية متماسكة قد بنيت من المقاصد الكلية على أسس وأصول، وأقيم على كل فصل منها شعب وفصول، وامتد من كل شعبة منها فروع تقصر أو تطول: فلا تزال تنتقل بين أجزائها كما تنتقل بين حجرات وأفنية في بنيان واحد قد وضع رسمه مرة واحدة: لا تحس بشيء من تناكر الأوضاع في التقسيم والتنسيق، ولا بشيء من الانفصال في الخروج من طريق إلى طريق؛ بل ترى بين الأجناس المختلفة تمام الألفة، كما ترى بين آحاد الجنس الواحد نهاية التضام والالتحام. كل ذلك بغير تكلف ولا استعانة بأمر من خارج المعاني أنفسها، وإنما هو حسن السياقة ولطف التمهيد في مطلع كل غرض ومقطعه و أثناءه، يريك المنفصل متصلا، والمختلف مؤتلفا.

[1] – معترك الأقران في إعجاز القرآن، السيوطي، تحقيق محمد علي البجاوي، دار الفكر العربي، القاهرة، ط1، 1972، ص: 62.

ولماذا نقول إن هذه المعاني تنتسق في السورة كما تنتسق الحجرات في البنيان؟ لا. بل إنها لتلتحم فيها كما تلتحم الأعضاء في جسم الإنسان: فبين كل قطعة وجارتها رباط موضعي من أنفسهما، كما يلتقي العظمان عند المفصل ومن فوقهما تمتد شبكة من الوشائج تحيط بهما عن كثب، كما يشتبك العضوان بالشرايين والعروق والأعصاب؛ ومن وراء ذلك كله يسري في جملة السورة اتجاه معين، وتؤدي بمجموعها غرضا خاصا، كما يأخذ الجسم قواما واحدا، ويتعاون بجملته على أداء غرض واحد، مع اختلاف وظائفه العضوية»[1]. فما قيل عن السورة الواحدة يقال عن القرءان الكريم جملة. و«هذه الوحدة العضوية في القرءان المجيد، والتي تشكل أحد أهم وجوه الإعجاز فيه، تفتح المجال أمام القراءة المنهجية للآيات/البصائر صعدا نحو ما آلات معرفية لا حصر لها»[2]. «إن القرءان المجيد في اتساق وحدته البنائية يحقق للبشرية وحدة معرفية تلملم شتات الإنسان المعرفي، وتوحد بين زوايا إدراكه، بما يشبه إكسابه جهاز تنسيق معرفي يمكنه من الخروج من التفرع الإدراكي ومرحلة الشركاء المتشاكسين إلى صيرورته سلما لله رب العالمين. فيطفق في السير سويا على صراط مستقيم»[3].

وهذا الترابط هو ما يعبر عنه بالنظم/النسق أو الوحدة البنائية أو الترتيل، يقول أحمد عبادي: «إن من لم يدرك بنائية القرءان ووحدة ألفاظه العضوية، يمكن أن يقع في تعضية وتمزيع خطيرين بإدخاله فيه من خارجه مدلولات ألفاظ لا تمت (أي المدلولات) إليه بصلة، مما من شأنه أن يحول دون الاستهداء به نحو التي هي أقوم. إن الترتيل وحده هو الذي

[1]- عبد الله دراز، ص: 115.

[2]- مفهوم الترتيل في القرءان الكريم النظرية والمنهج، أحمد عبادي. رسالة دكتوراه، السنة الجامعية 1422-1423هـ/2001-2002م، جامعة القاضي عياض كلية الآداب والعلوم الإنسانية، مراكش، ص: 43-44.

[3]- نفسه، ص: 52.

يمكن من ربط المفردات ببعضها، ومن اختبار ما فهمناه منها بفتنته على نور الآيات، عن طريق السير في القرءان وفي الآفاق»[1].

تقول فريدة زمرد عن كلمات القرآن هذا الاطار نفسه : «قد يكون من الغلو الزعم بأن جدوى الدراسة المصطلحية لا تظهر حقا إلا بإعمالها في مجال النص القرآني، ولكنها حقيقة يؤكدها هذا النص الكريم الذي تميز –من بين ما تميز به– "بنسقية" مصطلحاته و"سياقية" نصوصه، واشتماله على "نظام مفهومي" متناسق الأطراف مترابط العرى متكامل الفصول، وليس يبين عن عرى هذا النظام سوى الدرس المصطلحي الذي يكشف ما يكتنف كل مصطلح ولفظ ومفهوم من دلالة، وما يعتريه من مميزات وصفات، وما يربطه من علاقات، وما ينشأ عنه من ضمائم وتركيبات، وما يتعلق به من قضايا ومستفادات»[2].

« ذلكم أن الكلام هو مرآة المعاني، فإن اتسق واتحد وترابطت أجزاؤه، وتلاحمت أفراده، وأحكم سرده : صفت معانيه وانجلت، وإلا يكن الكلام كذلك فإن المعنى حتما سيتبدد وتتفرق أجزاؤه كما تتبدد الصورة على المرآة المشروخة».[3]

لعل هذه النصوص السابقة في مجال كون القرآن بنية كلية شاملة بين آيه وسوره التحام وانسجام ينطبق على فكرة البنية الكلية التي عرفتها لسانيات النص لا سيما في أعمال توين فان ديك، ولما كانت فكرة البنى تهتم بالدلالة والمضامين داخل النصوص فإن أهم الوسائل التي يمكن بها تناول فكرة البنية الكبرى في النص القرآني هو رصد الفكرة أو الأفكار الأساسية التي يدور حولها هذا النص الكريم.

[1]– مفهوم الترتيل، ص: 68.

[2]– مفهوم التأويل في القرآن والحديث الشريف، سلسلة الرسائل الجامعية (2)، معهد الدراسات المصطلحية كلية الآداب ظهر المهراز، فاس، ط 1، أكتوبر 2001، ص: 78.

[3] – فهد بن عبد الرحمان بن سايمان الرومي، خصائص القرآن الكريم، مكتبة العبيكان ، الرياض ، ط9، 1999، ص: 39.

الثيمات الأساسية في النص القرآني: لعل الموضوعات الاساسية التي يمكن ملاحظتها في النص الكريم متعلقة بعلاقة الانسان بالخالق وعلاقة الانسان بالإنسان، ولكن الموضوع الكبير الذي يقوم عليه النص القرآني هو التوحيد، وبانتفائه يكون بداية الفساد عند الانسان.

ثانيا –البنية الكبرى توحيد الألوهية:

القرآن الكريم كله يدل على عظمة التوحيد وحقارة الشرك، بل لو قال قائل: ما نزل هذا الكتاب إلا من أجل إعلام الناس بعظمة التوحيد والترغيب فيه، والإقلاع عن الشرك والترهيب منه ما كان بعيدا عن الحقيقة، ولما التوحيد الفكرة الاساس في كتاب الله فإن بنية الخطاب ستكون متجمعة حول هذا الموضوع في جميع سور القرآن وما عداه من الموضوعات تكون بنى جزئية مترابطة في علاقات منطقية به.

وقد فصَّل القرآن الكريم التوحيد في دقة متناهية في أغلب سوره؛ بل نزلت بعض السور لتتحدث فقط عن التوحيد، مما يدل على أهميته ولهذا قال الشيخ حماد الأنصاري في رسائله المختارة: «و هذا إن دلَّ على شيء فإنما يدل على أهمية التوحيد؛ لأن الله عز وجل أنزل في هذا التوحيد؛ في كل نوع منه سورة كاملة، وهذا لم يكن في الأحكام أبداً، ولا في الفروع». [1]

ومما نقل عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال: لما بعث النبي (ص) معاذاً إلى نحو أهل اليمن قال له: «إنك تقدمُ على قوم من أهل الكتاب فليكن "أولَ" ما تدعوهم إلى أن يُوحدوا الله تعالى فإذا عرفوا ذلك فأخبرهم أن الله فرض عليهم خمس صلوات في يومهم وليلتهم ... الخ» [2]، وفي رواية: «ادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله فإن هم أطاعوا لذلك فاعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات ... الخ» [3]، وقد بوّب الإمام البخاري حديث معاذ بقوله: باب ما جاء في دعاء النبي(ص) أمته إلى توحيد الله تبارك وتعالى. [4]

1– رسائل في العقيدة، حماد بن محمد الأنصاري ، ط1 ، سنة 1424هـ ، مكتبة الفرقان ، ص: 18 .

2– الصحيح (347/13/ح 7372/فتح) كتاب التوحيد، باب الدعاء إلى التوحيد، البخاري .

3– الصحيح (261/3/ح 395/فتح) كتاب الزكاة، البخاري .

4– أنظر : فتح الباري ، 347/13 .

كما جاء في رواية الإمام البخاري: « سيد الاستغفار : اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت خلقتني وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أبوء لك بنعمتك عليّ وأبوء لك بذنبي، فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت أعوذ بك من شر ما صنعت . إذا قال حين يمسي فمات دخل الجنة أو كان من أهل الجنة، وإذا قال حين يصبح فمات من يومه مثله»[1] وهو دعاء التوحيد .قال بدر الدين العيني : «سيد الاستغفار ؛ لأن السيد في الأصل هو الرئيس الذي يقصد في الحوائج، ويرجع إليه في الأمور، ولما كان هذا الدعاء جامعاً لمعاني التوبة كلها استعير له هذا الاسم، ولا شك أن سيد القوم أفضلهم، وهذا الدعاء أيضاً سيد الأدعية وهو الاستغفار ... وفيه ذكر الله تعالى بأكمل الأوصاف» [2] .

قال عمر رضي الله عنه: «كيف نقاتلُ الناس وقد قال رسول الله (ص) أُمرتُ أن أقاتل الناس **حتى يقولوا: لا إله إلا الله،** فمن قالها فقد عصم مني ماله ونفسه إلا بحقه وحسابه على الله» [3].

وقد خصص الله تعالى العشرات من الآيات وسورا كاملة لتوحيده وعدم الاشراك به فجاءت الفاتحة أو أم الكتاب لهذا الأمر يقول تعالى:

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ * إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ * اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ﴾ [4]

تمثل سورة الفاتحة بالنسبة للقرآن وسائر سوره، الأم لكل شيء ولهذا سميت: بأم القرآن وأم الكتاب، يقول ابن جرير: «والعرب تسمّي كل جامع أمر أو مقدم لأمر إذا كانت

1- الصحيح 97/11/ح 6306، البخاري.

2- عمدة القاري شرح صحيح البخاري، بدر الدين العيني، 278/22 .

3- السابق ، (ح 1399) نفس الجزء ، ص: 262 .

4- الفاتحة، الآية: 1-7.

له توابع تتبعه هو لها إمام جامع أمَّاً ... وسميت مكة أم القرى لتقدمها أمام جميعها وجَمْعِها ما سواها» [1].

قال القرطبي: «والفاتحة تضمنت التوحيد والعبادة والوعظ والتذكير، ولا يستبعد ذلك في قدرة الله تعالى» [2].

وفي إيجاز نذكر ما لحظه ابن القيم من علوم مهمة في هذه السورة قال: «سورة الفاتحة اشتملت على أمهات المطالب العالية، الفاتحة تضمنت إثبات النبوات في عدة مواضع منها، أقسام الهداية الثلاثة، اشتمال هذه السورة على أنواع التوحيد الثلاثة ودلالة الحمد على توحيد الأسماء والصفات ... ودلالة الأسماء الخمسة في الفاتحة على توحيد الأسماء والصفات، أسماء الله تدل على الذات العلية، والأسماء الحسنى والصفات ... وتضمن الفاتحة الرد على الجهمية معطلة الصفات والجبرية والقائلين بالموجب بالذات وعلى المنكرين للنبوات». [3]

إضافة إلى الفاتحة خص الله سورة الاخلاص التي تعادل ثلث القرآن بتوحيده ونفي الشركاء عنه قال تعالى:﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ ﴾. [4]

وقد أثنى رسول الله (ص) على هذه السورة؛ لأنها حملت صفة الرحمن، وكان فيها جواب على أسئلة المشركين للنبي (ص) أن ينسب لهم ربه وكان هذا سبب نزولها.

وقد ورد في فضلها أنها تعدل ثلث القرآن، روى الإمام أحمد عن أبي مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله (ص): (قل هو الله أحد تعدل ثلث القرآن) [5].

1- تفسير ابن كثير ، ص: 19 ، وتفسير الطبري ، دار الفكر ، ط سنة 1415هـ ، 73/1 .

2- المسمى : الجامع لأحكام القرآن لمحمد أحمد القرطبي، تفسير القرطبي ، ، ط2 سنة 1416هـ ، 127/1 .

3- أنظر : فهرس كتاب التفسير القيم لابن القيم ، ط سنة 1408هـ ، دار الفكر ، ص: 7 ، 24 ، 28 ، 59 .

4- سورة الصمد، الآية: 1-4.

5- كتاب التوحيد، أخرجه أحمد في مسنده ، 122/4 ، والبخاري في صحيحه 347/13/ح 7374).

وذكر أبو حامد الغزالي علة هذا القدر فقال: (فاعلم أن سورة الإخلاص تعدل ثلث القرآن قطعاً، وارجع إلى الأقسام الثلاثة التي ذكرناها في مهمات القرآن إذ هي معرفة الله تعالى ومعرفة الآخرة، ومعرفة الصراط المستقيم، فهذه المعارف الثلاثة هي المهمة والباقي توابع، وسورة الإخلاص تشتمل على واحد من الثلاث وهو معرفة الله وتوحيده وتقديسه عن مشارك في الجنس والنوع وهو المراد بنفي الأصل والفرع والكفؤ ... فلذلك تعدل ثلث لقرآن أي ثلث الأصول من القرآن) [1].

وقال ابن تيمية: « و لهذا كانت "قل هو الله أحد" مع قلة حروفها تعدل ثلث القرآن ؛ لأن فيها التوحيد، فعلم أن آيات التوحيد أفضل من غيرها» [2] .

ومن المعاصرين ذهب بعض أهل العلم إلى القول:«بأن هذه السورة تعدل ثلث القرآن ؛ لأنها تضمنت عقيدة الإسلام كلها القائمة على إثبات صفة الكمال للخالق، ونفي صفات النقص عنه، واستحقاقه سبحانه للعبادة والتوجه إليه» [3] .

إضافة إلى السورتين نجد آية الكرسي مخصصة لهذا الأمر العظيم وقد وصفت بأنها أعظم آية في كتاب الله تعالى : ﴿ اللَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلا يَؤُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴾ [4] .

روى مسلم في صحيحه عن أبي بن كعب قال: قال رسول الله (ص): «يا أبا المنذر أتدري أي آية من كتاب الله معك أعظم؟ قال: قلت: الله ورسوله أعلم، قال: يا أبا المنذر

1-جواهر القرآن ، لأبي حامد الغزالي (505) ، ط5 سنة 1983م ، دار الآفاق ، ص: 47 ، 48 .
2- مجموع فتاوى ابن تيمية، 19/17 ، وأنظر: شرح أصول العقيدة للدكتور نسيم ياسين ، ط1 سنة 1419هـ، ص: 74 .
3- شرح أصول العقيدة الإسلامية، للدكتور نسيم ياسين ، ط1 سنة 1419هـ ، ص 74 .
4- البقرة، الآية:255.

أتدري أي آية من كتاب الله معك أعظم؟ قال: قلت: الله لا إله إلا هو الحي القيوم قال: فضرب في صدري، وقال: والله ليهنك العلمُ أبا المنذر»[1].

1-آيات من النص الكريم تدل أهمية التوحيد وخطورة الشرك:

أولاً: قوله تعالى: ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِماً بِالْقِسْطِ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [2] .

تضمنت هذه الآية الدعوة إلى وحدانية الله سبحانه بدعوة الشاهد الذي هو يعلم الشيء ويبينه، فقد دلنا الله تعالى على وحدانيته بما خلق وبين، وجاءت كلمة التوحيد في هذه الآية مكررة مرتين مضافاً إليها اسم العزيز والحكيم وفي ذلك يقول القرطبي: «كرر؛ لأن الأولى حلت محل الدعوى، والشهادة الثانية حلت محل الحكم، وقال جعفر الصادق: الأولى وصف وتوحيد، والثانية رسم وتعليم؛ يعني قولوا: لا إله إلا الله العزيز الحكيم» [3]، ولما اشتملت هذه الآية على كلمة التوحيد بهذا القدر عظم قدرها.

وقال سعيد بن جبير: «كان حول الكعبة ثلاثمائة وستون صنماً فلما نزلت هذه الآية خررن سجدا»[4]، «وقد سأل حبران من أحبار أهل الشام النبي ﷺ عن أعظم شهادة في كتاب الله، فأنزل الله تعالى على نبيه (ص) شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائماً بالقسط"»[5].

وفي بيان عظمة التوحيد جلب لها أعظم شهادة وهي شهادة من يجب توحيده وشهادة من يجب عليه التوحيد، قال الزمخشري: «فإن قلت: فالمراد بأولى العلم الذين عظمهم هذا

1- كتاب فضائل القرآن، باب فضل سورة الكهف ، وآية الكرسي ، رواه مسلم في صحيحه ، 94/6 .
2- سورة آل عمران ، الآية: 18 .
3- تفسير القرطبي ، 47/4 ، وأنظر : إيثار الحق لابن الوزير ، ص: 329 .
4- تفسير القرطبي ، 44/4 .
5- ذكره ابن حجر في كتاب العُجاب في بيان الأسباب ، قال : ذكر الثعلبي عن ابن الكلبي وعنه نقله الواحدي ، ص: 92 ، ولم يذكر الثعلبي ، العجاب ، 668/2 ، والقرطبي ، 44/4 .

التعظيم حيث جمعهم معه ومع الملائكة في الشهادة على وحدانيته وعدله؟ قلت: هم الذين يثبتون وحدانيته وعدله بالحجج الساطعة والبراهين القاطعة وهم علماء العدل والتوحيد» [1].

وهناك آيات دالة على عظمة التوحيد لكونها مبشرة لأهله بالجنة والنعيم المقيم، وأخرى مبينة لحقارة الشرك ومنذرة لأهله بسوء العاقبة، قوله تعالى: ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ * وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴾ [2] .

ومثلها كثير في كتاب الله تعالى، أهل الإيمان وعدهم الله بالجنان والرضوان والغفران لتوحيدهم واستقامتهم، أما الذين عطلوا التوحيد واختاروا الكفران فإنه توعدهم بالنيران لتكذيبهم وإشراكهم به فلا جرم أنهم بذلك كانوا أصحاب الجحيم.

وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْماً عَظِيماً ﴾ [3]، وقوله : ﴿ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً بَعِيداً ﴾ [4] .

وفي بيان هذا الإثم والضلال البعيد قال تعالى : ﴿ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴾ [5]، وقوله : ﴿ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ * لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [6] .

1- الكشاف للزمخشري ، 418/1 .

2- سورة المائدة، الآية:9 ، 10 .

3- سورة النساء، الآية:48 .

4- سورة النساء، الآية:116 .

5- سورة الحج، الآية:31 .

6- سورة المائدة، الآية:72 ، 73 .

فالجنة عظيمة، لا يدخلها إلا من حقق التوحيد وإلا لا ينفعه عمله، بل هي محرمة على كل مشرك مكذب جاحد، وهذا كله يفصح لنا عن عظمة التوحيد وعلو قدره حيث لا يقود صاحبه إلا إلى الجنة والشرك ممقوت وحقير ولم يكره الله شيئاً كالشرك وفي ذلك يقول: ﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَداً * لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئاً إِدّاً *تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدّاً * أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَداً ﴾ [1] .

قال ابن كثير : «عن علي عن ابن عباس ... إن الشرك فزعت منه السموات والأرض والجبال وجميع الخلائق إلا الثقلين وكادت أن تزول منه لعظمة الله وكما لا ينفع مع الشرك إحسان المشرك، كذلك نرجو أن يغفر الله ذنوب الموحدين» [2]، وكذلك التوحيد إذا تخلل قلب الشخص جعله ذا قيمة عظيمة عند الله تعالى، وعليه فقد فرق الله سبحانه بين الناس على قدر ما عندهم من توحيد، فقال تعالى : ﴿ وَلا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَّ وَلَأَمَةٌ مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ وَلا تُنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ أُولَئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ ﴾ [3]، فمدار هذه المعاملة والخيرية على الإيمان، فإذا وجد الإيمان جازت المعاملة وإن لم يوجد ووجد الإعجاب فإن الإعجاب في غياب الإيمان لا فائدة فيه .

يقول القاسمي: «فإن ذهاب الكفاءة بالكفر غير مجبور بشيء منها وأفهم هذا خيرية الحرة والحر المؤمنين من باب الأولى، مع التشريف العظيم لهما بترك ذكرهما، إعلاماً بأن خيريتهما أمرٌ مقطوع به، وأن المفاضلة إنما هي بين من كانوا يعدونه ديناً فشرفه الإيمان، ومَنْ يعدونه شريفاً فحقره الكفران، ولذلك ذكر الموصوف بالإيمان في الموضعين ليدل على

1- سورة مريم، الآية:88-91 .

2 – تفسير ابن كثير ، 156/5 .

3- سورة البقرة، الآية:221 .

أنه – وإن كان دينا – موضع التفضيل لعلو وصفه، وأثبت الوصف بالشرك في الموضعين مقتصراً عليه لأنه موضع التحقير وإن علا في العرف موصوفه»[1].

تلك هي البنية الكبرى التي تجمعت كلمات القرآن وآياته وسوره لتكثيفها في وعي الكائن البشري، انطلاقا منها يصنف المؤمن والكافر؛ فهما يكونان في صفاتهما قربا وبعدا عن هذا المركز، وعليه اذن فإن اللسانيات النصية التي تبني فكرة البنية الكبرى على الادراك الكلي أو الجشطلتي للنص والتي تؤمن بوجود موضوع أساسي في كل نص وموضوعات ملحقة له، وهذا التصميم متعلق بإدراك الكائن البشري للمضامين اللغوية، والحدس اللغوي السليم عند كل تعامل مع النص يسعى إلى معرفة المركز أو البؤرة أو الفكرة الاساسية فيه، الشيء الذي تسميه اللسانيات النصية بنية كبرى، وقد جاء القرآن الكريم متوافقا مع القدرات البشرية في التعامل مع اللغة في بناء محكم بنيته الكبرى مبثوثة بشكل عجيب في كل تفاصيله.

1- تفسير القاسمي ، 116/2 ، وأنظر : الكشاف ، 361/1 .

ثالثا-البنى الصغرى في النص القرآني:

يمكن للباحثين في النص القرآني القيام بالكشف عن الكثير من البنى في النص القرآني لكن يجب أن تكون متعلقة ببنية التوحيد، ومن بين البنى التي لها امكانية الانكشاف في هذا الإطار موضوعة الانسان المؤمن والانسان الكافر، موضوعة الجنة والنار، وموضوعة الدنيا والاخرة، موضوعة الفساد والصلاح وغيرها حسب زاوية الرؤيا للباحث.

وقد ركز هذا البحث على الانسان المؤمن والانسان الكافر وهي أهم البنيات الصغرى لأن القرآن ركز على الانسان دون غيره فالمحور هو الانسان والرسالة انسانية ولغة الرسالة ترتكز عليه.

يضاف إلى ذلك أن أهمَ وصف وصف به النص القرآني من القرآن نفسه، بل أكثره ورودا في آياته، كونه هدى يهدي البشرية لما يصلحها في كل شئونها، ذلكم الوصف الذي قرن بتاريخ نزول القرآن على النبي ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِيْ أُنْزِلَ فِيْهِ الْقُرْآنُ هُدىً لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ﴾[1] وهو أول وصف يقرع الأسماع عند الابتداء في قراءته؛ ففي مطلع سورة البقرة ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيْهِ هُدىً لِلْمُتَّقِيْنَ﴾[2] وهداية القرآن جامعة لمصالح العاجلة والآجلة، ومحققة لمنافع الدنيا والآخرة.

أما ما يتعلق بالآخرة فالقرْآن عرف العباد بربهم سبحانه وتعالى، ودلهم عليه، وبين لهم أفعاله وأسماءه وأوصافه، وكشف لهم ما يحتاجون إلى العلم به من الغيب الذي يدفعهم للإيمان والعمل الصالح، وفصل لهم بداية خلقهم ونهايته، وأعلمهم بمصيرهم بعد موتهم، وأوضح لهم طريق السعادة ليسلكوه، وسبل الشقاء ليجتنبوها، وما ترك شيئا من دينهم إلا هداهم إليه ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِيْنٌ * يَهْدِي بِهِ اللهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الْظُّلُمَاتِ إِلَى النُّوْرِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيْهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيْمٍ﴾. [3]

---

[1] -الْبَقَرَة، الآية:185.

[2] -الْبَقَرَة، الآية:2.

[3] - الْمَائِدَة، الآية:15-16.

وأما ما يتعلق بالدنيا ومعاملة الناس بعضهم لبعض فقد هدى القرآن فِيها إلى أحسن السبل وأُسرها وأنفعها في السياسة والاقتصاد والأخلاق والمطاعم والمشارب واللباس والعلاقات الأسرية والاجتماعية، في أحكام تفصيلية وقواعد عامة تنتظم جميعها، فلا يقع المهتدي بالقرآن في تخبطات وترددات فكرية، ﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِيْ هِيَ أَقْوَمُ﴾[1] وقد جيء بصِيغة التفضيل لتدل على أنه لا يمكن أن يساوى مع غيره أبدا، وذكرت الصفة، ولم يقيدها موصوف حتى تكون الهداية أقوم في كل شيء.

لقد تكرر وصف القرآن بأنه هدى في آيات كثيرة ﴿هُدىً لِلْمُتَّقِيْنَ﴾[2] ﴿هُدىً وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِيْنَ﴾[3] ﴿هُدىً وَرَحْمَةً لِلْمُحْسِنِيْنَ﴾[4] ﴿هُدىً وَذِكْرَى لِأُوْلِي الْأَلْبَابِ﴾[5] ﴿وَهُدَىً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِيْنَ﴾[6] ﴿هَذَا هُدىً﴾[7] ومثلها آيات كثيرة، لكن الملاحظ فيها جميعا أن وصف القرآن بالهداية لم يحدد في مجال معين ولا زمان معين، ولم يذكر له معمول، وإنما كان بهذا الإطلاق والعموم؛ ليدل على أنه هدى في كل شيْء لبنى البشر.

أ-تيمة الإنسان:

يعد مفهوم الإنسان في النص القرآني القطب الرئيس الثاني الذي يقابل المفهوم المركزي الأول أي مفهوم "الله"، وتتناول الآيات المتعلقة بالإنسان في القرآن طبيعته وسلوكه ونفسه وواجباته ومصيره، كما تتناول أنماط العلاقة بين الله والإنسان، هذه المركزية في الحديث عن الإنسان تدل على أهمية ما ورد عنه في هذه السياقات القرآنية [8]، ولدى النظر

---

[1] – الْإِسْرَاء، الآية:9.

[2] الْبَقَرَة، الآية:2.

[3] الْنَّمْل، الآية:2.

[4] لُقْمَان، الآية:3.

[5] – غَافِر، الآية:54.

[6] الْنَّحْل، الآية:102.

[7] الْجَاثِيَة، الآية:11.

[8] – اقتران الإيمان بالعمل الصالح في القرآن الكريم ودلالاته الحضارية، عبد الرحمن حللي، مجلة جامعة دمشق للعلوم الاقتصادية والقانونية – المجلد – 27 العدد الثالث، 2011 ، ص: 441.

النظر في حديث القرآن عن الإنسان بلفظ الإنسان نجد ما اقترن به من أوصاف يتسم بالسلبية لمرجعيتها الغريزية التي يتصف بها الإنسان ككائن حي، ويمكن أن نستعرض هذه الأوصاف من خلال النصوص القرآنية التي تتلخص في أربعة عشر وصفا هي الآتية: الضعف- العجلة - الهلع - اليأس- البخل- الاغترار- الظلم- الجهل- الخصومة- الجدل- الطغيان- الكنود- الكفران - الخسر.[1]

وقد جاء النص القرآني في جميع سوره بغاية توجيه الانسان الوجهة الصحيحة في كل سلوكاته، هذه الوجهة الصحيحة وصفها القرآن بالصلاح حين قرن الايمان بالأعمال الصالحات في آيات كثيرة منها ماورد في سورة العصر ﴿وَالْعَصْرِ * إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلَّا الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾[2]، والتي قال عنها الإمام الشافعي: لو تدبر الناس هذه السورة لوسعتهم، وفي رواية عنه : لو لم ينزل إلى الناس إلا هي لكفتهم، وقال غيره :إنها شملت جميع علوم القرآن[3].

1-الإنسان المؤمن من خلال القرآن:

ترتكز البنية الصغرى في القرآن الكريم على الانسان، وتنتصر للإنسان المؤمن على الكافر وتبرز صفاته البنيوية انطلاقا من التضاد بينه وبين الانسان الكافر، ونظرا لأن صفات المؤمن صفات فطرية والاسلام دين الفطرة، فإن التركيز الكلي على نبذ صفات الكافر المنافية للفطرة وقد خص الله تعالى المؤمنين بسورة تذكر صفاتهم التي يتحلون بها والنتيجة التي هم آيلون إليها يقول تعالى: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ {1} الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ {2} وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ {3} وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ {4} وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ {5} إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ {6} فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاء ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ {7} وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ {8} وَالَّذِينَ هُمْ

[1] - اقتران الإيمان بالعمل الصالح في القرآن الكريم ودلالاته الحضارية، عبد الرحمن حللي ، ص: 441-445 .

[2] - سورة العصر.

[3] - أنظر، ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج 30 :ص528 .

عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ {9} أُوْلَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ {10} الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ {11} ﴾[1].

والانسان المؤمن الموحد يخبر عنه النص القرآني بإلحاق مجموعة من صفات به ونفي صفات أخرى عنه في الان نفسه، ولما كان نموذج الانسان الكافر المنحرف عن الفطرة هو المحذر منه فإن صفات النموذج المؤمن تزداد وضوحا ونصاعة ببيان صفات النموذج الكافر، وهو ما ركز عليه القرآن، ولعل الآيات السابقة تلخص البنية الصغرى للإنسان المؤمن في: التوحيد، والخشوع في الصلاة، الاعراض عن اللغو، ايتاء الزكاة، الابتعاد عن فاحشة الزنى، الحفاظ على الامانات والعهود وهي صفات الانسان السوي في الاسلام.

2-الإنسان الكافر من خلال القرآن:

حذر الله سبحانه وتعالى من الكفر به وحث على الالتزام بنهجه والإيمان بما أنزله على أنبيائه من طاعته وإقامة دينه وتطبيقه دون تحريف أو زيادة أو انتقاص من أوامره، يقول سبحانه وتعالى:﴿ شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه كبر على المشركين ما تدعوهم إليه الله يجتبي إليه من يشاء ويهدي إليه من ينيب﴾[2]، ويقول سبحانه وتعالى: ﴿ إن تكفروا فإن الله غني عنكم ولا يرضى لعباده الكفر وإن تشكروا يرضه لكم﴾ [3]

إذا تأملنا النص القرآني سنجد أن موضوعة الكفر بالله قد أخذت مساحة كبيرة منه، ذلك أن الرسل عليهم أفضل الصلاة والسلام لم يبعثوا إلا لتخليص الإنسانية من الكفر والعودة بها إلى عبادة الله دون شريك. إلا أن أهل الكفر كانوا يخوضون صراعا عنيف ضد الرسل الكرام، كي لا تتسرب العقيدة الربانية إلى قلوبهم، وكي لا ينصاعوا لأوامر الله فتعدل

[1] – سورة المؤمنون، الآية: 1-11.

[2] الشورى، الآية: 12.

[3] الزمر، الآية:7.

نفوسهم وأفكارهم وسلوكياتهم عن أفكار الشرك وما يتبعه من أثار مدمرة في الأرض وقد أظهر النص القرآني بوصفة بنية لغوية الصفات التي تجتمع لتكون البنية الصغرى للإنسان الكافر في الموضوعات التالية:

2-1-صفة الإفساد في الأرض:

يتبع ذلك من صد عن ذكر الله وعدم الاستجابة لأمره يقول الله سبحانه وتعالى﴿ ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين، يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون إلا أنفسهم وما يشعرون، في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا ولهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون، وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون، ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون﴾ [1]، ويقول ايضا ﴿إن الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله قد ضلّوا ضلالا بعيدا﴾ [2] ويقول أيضا ﴿والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الأرض أولئك لهم اللّعنة ولهم سوء الدار﴾ [3] ويردف في أخرى ﴿ونادى اصحب الجنة أصحاب النار أن قد وجدنا ما وعد ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا قالوا نعم فأذن مؤذن بينهم أن لعنة الله على الظالمين، الذين يصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجا وهم بالآخرة كافرون﴾.[4]

ولا تني الآيات في الربط بين الكفر والإفساد في الأرض، جامعة في نظام عجيب صفات الكفر والكفار مبينة أفعالهم والتي هي في الوقت ذاته بانية لصفات المؤمن على سبيل التضاد والتقابل.

---

[1]- البقرة، الآية: 7-12.

[2]- النساء، الآية: 167.

[3] - الرعد، الآية:25.

[4] - الأعراف، الآية:44-45.

2-2-القتل للأبرياء والدعاة إلى الله:

ذكر القرآن الكريم أن الكافرين يقدمون على قتل الدعاة إلى الله وما ذلك إلا لأن الأنبياء والمصلحين يريدون رد الكافرين إلى الحق وصرفهم عن غيهم وضلالهم. يقول المولى:﴿ إن الذين يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير حق ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس فبشرهم بعذاب أليم، أولئك الذين حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة وما لهم من ناصرين﴾[1]

2-3-الظلم:

يقول سبحانه وتعالى مبينا حال الكافر وأنه حياته مليئة بالظلم ولا كفر بغير ظلم:﴿ إن الذين كفروا لن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئا وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون، مثل ما ينفقون في هذه الحياة الدنيا كمثل ريح فيها صر أصابت حرث قوم ظلموا أنفسهم فأهلكته وما ظلمهم الله ولكن أنفسهم يظلمون﴾[2]

وأما منشأ الظلم في حياة الإنسان فهو ابتعاده عن صراط الله ومنهجه الذي يقيم حياة الإنسان ويعدّلها ويرقى بها. ﴿إن الذين كفروا وظلموا لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم طريقا، إلا طريق جهنم خالدين فيها وكان ذلك على الله يسيرا﴾[3] ﴿لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم، ثم رددناه أسفل سافلين، إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم أجر غير ممنون﴾[4] ويقول أيضا ﴿ومن أظلم ممن أفترى على الله كذبا أولئك يعرضون على ربهم ويقول الأشهاد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على الظالمين، الذين يصدون عن

---

[1] – آل عمران، الآية: 20-21.

[2] –آل عمران، الآية: 116-117.

[3] – النساء، الآية: 168-169.

[4] – التين، الآية:4-6.

سبيل الله ويبغونها عوجا وهم بالآخرة هم كافرون﴾ [1] ويقول، ﴿ولقد أهلكنا القرون من قبلكم لمّا ظلموا وجاءتهم رسلهم بالبيّنات وما كانوا ليؤمنوا كذلك نجزى القوم المجرمين﴾. [2]

بل وبسبب ظلمهم وطغيانهم تتبخر من أذهانهم حقيقة أن الموت ملاقٍ كل حي، بل يعتقدون أنهم خالدون وأن الدنيا عنهم غير زائلة وغير منتهية فقد أُقفلت الآذان وعُميت الأبصار.

2-4-القتال من أجل الدنيا والطاغوت:

﴿ الذين أمنوا يقاتلون في سبيل الله، والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت فقاتلوا أولياء الشيطان إنّ كيد الشيطان كان ضعيفا﴾[3]

2-5-الحكم بغير ما أنزل الله و التحاكم إلى شريعة الطاغوت:

إذا كان الكافر رافضا لأوامر الله ورافضا الانقياد إليها، فإنه لا محالة أنه سيلجأ إلى تنظيم حياته وتدبير شئون اجتماعه والارتقاء بنشاطه وكسبه من خلال قوانين وضعية يرى أنها خيرا من دين الله سبحانه وتعالى وأنفع لتقوية حياته الأخلاقية والاجتماعية. يقول سبحانه وتعالى في وصف أهل الكتاب : ﴿ألم ترى إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين امنوا سبيلا﴾[4] ، ويقول أيضا :﴿ألم ترى إلى الذين يزعمون أنهم امنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به ويريد الشيطان أن يضلهم ضلال بعيدا﴾ [5] ﴿ولا يحسبنّ الذين كفروا أنما نملي لهم خير لأنفسهم، إنما نملي لهم ليزدادوا إثما ولهم عذاب مهين﴾. [6]

---

[1] – هود، الآية:18-19.

[2] – يونس، الآية: 13.

[3] – النساء، الآية: 76.

[4] – النساء، الآية:51.

[5] – النساء، الآية:60.

[6] – آل عمران، الآية: 178.

ويبين سبحانه وتعالى أمرا من أشد الأمور وأخطرها في حياة الأمم والشعوب التي تحكم بغير ما أنزل الله سبحانه وتعالى ألا وهو نزع الأمن من حياتها. يقول سبحانه وتعالى مبينا حال إبراهيم، على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام، مع قومه الذين آثروا عبادة الطواغيت على عبادة رب السماوات والأرض﴿ وكيف أخاف ما أشركتم ولا تخافون أنكم أشركتم بالله ما لم ينزل به عليكم سلطانا فأي الفريقين أحق بالأمن إن كنتم تعلمون ﴾[1]

2-6-إتباع الشهوات:

﴿ والله يريد أن يتوب عليكم ويريد الذين يتبعون الشهوات أن تميلوا ميلا عظيما﴾[2]

2-7-الشح والبخل:

﴿ الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل ويكتمون ما آتاهم الله من فضله وأعتدنا للكافرين عذابا مهينا ﴾[3]، ويقول:﴿ المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف ويقبضون أيديهم نسوا الله فنسيهم إن المنافقين هم الفاسقون ﴾[4]

2-8-اتخاذ الأولياء من شياطين الإنس والجن:

يوضح ربنا سبحانه وتعالى خاصية من خواص الكافرين ذلك أنهم ببعدهم عن الله سبحانه وتعالى لا يجدون أولياء يستمعون لنصائحهم ويهتدون بإرشاداتهم إلا من الشياطين الذين يهدونهم إلى الكفر والزندقة ومحاربة الله ومحاربة الصالحين والآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر في قوله:﴿ فريقا هدى وفريقا حق عليه الضلالة إنهم اتخذوا الشياطين

---

[1] – الأنعام، الآية: 81.

[2] – النساء، الآية:27.

[3] – النساء، الآية: 37.

[4] – التوبة، الآية:67.

أولياء من دون الله ويحسبون أنهم مهتدون ﴾[1]وفي قوله: ﴿ وجعلوا لله أنداد ليضلوا عن سبيله قل تمتعوا فإن مصيركم إلى النار﴾.[2]

ثم إنه بسبب عدم اتخاذ دين الله مرشدا وهاديا، وإنما اتخاذ الملاعين المضلين من بني البشر أولياء وسادة وأساتذة يوجهون الكافرين ويزينون لهم الحياة، تصبح الحياة بالنسبة لهم لهوا وضياعا بلا هدف يوجهها ولا غاية سامية تصنعها:

﴿ ونادي أصحاب الجنة أصحاب النار أن قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا قالوا نعم فأذّن مؤذن بينهم أن لعنة الله على الظالمين، الذين يصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجا وهم بالآخرة كافرون﴾[3]

2-9-الاستكبار في الأرض:

لن تجد كفرا في الأرض إلا وتجده في حالة عجيبة من الاستكبار وما ينتج عن ذلك الكفر بيوم القيامة ومن البغي والعدوان على الحقوق والعباد:

﴿ إلهاكم إله واحد فالذين لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة وهم مستكبرون، لا جرم أن الله يعلم ما يسرون وما يعلنون إنه لا يحب المستكبرين ﴾[4].

ويبين ربنا خصلة مدمرة من خصالهم:﴿ سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق وإن يروا كل آية لا يؤمنوا بها وإن يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا وإن يروا سبيل الغي يتخذوه سبيلا ذلك بأنهم كذبوا بآيتنا وكانوا عنها غافلين ﴾. [5]

﴿ إن الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون والذين كفروا إلى جهنم يحشرون ﴾[6].

---

[1] – الأعراف، الآية: 30.

[2] – ابراهيم، الآية:30.

[3] – الأعراف، الآية:44-45.

[4] – النحل، الآية: 21-22.

[5] – الأعراف، الآية:145.

[6] – الأنفال، الآية:26.

والكافر هيّن عند الله تعالى مهما علا بنيانه ومهما ازداد علمه ومهما كانت قوته وجبروته. يقول سبحانه وتعالى:﴿ وكان الكافر على ربه ظهيرا ﴾[1]

أي كما يورد القرطبي رحمه الله: «وقيل: المعنى، وكان الكافر على ربه هينا ذليلا لا قدر له ولا وزن عنده» ﴿ ويوم يعرض الذين كفروا على النار أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها فاليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تستكبرون في الأرض بغير الحق وبما كنتم تفسقون﴾ [2] ﴿ويوم يعرض الذين كفروا على النار أليس هذا بالحق قالوا بلى وربنا قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون﴾[3] ﴿والذين كفروا فتعسا لهم وأضل أعمالهم، ذلك بأنهم كرهوا ما أنزل الله فأحبط أعمالهم﴾ [4]

لعل النص القرآني فيما سلف وأوردناه من آيات اعتمد الأسلوب المباشر في توجيه الانسان، وهو على حد تغبير البلاغيين أسلوب الترغيب والترهيب والوعد والوعيد، وهو توجيه ونصح مباشر للبشر.

3-مخطط القصة:

استعمل النص القرآني بالإضافة إلى الاسلوب المباشر أسلوب القصص وهو اسلوب الاقناع غير المباشر لهؤلاء الكفار، ومن بين القصص التي اوردها القرآن في إطار بنية الانسان الكافر:

3-1-قوم عاد وسيرتهم في الأرض:

كان قوم عاد أول من عبد الأصنام بعد الطوفان وكانت أصنامهم – كما ذكر ابن كثير رحمه الله ثلاثة صمدا وصمودا وهرا، قال تعالى: ﴿ وإلى عاد أخاهم هودا قال يا قوم

[1] – الفرقان، الآية: 55.

[2] – الأحقاف، الآية: 20.

[3] – الأحقاف، الآية: 34.

[4] – محمد، الآية: 8-9.

اعبدوا الله مالكم من إله غيره أفلا تتقون ﴾ [1]، واستذكار القرآن لكفر عاد ومصيرهم هو تذكير لكل كافر يفعل فعلهم.

3-2-قوم صالح عليه أفضل الصلاة والسلام:

قصة من قصص الصراع العظيمة بين التوحيد والكفر، إنها قصة دعوة نبي الله صالح لقومه أن يعبدوا الله وحده لا شريك له مخلصين له الدين وأن ينبذوا ما سواه من طاعة للهوى أو الشهوات أو عبادة ملة الآباء الضالين، يقول الله سبحانه وتعالى:﴿وإلى ثمود أخاهم صالحا، قال يا قوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره ﴾[2]، ويقول : ﴿كذبت ثمود المرسلين، إذ قال لهم أخوهم صالح ألا تتقون، إني لكم رسول أمين، فاتقوا الله وأطيعون، وما أسألكم عليه من أجر، إن أجري إلا على رب العالمين، أتتركون في ما ههنا آمنين،، في جنّات وعيون، وزروع ونخل طلعها هضيم، وتنحتون من الجبال بيوتا فارهين، فاتقوا الله وأطيعون، ولا تطيعوا أمر المسرفين الذين يفسدون في الأرض ولا يصلحون﴾ [3]، مرت فترة صالح وقومه ويذكر القرآن ويكثف القصص حتى ينتبه الكافرون إلى وضعهم انطلاقا ممن سبقهم من الاقوام.

3-3-قصة قوم شعيب:

يسوق القرآن الكريم قصة أخرى من قصص المعرضين المكذبين لشرع الله ويبين كتاب ربنا نوعا من الباطل الذي ارتكبوه والإجرام الذي اقترفوه في حق الآخرين، بل لم يكونوا مجرمين في حق العباد، ولكنهم مجرمين في حق الله خالقهم ورازقهم وموجدهم من العدم سبحانه وتعالى له الخلق والأمر. يقول الله تعالى ﴿وإلى مدين أخاهم شعيبًا، قال يا قوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره، قد جاءتكم بينة من ربكم، فأوفوا الكيل والميزان ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها، ذلكم خير لكم إن كنتم مؤمنين ولا

[1] – الأعراف، الآية:65.

[2] – الأعراف، الآية: .73.

[3] – الشعراء، الآية: 141-152.

تقعدوا بكل صراط توعدون وتصدون عن سبيل الله من آمن به وتبغونها عوجا واذكروا إذ كنتم قليلا فكثركم وانظروا كيف كانت عاقبة المفسدين﴾[1] وينقل القرآن استهزاء القوم بشعيب عليه السلام ﴿قالوا يا شعيب أصلاتك تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا أو أن نفعل في أموالنا ما نشاء، إنك لأنت الحليم الرشيد﴾ [2] ويكثف النص الامثلة من القصص السابقة البعيد منها والقريب ﴿ ويا قوم لا يجرمنكم شقاقي أن يصيبكم مثل ما أصاب قوم نوح أو قوم هود أو قوم صالح وما قوم لوط منكم ببعيد﴾ [3]، ويبين القرآن كيف يشتد دفاع الكفار عن كفرهم في قصة شعيب ﴿قالوا يا شعيب ما نفقه كثيرا مما تقول وإنّا لنراك فينا ضعيفا ولولا رهطك لرجمناك وما أنت علينا بعزيز﴾ [4]

3-4-موسى عليه السلام وفرعون مصر:

القرآن الكريم لا يني يسرد نماذج من الانحراف عن دعوته والاستمرار في الوثنية ثم إنزال العقاب المخيف نتيجة الإصرار على الكفر واتخاذ الأرباب من دون الله رب العالمين. من هذه النماذج المتكررة في تاريخ الكفر بالله قصة نبي الله الكريم موسى مع فرعون رأس الكفر بالله.

القرآن الكريم يوضح بكل جلاء وضع فرعون في الأرض وتكبره واتخاذ نفسه إلها من دون الله رب العالمين حتى يبين للكافر والمؤمن ذروة الكفر التي وصل إليها الانسان وهي ادعاء الالوهية التي تجلت في فرعون، تحذيرا واقناعا بصور واقعية، لأن القرآن الخالد والمعجز يهدي الانسان للتي هي أقوم فقد أهلك فرعون وهامان وجنودهما ومن على المستضعفين وجعلهم ائمة وجعلهم الوارثين.

---

[1] – الأعراف، الآية: 85-86.

[2] – هود، الآية: 87.

[3] – هود، الآية: 89.

[4] – هود، الآية :91.

يقول تعالى: ﴿إن فرعون علا في الأرض وجعل أهلها شيعا يستضعف طائفة منهم يذبح أبناءهم ويستحي نسائهم إنه كان من المفسدين، ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين، ونمكن لهم في الأرض ونري فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون﴾ .[1]

ولعل التركيز على البنية الصغرى للكافر أكثر من التركيز على البنية الصغرى للمؤمن يرجع أن الحديث عن الكافر يبني في الوقت نفسه البنية الصغرى للمؤمن فإذا كانت نسبة الصفات الدالة على الانسان الكافر تتجمع من خلال ورودها في النص فإنها في الوقت نفسه تنتفي عن الانسان المؤمن فالضدية والتقابل تجعلان الصفة عند ظهورها في طرف تظهر منتفية في الطرف الاخر.

والنص للقرآني الكريم بنى من خلال الصفات التي الحقها بالطرفين بنية التوحيد التي هي البنية الكبرى التي تعالقت أجزاؤها في نظام عجيب لتكون نظاما للإنسان.

مما سبق تبين أن النص القرآني يسلك طرقا منطقية متعددة لضمان انسجام عالمه الدلالي فالعموم والخصوص والاجمال والتفصيل والمناسبة بين أجزاء النص، والتخطيط بما يوافق إدراك الانسان للرسالة اللغوية في بنى صغرى وبنية شاملة كبرى وبطرق اقناع مباشرة وغير مباشرة كانت ادوات اعجاز خالدة في هذا النص.

[1] – القصص، الآية: 2–6.

الخاتمـــــــــة

خاتمة

وفي نهاية هذا البحث نخلص إلى أن الانسجام في النص القرآني تَشكَّل بفضل منظومة علائقية استطاعت أن تصهر الجزئي مع الكليِّ، والدلاليَ الموضوعيَ والصوتي الموسيقي، مع الشكليِّ الخالص، أي أنها منظومة متعددة الجوانب استثمرت كل ما من شأنه أن يسهم في اتساق النص على المستوى اللغوي الخالص، وكل ما من شأنه أن يحقق اتساق عالَمه الدلالي و تناغم مشاهده.

وقد توصل البحث وعبر فصول خمسة إلى نتائج كثيرة، أمكن اختزالها إلى عناصر مرتَّبة على النحو الآتي وهي:

- إنّ تجاوز اللسانيات لعتبة الجملة كان نقلة نوعية وواسعة نحو تفسير وتقعيد أفضل لعمل اللغة باتفاق المحدثين، وهذا التجاوز عامل مهم في التفكير على مستوى إدراك الظاهرة اللسانية في علاقاتها الصحيحة بالإدراك البشري، الذي يتصرف وفق مخططات تضمن له الحفاظ على المعلومات في الذاكرة، وفق مبدأ الجزء والكل.
- إنّ بنية النص في لسانيات النص الحديثة تقوم على الجانب التركيبي والمعنوي في البنية
- إنّ البنية الشكلية لا تكفي لأداء الدلالة، بل يشمل النص على علاقات معنوية لا تظهر في البنية السطحية، يستدل عليها من خلال الموقف والاتصال، ومن خلال ما يتصل بالتجربة الإنسانية، وتفاعل المعلومات النصية مع المعرفة السابقة بالعالم للمتلقي، وهي المسؤولة عن جعل النص أكثر إحكاما وتنظيما وتداوليةً.
- إنّ الانسجام لا يتوقف عند حدود المستوى الدلالي بل يتجلى في جميع مستويات اللغة الصوتي والصرفي والتركيبي والدلالي، وأنّ لسانيات النص تقوم على تحليل كل المستويات دون الفصل بينها.

- إنّ قضية ترتيب القرآن الكريم، أثارت مجموعة الإشكالات المتعلقة بتوقيفية الترتيب وعدم توقيفيته، وليس التطرق لمثل هذه القضية من باب الترف العقلي بل هي ذات صلة وثيقة بموضوع الانسجام والتناسب بين آي القرآن وسوره، وما زاد القضية اشكالا هو وجود بعض المنقولات الدالة على أن ترتيب كان أمرا السور اجتهاديا، وهي قضية استخدمت في التشكيك في ترتيب القرآن الكريم، بل والدعوة إلى إعادة ترتيبه.
- إنّ التقسيم الذي جُمِع عليه القرآن تقسيم توقيفي وترتيب توقيفي، في بناء محكم ينطلق من الوحدة الدلالية الصغرى التي هي الآية ثم ينتقل إلى السورة الواحدة لتجتمع السور متواليات في انتظام لتشكل النص القرآني، الذي هو نظام حياة الإنسان المؤمن في جميع نواحيها.
- إنّ خلود التقسيم اللغوي الذي جاء به القرآن الكريم للمقاطع الحاملة للدلالة وبنائية هذا التقسيم المجزأ إلى آية ثم سورة ثم البنية الكلية التي هي القرآن كانت موضوع دراسات مغرضة للمستشرقين، وما كانت إثارة هذا الإشكالات إلا لتعلقها أساسا بانسجام النص القرآني.
- إنّ قضية الترتيب والانسجام في آي القرآن الكريم وسوره بالنظر إليها وفق اللسانيات النصية على أنها تشكل بنى تخطيطية للنص القرآني أمر سليم من ناحية التحليل.
- إنّ القرآن من ناحية جمال النظم نسق لم تعهده لغة العرب، في شعرها وفي نثرها من بناء محكم منسجم على مستوى الصوت والصرف والتركيب والدلالة.
- إنّ المناسبة الصوتية بالمماثلة هي أهم آليات الانسجام الصوتي في الخطاب القرآني بعموم توزعها على النسيج الصوتي حسب اتجاه المماثلة ودرجتها وتوزيعها، وسواء أكانت المناسبة في المستوى اللغوي أم في المستوي الأسلوبي للخطاب القرآني.
- إنّ استعمل الخطاب القرآني عدة آليات للحكاية الصوتية ساهمت في انسجامه على مستوياته اللغوية المتعددة منها توظيف الصفات الصوتية كالإمالة والتفخيم والإطباق أو

بتوظيف صفة اللفظ الصوتية، وذلك بزيادة صوت أو تكراره، أو بإضافة سوابق ولواحق للمفردة، وكذلك بتوظيف التشكيل الصوتي للجملة والجمل في إنتاج الحكاية الصوتية

- إنّ دور الفاصلة كعلاقات إيقاعية في انسجام سور النص القرآني تمثل في مستويين:
  - المستوى الأول: صوتي يتعلق بدال الفاصلة وتطابقه أو تماثله مع ما سبقه أو لحقه في أنماط إيقاعية متعددة في السورة الواحدة بتعدد أغراض فصولها ومواضيعها
  - المستوى الثاني: تركيبي يتعلق بدال الفاصلة نفسه وتمكنه داخل تركيب الآية الوارد فيها من جهة، وفي البنية التركيبية لخطاب السورة نحويا ودلاليا من جهة ثانية.
- مثل الإيقاع في النص القرآني الآلية الأساسية في انسجامه في مستوى تشكيل نظمه الصوتي، من حيث اختيار صوره المقطعية وتركيبها في سجلّ إيقاعي ثري ومتنوع، في وحدة دالة ومتناغمة مع مكوناته اللغوية الأخرى.
- إنّ طبيعة الإيقاع القرآني في مفهومه الكلي تخلل مكوناته السردية والحجاجية والوصفية بالتنظيم والتناسب، ومستوياته التركيبية بالتقارب والتوازي، في فرادة إيقاعية منحت النص أهم خصائصه وزهو الانسجام الصوتي.
- إنّ تحقق فكرة الترابط في النص القرآني، والتي كانت انشغالا كبيرا لكل متصدي للقرآن الكريم، بقصد الكشف عن سر تفرده اللغوي، ساهم فيها النص ذاته، بتوفره على أشكال الترابطات، انطلاقا من الآية ومرورا بالسورة ووصولا إلى القرآن بأكمله
- إنّ النص يتضمن مجموعة من البنى، هذه البنى تتجمع في كتلتين، واحدة خارجية شمولية إطارية تمثل البنية الكبرى وأخرى داخلية تمثل البنى الصغرى تمتاز البنية الكبرى منها بالشمولية وبنسبة التحكم في نسيج النص، أما الصغرى فتمتاز بطابعها المحدود وبنسبية تحكمها في بعض المتتاليات النصية.

- إنّ الدور الأساس للبنية الكبرى في النص هو تحقيق الانسجام الكلي على مستوى الدلالة، ويظهر ذلك بجلاء في ردِّ فعل القارئ أو المستمِع وعدم قبوله للنص الذي يفتقر إلى بنية كلية تجمع شتاته، وتوحد مقاطعَه.
- إنّ القرآن ينظر إليه بوصفه نصا كاملا، لأنه كما ينهض على بعد لغوي ظاهر، وينهض على بعد معنوي باطن مما يثبت له انسجامه الكلي.
- إنّه بقدر استيعاب النظرة الكلية وبقدر التمكن من جوهر الوحدة التي ينطوي عليها النظم القرآني، في معناه ومقصده، وليس فقط في شكله وبنيانه، بقدر ما يأتي الفهم للقرآن وافيا نافذا شاملا، يحمل دلالات توجيهية وعملية.
- إنّ الانطلاق من وحدة النص القرآني الكريم مصدرا وموضوعا، والقول بتماسك النص الكريم وانسجام مضمونه، وفقا لمراد الله الذي تعهَّده بالحفظ على هذا النحو الذي ترتَّبت فيه الآيات والسور؛ الترتيب الذي اقتضى تماسك كل دال مع ما يليه وما يسبقه من دوال يؤكده العلماء القدامى والمحدثون.
- إنّ النص القرآني يستعمل أدوات مختلفة لضمان الانسجام الدلالي كالعموم والخصوص والإجمال والتفصيل والإطلاق والتقييد والمناسبة بين الآيات والسور في النص كله
- إنّ المتتبع لنصوص القرآن الكريم، يجدها تتميز بطابع العموم والشمول، حيث وردت في صور صيغ عامة وألفاظ كلية، لأنّ الغرض منها حمل المكلَّفين على العمل بها دون استثناء، لتشمل كل من يفهم الخطاب.
- إنّ الخصوص وسيلة أخرى لبث المعنى في النص القرآني وتأطيره حتى ينتبه المتلقي إلى خصوصية هذا الخاص، ودلالاته أكثر جلبا للانتباه من العام، فتجعلَ هذا المتلقي أكثر حرصا وتثبُّتا، نظرا للاستثناءات التي وردت فيها، مما يجعل كتلة المعنى التي تأتي بها منفردة خاصة وفريدة من نوعها أمرا أو نهيا أو تحذيرا (أي تخصيصا).

- إنّ الإجمال والتفصيل وهو الإتيان بالفكرة العامة للمضمون حتى يتمكن الذهن من استيعاب الدلالة، ثم توالي إدراج الجزئيات المكونة لها، من الوسائل الرئيسة في بناء الدلالة وفق مخطط.
- إنّ التناسب وهو من بين المباحث التراثية المتوافقة توافقا كليا مع الدراسات اللسانية النصية الحديثة يقر بالانسجام في النص القرآني بين آي السورة الواحدة، وبين السورة وما يسبقها أو يلحقها من السور.
- إنّ أهم الوسائل التي يمكن بها تناول فكرة البنية الكبرى في النص القرآني هو رصد الفكرة أو الأفكار الأساسية التي يدور حولها هذا النص الكريم.
- أنّ الموضوعات الأساسية التي يمكن ملاحظتها في النص الكريم متعلقة بعلاقة الإنسان بالخالق، وعلاقة الإنسان بالإنسان، ولكن الموضوع الكبير الذي يقوم عليه النص القرآني هو التوحيد، وبانتفائه يكون بداية الفساد عند الإنسان.
- إنه يمكن للباحثين في النص القرآني القيام بالكشف عن الكثير من البنى التي يجب أن تكون متعلقة ببنية التوحيد، ومن بين البنى التي لها إمكانية الانكشاف في هذا الإطار موضوعة (تيمة) الإنسان المؤمن والإنسان الكافر، موضوعة الجنة والنار، وموضوعة الدنيا والآخرة، موضوعة الفساد والصلاح وغيرها حسب زاوية الرؤيا للباحث.
- إنّ بنية الإنسان المؤمن والإنسان الكافر هي أهم البنيات الصغرى، لأن القرآن ركز على الإنسان دون غيره، فالمحور هو الإنسان والرسالة إنسانية، ولغة الرسالة ترتكز عليه، حيث جاء النص القرآني في جميع سوره بغاية توجيهه الوجهة الصحيحة في كل سلوكاته، هذه الوجهة الصحيحة وصفها القرآن بالصلاح حين قرن الإيمان بالأعمال الصالحات.

- إنّ البنية الصغرى في القرآن الكريم التي محورها الإنسان تنتصر للمؤمن على الكافر وتبرز صفاته البنيوية انطلاقا من التضاد بينه وبين الإنسان الكافر، ونظرا لأن صفات المؤمن صفات فطرية والإسلام دين الفطرة، فإن التركيز الكلي على نبذ صفات الكافر المنافية للفطرة هو الأكثر حضورا في بنية النص القرآني.
- تبين أن النص القرآني يسلك طرقا منطقية متعددة لضمان انسجام عالمه الدلالي فالعموم والخصوص والإجمال والتفصيل والمناسبة بين أجزاء النص، والتخطيط بما يوافق إدراك الإنسان للرسالة اللغوية في بنى صغرى وبنية شاملة كبرى وبطرق إقناع مباشرة وغير مباشرة كانت أدوات إعجاز خالدة في هذا النص.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

أولا- القرآن الكريم.

ثانيا- المصادر والمراجع:

1. إتحاف الأنام بتخصيص العام، محمد إبراهيم الحفناوي، دار الحديث، القاهرة، ط1، 1997.
2. إتقان البرهان في علوم القرآن، حسن فضل، دار الفرقان، عمان، ط1،1997،
3. الإتقان في علوم القرآن، السيوطي، تح: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة ناشرون، بيروت،ط1، 2008.
4. الإتقان في علوم القرآن، السيوطي، تح: محمد شريف سكر و مصطفى القصاص، مكتبة المعارف، الرياض، دار إحياء العلوم بيروت، ط،1 ،1987 ،
5. أثر الإجمال والبيان في الفقه الإسلامي، الحفناوي، دار الصفاء للطباعة والنشر، المنصورة، ط1، 1992.
6. أثر الانسجام الصوتي في النسبة اللغوية في القرآن الكريم، فدوى محمد حسان، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط 1، 2011 .
7. أثر الانسجام الصوتي في النسبة اللغوية في القرآن الكريم، فدوى محمد حسان، عالم الكتب الحديث ـ الأردن ط 1، 2011 .
8. أثر القراءات في الأصوات والنحو العربي، عبد الصبور شاهين، مكتبة الخانجي الطبعة الأولى 1987م .
9. أثر القواعد الأصولية اللغوية في استنباط أحكام القرآن، عبد الكريم حامدي:، دار ابن حزم، بيروت، ط1، 2008.
10. أثر القواعد الأصولية اللغوية في استنباط أحكام القرآن، عبد الكريم حامدي.
11. الإحالة في نحو النص،دراسة في الدلالة والوظيفة، أحمد عفيفي.
12. الإحكام في أصول الأحكام، الآمدي، ج2، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1983.

13. آراء المستشرقين حول القرآن وتفسيره، عمر بن ابراهيم رضوان، دار طيبة للنشر والتوزيع ، دت.
14. إرشاد العقل السليم، تفسير أبو السعود بن محمد الهادي الحنفي، تحقيق : عبد القادر احمد عطا، مكتبة الرياض الحديثة.
15. إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، الشوكاني، دار الفكر، بيروت، دط، دت،
16. أساسيات علم لغة النص مدخل إلى فروضه ونماذجه وعلاقاته وطرائقه ومباحثه، كالماير وآخرين، ترجمة سعيد حسن بحيري، زهراء الشرق، القاهرة ط1، 2009.
17. إسهامات أساسية في العلاقة بين النصِّ والنحو والدَّلالة، سعيد حسن بحيري، نقله إلى العربية وعلَّق عليه ، مؤسسة المختار، القاهرة، ط1، 2007، ص: 266.
18. الأشباه والنظائر في القرآن الكريم، مقاتل بن سليمان البلخي، تحقيق، عبد الله محمود شحاتة، الهيئة المصرية العامة للكتاب،
19. الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس، مكتبة الانجلو المصرية، ط4، سنة 1971.
20. أصول تحليل الخطاب، محمد الشاوش، ج1 .
21. أصول تراثية في علم اللغة، لكريم زكي حسام الدين.
22. إعجاز القرءان والبلاغة النبوية، مصطفى صادق الرافعي، دار الكتاب العربي بيروت– لبنان. 1410هـ/1990م.
23. انفتاح النص الروائي: (النص– السياق)، سعيد يقطين، المركز الثقافي العربي، بيروت، الدار البيضاء،1989.
24. أنواع التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي، دار الفكر، بيروت، د .ت .د.ط.
25. أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، ابن هشام، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، ج1، منشورات المكتبة العصرية، بيروت، دط، دت.
26. البحر المحيط في التفسير، أبو حيان الأندلسي، ج7 .

27. بداية المجتهد ونهاية المقتصد، ابن رشد الحفيد:، ج1، دار الفكر، دط، دت.
28. البرهان في أصول الفقه، الجويني، ج1، دار الأنصار، القاهرة، ط2، 1400هـ.
29. البرهان في تشابه القرآن، الكرماني، تحقيق :أحمد خلف الله، دار صادر، بيروت، ط2، 1417هـ.
30. البرهان في علوم القرآن، الزركشي، تحقيق :محمد أبو الفضل إبراهيم، ج1 دار المعرفة، بيروت، 1391هـ.
31. البرهان في علوم القرآن، الزركشي، علق عليه مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، 1998 ، ج1، ص323 .
32. بلاغة الخطاب وعلم النص، صلاح فضل، سلسلة عالم المعرفة، الكويت 1992.
33. البنية السردية في القصص القرآني، طول محمد، ط1، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1991.
34. بنية النص الكبرى، صبحي الطعان، مجلة عالم الفكر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، دولة الكويت، مج 23 العددان الأول والثاني 1994.
35. البيان في روائع القرآن، دراسة لغوية أسلوبية للنص القرآني، تمام حسان، عالم الكتب القاهرة، ط 1993.
36. البيان في مباحث من علوم القرآن، عبد الوهاب غزلان، المكتبة الأزهرية، القاهرة، 1958.
37. تاريخ آداب العرب، مصطفى صادق الرافعي، مكتبة الإيمان للنشر والتوزيع، القاهرة، 1997، ج1.
38. تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المبارك فوري، مراجعة عبد الوهاب عبد اللطيف، المكتبة السلفية بالمدينة المنورة، ط2، ج8.
39. تحليل الخطاب الروائي، سعيد يقطين، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 1989،

40. تحليل الخطاب الشعري (استراتيجية التناص)، محمد مفتاح، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط 3،1992.

41. تحليل الخطاب، ج ب براون ج بول، ترجمة محمد لطفي الزليطي ومنير التريكي، جامعة الملك فيصل.

42. التحليل اللغوي للنص مدخل إلى المفاهيم الأساسية والمناهج، كلاوس برينكر، ترجمة: سعيد حسن بحيري، مؤسسة المختار القاهرة، ط 1، 2005 م.

43. تحليل النص –دراسة الروابط النصية في ضوء علم اللغة النصي–، محمود عكاشة، مكتبة الرشد ناشرون، القاهرة، ط1، 2014.

44. الترابط النصي في الخطاب السياسي دراسة في المعاهدات النبوية، سالم بن محمد المنظري، بيت الغشام للنشر والتوزيع، مسقط، ط2015.

45. التصوير الفني في القرآن، سيد قطب، دار المعارف، مصر، د ت.

46. التطور الدلالي بين لغة الشعر ولغة القرآن، خليل أبو عودة، مكتبة المنا، الزرقاء، ط1، 1985.

47. التعريفات، الشريف الجرجاني، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى 1983م،

48. تفسير ابن كثير، وتفسير الطبري، دار الفكر، ط سنة 1415هـ،

49. تفسير التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، ج30 ، الدار التونسية للنشر، تونس، 1984.

50. تفسير الخازن (لباب التأويل في معاني التنزيل)، علاء الدين ابراهيم البغدادي الخازن، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة ،د ت، ج1.

51. تفسير القرآن الحكيم، محمد رشيد رضا، دار المعرفة، بيروت، ط2، ج9.

52. تفسير القرآن، أبو المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار السمعاني، دار الوطن- الرياض – السعودية – 1418هـ -1997 م، الطبعة الأولى، تحقيق : ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، ج 1 .

53. التفسير الكبير: 54/3.

54. تناسق الدرر في تناسب السور، جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، دراسة وتحقيق عبد القادر أحمد عطا (مقدمة التحقيق)، دار الكتب العلمية، بيروت .

55. التناص سبيلا إلى دراسة النص الشعر بمجلة فصول، شربل داغر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، المجلد 16، العدد 01، القاهرة، 1997.

56. الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، كتاب الشعب، القاهرة،

57. جواهر القرآن، لأبي حامد الغزالي، ط5 سنة 1983م، دار الآفاق.

58. خزانة الأدب وغاية الأرب، تقي الدين أبو بكر بن علي بن عبد الله الحموي ألأزراري (المتوفى: 837 هـ)، المحقق: عصام شقيو، الناشر: دار ومكتبة الهلال – بيروت، دار البحار – بيروت، الطبعة: 2004م، ج1.

59. خصائص القرآن الكريم، فهد بن عبد الرحمان بن سليمان الرومي،، مكتبة العبيكان، الرياض، ط9، 1999.

60. الخصائص لابن جني، مقدمة المحقق، عبد الحميد هنداوي المجلد الأول، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 2003 .

61. دراسات في علم اللغة، مصطفى إبراهيم عبد الله، دار الشروق، لبنان، ط1، 1995م.

62. دراسات لغوية تطبيقية، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، 1999.

63. دراسة البنية الصرفية في ضوء اللسانيات الوصفية، عبد المقصود عبد المقصود الدار العربية للمطبوعات، لبنان، ط1، 2006.

64. الدلالة اللغوية عند العرب، عبد الكريم مجاهد، ط دار الضياء- عمان1985،

65. دلائل الإعجاز عبد القاهر الجرجاني، تحقيق : محمود محمد شاكر، مطبعة المدني – القاهرة – دار المدني – جدة، د/ت.
66. دور الكلمة في اللغة، ستيفن أولمان ترجمة : كمال محمد بشر، مكتبة الشباب، القاهرة، 1975.
67. رسائل في العقيدة، حماد بن محمد الأنصاري،، مكتبة الفرقان، ط1، سنة 1424هـ.
68. روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني، الألوسي، دار الفكر، بيروت، ج 1 .
69. سلاسل الذهب، الزركشي، تح: محمد المختار الشنقيطي، ط2، 2002.
70. سنن أبي داود، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، ج2، دط، دت، دار الفكر، بيروت، لبنان.
71. شرح أصول العقيدة الإسلامية، للدكتور نسيم ياسين، ط1 سنة 1419هـ .
72. شرح الأصول من علم الأصول، العثيمين، دار ابن الجوزي، ط4، 1434.
73. شرح السنة للإمام البغوي متناً وشرحاً، البغوي، شعيب الارناؤوط، زهير الشاويش، المكتب الاسلامي بيروت ط2، 1983 .
74. صفوة التفاسير، محمد علي الصابوني. دار ومكتبة الهلال، د.ت .
الطبعة الأولى – 2009م.
75. العبارة والإشارة دراسة في نظرية الاتصال، محمد العبد، مكتبة الآداب، القاهرة، ط1،2007 .
76. عربية القرآن، عبد الصبور شاهين، مكتبة الشباب، مصر، 1997.
77. العربيَّة من نحو الجملة إلى نحو النص، سعد مصلوح، ضمن الكتاب التذكاري لجامعة الكويت (دراسات مُهداة إلى ذكرى عبد السلام هارون)، إعداد وديعة طه النجم وعبده بدوي، 1990 م.
78. العروض وإيقاع الشعر العربي، سيد البحراوي، الهيئة العامة للكتاب، ط.1993.
79. علم أصول الفقه، عبد الوهاب خلاف، دار القلم، الكويت، ط2، 1988.

80. علم الدلالة التطبيقي في التراث العربي، هادي نهر، دار الأمل للنشر و التوزيع، الأردن، ط1، 2007.

81. علم الدلالة العربي، فايز الداية، النظرية والتطبيق، ط:2 دار الفكر – دمشق 1996.

82. علم الدلالة– دراسات في علم اللغة–، أحمد مختار عمر.

83. علم الدلالة: أصوله ومباحثه في التراث العربي. عبد الجليل منقور، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2001.

84. علم الدلالة، جون لاينز، ت: مجيد عبد الحليم الماشطة وآخرين، جامعة البصرة، 1980.

85. علم الدلالة، فرانك بالمر، ترجمة : مجيد عبد الحليم الماشطة، الجامعة المستنصرية،1985.

86. علم اللغة العام في القرن العشرين، جورج مونان، ترجمة : نجيب غزاوي، سلسلة الكتب العلمية – سوريا، 1982 م .

87. علم اللغة العام، توفيق محمد شاهين، مكتبة وهبة، القاهرة، 1980 .

88. علم اللّغة النصي بين النظرية والتطبيق، صبحي إبراهيم الفقي، دار قباء للطباعة والنشر، ط1،القاهرة، 2000 .

89. علم النص – مدخل متداخل التخصصات–، فان دايك، ترجمة حسن بحيري.

90. عمدة القاري شرح صحيح البخاري، بدر الدين العيني، 278/22 .

91. الفاصلة في القرآن، محمد الحسناوي، المكتب الإسلامي، بيروت، ط2،1986.

92. فان دايك وعلم النص، عبد القادر بوزيدة، مجلة اللغة والأدب،ع11، الجزائر، ماي 1997.

93. فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، تح: أحمد فؤاد عبد الباقي، بيروت، 1379، مج9.

94. فصل الخطاب في سلامة القرآن الكريم، أحمد السيد الكومي وزميله،، ط2، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة.

95. فنون النص وعلومه، فرانسوا راستيي، ترجمة، إدريس الخطاب، دار توبقال، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2010.

96. فهرس كتاب التفسير القيم لابن القيم، ط سنة 1408هـ، دار الفكر.

97. في الأدب والنقد، محمد مندور، دار النهضة، مصر، للطبع والنشر، ط 5، مصر، د.ت.

98. في ظلال القرآن.

99. في نظرية الأدب –مقالات و دراسات–، فان ديك وآخرون، ترجمة محمد العمري، كتاب الرياض، المملكة العربية السعودية.

100. القراءة في التيسير في القراءات السبع، للداني، ج 1.

101. القضايا التطريزية في الدراسات القرآنية، دراسة لسانية في الصواتة الإيقاعية، أحمد البابي، عالم الكتب الحديث الأردن، ط1، 2012.

102. الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تأليف : أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، تحقيق عبد الرزاق المهدي ج 2 .

103. لذة النص، رولان بارت، ترجمة منذر العياشي.

104. لسان العرب، ابن منظور، دار إحياء التراث العربي، ط2، بيروت .

105. لسان العرب، ابن منظور، دار صادر، بيروت، ط3، 1414 هـ.

106. لسانيات النص عرض تأسيسي، كريستنا دميستك، ترجمة سعيد حسن بحيري، مكتبة زهراء، الشرق القاهرة، ط1، 2009 م .

107. لسانيات النص، محمد خطابي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط 2 2006

108. اللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط 1973.
109. اللغة والإبداع الأدبي، محمد العبد، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، القاهرة، ط2، 2007 .
110. الله والإنسان في القرآن –علم دلالة الرؤية القرآنية للعالم–، توشي هيكو ايزوتسو، تر: هلال محمد الجهاد، المنظمة العربية للترجمة، بيروت ط1، 2007.
111. مباحث في علوم القرآن، صبحي الصالح، دار العلم للملايين، بيروت، ط4، 2000
112. مبادئ اللسانيات، أحمد محمد قدور، دار الفكر، دمشق، ط2008.
113. مجموع فتاوى ابن تيمية، 19/17، وأنظر: شرح أصول العقيدة للدكتور نسيم ياسين، ط1 سنة 1419هـ.
114. محاضرات في الألسنية العامة، فرديناند دوسوسير، تر: يوسف غازي، مجيد النصر، المؤسسة الجزائرية للطباعة، الجزائر، 1986 م.
115. المحصول في علم الأصول، الرازي، ج2، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1983.
116. مدخل إلى اللسانيات، محمد يونس علي، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان،ط1، 2004.
117. المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث: رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1982.
118. مدخل إلى علم النص –مشكلات بناء النص–، زتسي سلافواور زنياك، تر سعيد حسن بحيري، مؤسسة المختار، القاهرة، ط1، 2003.
119. المدخل لدراسة القرآن الكريم، محمد بن محمد أبو شهبة،، مكتبة السنة بالقاهرة، ط1.
120. المرجع والدلالة في الفكر اللساني الحديث، تودوروف وأخرون، تر: وتعليق عبد القادر قنيني، دار افريقيا الشرق، المغرب، 200م.
121. المستصفى من علم الأصول: أبو حامد الغزالي، تح: أحمد زكي حمّاد، دط، دت.

122. المصباح المنير، الفيومي، تح :يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية، بيروت، ط3، 1998.

123. المصفى في أصول الفقه، أحمد بن محمد علي الوزير، دار الفكر المعاصر، بيروت، دار الفكر، سورية، ط1، 1996.

124. معترك الأقران في إعجاز القرآن، السيوطي، تحقيق محمد علي البجاوي، دار الفكر العربي، القاهرة، ط1، 1972.

125. المعتمد في أصول الفقه، شرح العمد للقاضي عبد الجبار، محمد بن علي بن الطيب، ج1، دار الفكر، دمشق، ط1، 1964.

126. معجم المصطلحات البلاغية، أحمد مطلوب، مطبعة المجمع العلمي العراقي، ج 2.

127. مغني اللبيب، ابن هشام الأنصاري.

128.مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الأصفهاني، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، دار القلم، دمشق

129. مفهوم التأويل في القرآن والحديث الشريف، سلسلة الرسائل الجامعية (2)، معهد الدراسات المصطلحية كلية الآداب ظهر المهراز، فاس، ط 1، أكتوبر 2001.

130. مقاييس اللغة، ابن فارس:، ج4، مؤسسة بدرا للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 1979،

131. ملاك التأويل في توجيه متشابه اللفظ من آيات التنزيل، لأحمد بن إبراهيم بن الزبير، تح: سعيد بن جمعة الفلاح، دار الغرب الإسلامي، 1983،

132. المناسبة في القرآن، دراسة لغوية أسلوبية للعلاقة بين اللفظ و السياق اللغوي، مصطفى شعبان عبد الحميد، ط 1، 2007، المكتب الجامعي الحديث، مصر.

133. مناهل العرفان الزرقاني، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، 1957، ج1.

134. مناهل العرفان في علوم القرآن، الزرقاني، ج1.

135. المنهاج الواضح للبلاغة، حامد عوني، المكتبة الأزهرية للتراث، ج3.

136. المنهج البلاغي لتفسير القرآن الكريم، حسن مسعود الطوير، بيروت، ط1، 2003 .
137. المنهج الصوتي للبنية العربية، رؤية جديدة في الصرف العربي، عبد الصبور شاهين، مؤسسة الرسالة، سوريا 1400 هـ،-1980م.
138. منهج الفرقان في علوم القرآن، محمد علي سلامة، مطبعة شبرا، 1937م .
139. ميزان الاعتدال، محمد بن أحمد الذهبي، تح: على محمد البجاوي، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة ط1 .
140. الناسخ و المنسوخ في القرآن الكريم، أبو جعفر النحاس، المكتبة العصرية، بيروت،ط1، 2003.
141. النبأ العظيم، عبد الله دراز، دار القلم-الكويت، الطبعة السادسة 1405هـ/1984م.
142. النحو المصفّى، محمد عيد، مكتبة الشباب، القاهرة، ط1، 1975 م.
143. نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي . احمد عفيفي، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة مصر، 2001.
144. نحو النص إطار نظري ودراسات تطبيقية، عثمان أبو زنيد، عالم الكتب الجديد، الأردن، ط 1،2010.
145. النحو الوافي، عباس حسن، دار المعارف، ط1،1991.
146. نحو منهاجية للتعامل مع مصادر التنظير الإسلامي بين المقدمات والمقومات، منى عبد المنعم أبو الفضل، مطبوعات المعهد العالمي للفكر الإسلامي، القاهرة، ط1، 1417هـ/1996م.
147. نسيج النص بحث في ما يكون به الملفوظ نصاً، الأزهر الزناد، المركز الثقافي العربي، ط1 ، 1993.
148. النص الغائب -تجليات التناص في الشعر العربي-، محمد عزام، منشورات اتحاد الكتَّاب العرب، دمشق، 2001 .

149. النص ممارساته وتجلياته، منذر عياشي، مجلة الفكر العربي المعاصر، ع 96،97، 1992.

150. النصُّ والأسلوبية بين النظرية والتطبيق، عدنان بن ذريل، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق 2000.

151. النص والخطاب قراءة في علوم القرآن. محمد عبد الباسط عيد، مكتبة الآداب – القاهرة

152. النص والخطاب قراءة في علوم القرآن، محمد عبد الباسط عيد، ط 1، افريقيا الشرق، المغرب، 2016.

153. النص والخطاب والإجراء، روبرت دي بوجراند، ترجمة تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة 1998.

154. النص والسياق –استقصاء البحث في الخطاب الدّلالي والتداولي–، فان دايك، ترجمة عبد القادر قنيني، أفريقيا الشرق، بيروت لبنان، 2000م.

155. نظرية علم النص رؤية منهجية في بناء النص النثري، حسام أحمد فرج، مكتبة الآداب، ط1، 2007.

156. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، البقاعي، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، دط، دت.

157. نهاية السول شرح منهاج الوصول، البيضاوي، ج2، عالم الكتب، دط، دت.

158. اليواقيت والجواهر في بيان عقائد الأكابر، عبد الوهاب الشعراني، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة ، دت.

ثالثا– الكتب باللغة الأجنبية :

159. Halliday ,M.A.K. and Ruqaya Hassan,Cohesion in English, Longman, 1st pub, New York, 1976.

رابعا- الأطروحات والمذكرات :

160. مفهوم الترتيل في القرءان الكريم النظرية والمنهج، أحمد عبادي. رسالة دكتوراه، السنة الجامعية 1422-1423هـ/200 2002م، جامعة القاضي عياض كلية الآداب والعلوم الإنسانية، مراكش.

خامسا- المجلات المحكمة

161. اقتران الإيمان بالعمل الصالح في القرآن الكريم ودلالاته الحضارية، عبد الرحمن حللي، مجلة جامعة دمشق للعلوم الاقتصادية والقانونية – المجلد – 27 العدد الثالث، 2011 .

162. ترتيب سور القرآن الكريم دراسة تحليلية لأقوال العلماء، طه عابدين طه، مجلة البحوث والدراسات الإسلامية، ع 9 .

163. الترتيل في القرآن المجيد: دراسة في المفهوم والمستويات، أحمد عبادي، مجلة رسالة القرآن، العدد الثاني، السنة الأولى: ذو القعدة – ذو الحجة – محرم. 1425 / 1426هـ. يناير – فبراير – مارس. 2005م.

164. حبك النص، محمد العبد، منظورات من التراث العربي، مجلة فصول؛ العدد/59، ربيع 2002.

165. الخطاب والدلالة – قراءة في تأويل النص القرآني-، منقور عبد الجليل، مجلة التراث العربي، اتحاد الكتاب العرب بدمشق، ع105، 2007.

166. مصطلحات الخطاب والنص، الدلالة في الثقافة العربية، فاتح ازيوان، مجلة كتابات معاصرة ع70، مجلد 18، بيروت 2008.

167. التحليل الدلالي للجملة العربية، عبد الرحمن أيوب، المجلة العربية للعلوم الانسانية، الكويت، مج 3، ع 10، 1983 .

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات

المحتوى	الصفحة
شكر	
الإهداء	
مقدمة	أ- ط
الفصل الأول: اللسانيات النصية والنص القرآني	
أولا- النص واللسانيات	11
1- مفاهيم في لسانيات النص	12
1-1- التعاريف التي اعتنت بتركيب النص	14
1-2- التعاريف التي اعتنت بدلالة النص	16
1-3- تعريفات جمعت بين التركيب والدلالة	17
2- معايير النصية	18
2-1- التماسك الشكلي أو الاتساق	18
2-2- الانسجام	19
2-3- القصدية	20
2-4- المقبولية	20
2-5- التناص	20
2-6- الاعلامية	21
2-7- الموقفية	21
3- نماذج وصف النص	22
3-1- النص في المنظور النحوي	24
3-2- النص من المنظور الوظيفي	26

3-3- النص من المنظور الدلالي	27
3-4- النص من المنظور الإتصالي	29
ثانيا- الانسجام وبنية النص	33
ثالثا- النص القرآني	37
البناء النصي للقرآن	44
1- مصطلح الآية	46
1-1- تعريف الآية لغة واصطلاحا	46
1-2- ترتيب آيات القرآن	47
2- مصطلح السورة	47
2-1- تعريف السورة لغة ، وإصطلاحا	47
2-2- ترتيب السورة القرآنية	48
المجموعة الأولى	48
المجموعة الثانية	51
الفصل الثاني : الانسجام الصوتي الصرفي في القرآن	
أولا- المناسبة الصوتية	57
1- تعريف المناسبة	58
2- انواع المناسبة الصوتية	59
2-1- المناسبة الصوتية بالمماثلة	59
أ- تعريف بالمماثلة	59
ب- مظاهر المماثلة	59
- تغير مجرى الهواء	60
- الادغام	60
ج- أشكال المناسبة بالمماثلة	60

3- مستويات المناسبة الصوتية	64
3-1- المستوى اللغوي للمناسبة الصوتية	64
أ- الانسجام الصوتي على المستوى الصرفي	64
ب- الانسجام الصوتي على المستوى النحوي	68
3-2- المناسبة الأسلوبية	68
ثانيا- الحكاية الصوتية	69
1- مفهوم الحكاية الصوتية	69
1-1- الوسائل الصوتية	71
أ- الإمالة	71
ب- الغنة والنبر	72
ج- التفخيم والإطباق	72
1-2-الحكاية بواسطة صفة اللفظ الصوتية	73
أ- زيارة صوت المفردة	74
ب-تكرار صوت أو صوتين في مفردة	74
ج-إضافة السوابق واللواحق في المفردة	75
1-3- الحكاية بواسطة التشكيل الصوتي للجملة والجمل	76
ثالثا- الفاصلة القرآنية	78
1- تعريف الفاصلة	79
1-1-الفاصلة في المعنى اللغوي	79
1-2-الفاصلة في المعنى الاصطلاحي	80
2- الفاصلة بين القافية والسجعة	81
3- أنواع الفاصلة القرآنية	82
3-1-الفاصلة من المنظور الكمي	82
3-2-الفاصلة من منظور كيفي	85
أ- المتوازي	85

ب- المطرف	85
ج- المتوازن	85
د- المرصع	86
هـ- المتماثل	87
4- وظيفة الفاصلة في الانسجام القرآني	87
رابعا- الإيقـــــــاع	88
1- الكم والإيقـاع	88
1- مفهوم الإيقـاع	89
2-الإيقـاع بين الشعر والنثر	89
3- مقومات الإيقـاع بين الشعر والنثر	90
4-دراسة الإيقـاع في النثر	90
5-الايقاع والانسجام القرآني	91
5-1- الصورة المقطعية في القرآن الكريم	91
5-2- البنية المقطعية والإيقاعية في الخطاب القرآني	98
الفصل الثالث: الانسجام التركيبي في النص القرآني	
أولا- الإحالة	103
مفهوم الإحالة	103
لغة - إصطلاحا	103
1- الاحالة بالضمائر	106
ثانيا- الحذف	112
مفهوم الحذف	112
ثالثا- التعريف (المحدد)	117
مفهوم التعريف (المحدد)	117
رابعا- الموصول	123

مفهوم الاسم الموصول	123
خامسا- التكرار	130
تطبيقات من القرآن الكريم	131
1- من حيث اللفظ والمعنى	131
2- من حيث الفائدة وغير الفائدة	131
الفصل الرابع: الانسجام الدلالي للنص القرآني	
أولا- الدلالة والبناء الدلالي للقرآن الكريم	140
1- المستوى الدلالي في اللسانيات	141
2- الوحدة الدلالية : الكلمة – الجملة – النص	144
3- البناء الدلالي للقرآن	148
ثانيا- أدوات الانسجام الدلالي في القرآن	150
1- مفهوم العموم والخصوص	150
1-1- مفهوم العموم	151
- تعريف العام	151
- العام لغة	151
- العام اصطلاحا	151
1-2- ألفاظ العموم	152
أ-ما دل على العموم بمادته	154
ب- الجمع المعرف بالألف واللام	152
ج-الجمع المعرف بالإضافة	153
د-الأسماء الموصولة	153
هـ- أسماء الشرط	153
و- أسماء الاستفهام	154
ز- الأسماء الموصولة	154

ح- النكرة في سياق النفي	154
1-3-معيار العموم	155
أ- الجمع المنكر	155
ب-العام المسوق لغرض	155
ج- الخطاب الخاص بالنبي (ص)	156
د- خطاب الناس يشمل رسول الله (ص)	157
هـ- عموم جمع المذكر السالم للنساء	158
1-4- أقسام العام	158
أ- عام يراد به العموم لفظا	158
ب- عام يراد به الخصوص	159
ج-العام المراد به الخصوص	159
د- العام الذي يدخله التخصيص	160
2- مفهوم الخصوص	160
2-1- تعرف الخاص	161
- في اللغة	161
2-2 – قواعد الخاص	162
أ- قاعدة الأمر	162
ب- قاعدة النهي	163
ج- قاعدة المطلق والمقيد	163
- المطلق	163
د- قاعدة حمل المطلق على المقيد	164
3- إتحاد المطلق على المقيد في الحكم مع الإطلاق والتقيد في السبب	165
الأول :	165
الثاني :	165
4- اتحاد المطلق على المقيد في الحكم مع اختلاف السبب	166

5-اختلاف المطلق على المقيد في الحكم مع اتحاد السبب	166
- الاجمال والتفصيل	167
5-1-المجمل	167
أ- تعريف المجمل	167
- لغة واصطلاحا	167
ب-أقسام المجمل	167
جـ- أسباب الاجمال	168
5-2- التفصيل	169
لغة	169
2- أقسام التفصيل	170
أ- التفصيل الفرادي	170
ب-التفصيل التركيبي	170
جـ- التفصيل بعد الإجمال	170
3- أهمية التفصيل بعد الإجمال	171
أ- أنواع التفصيل بعد الإجمال	172
ب-المناسبة والتناسب	173
1- مفهوم المناسبة	174
لغة -إصطلاحا	174
2- فائدة علم المناسبة	175
3- المزيج اللفظي والمعنوي	176
3-1- المزيج اللفظي	176
3-2- المزيج المعنوي	177
أ- التنظير	177
ب- المضادة	178
4- أنواع المناسبات	179

أ- في السورة الواحدة	179
ب- بين السور	181
الفصل الخامس: البنى الكبرى والصغرى في النص القرآني	
أولا- البنية الكبرى للنص القرآني	185
أ- البنية الكبرى و انسجام للنص القرآني	183
ثانيا- البنية الكبرى وتوحيد الألوهية	192
1- آيات من النص الكريم تدل على أهميته التوحيد وخطورة الشرك	196
ثالثا- البنى الصغرى في النص القرآني	200
أ- قيمة الانسان	201
1- الانسان المؤمن من خلال القرآن	202
2- الانسان الكافر من خلال القرآن	203
2-1- صفة الافساد في الأرض	204
2-2- القتل للأبرياء والدعاة إلى الله	205
2-3- الظلم	205
2-4- القتال من أجل الدنيا والطاغوت	206
2-5- الحكم بغير ما أنزل الله والتحاكم إلى شريعة الطاغوت	206
2-6- إتباع الشهوات	207
2-7- الشح والبخل	207
2-8- إتخاذ الأولياء من الشياطين الإنس والجن	207
2-9- الاستكبار في الأرض	208
3- مخطط القصة	209
3-1- قوم عاد وسيرتهم في الأرض	209

3-2- قوم صالح عليه أفضل الصلاة والسلام	210
3-3- قصة قوم شعيب	210
3-4- قصة موسى عليه السلام وفرعون مصر	211
الخاتمة	214
قائمة المصادر والمراجع	221
فهرس المحتويات	235

تم بحمد الله